حكايات أوروبية

حسين قدري





التراث والعلوم الإسلامية لكل الشعب

تصدر عن مؤسسة

دار الشعب

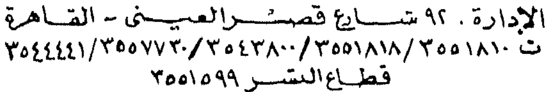
للصحافة والطباعة والنشر

رئيس مجلس الإدارة
والمشرف العام على التحرير

جمال الدين زكى



ستظل القاهرة .. دائما قلب العروبة والإسلام النابض تتبوأ مكانتها التاريخية والحضارية .. فى عالم الفكر والثقافة والنشر ..



الإدارة . ٩٢ شارع قصر العينى - القاهرة
ت ٣٥٥١٨١٠ / ٣٥٥١٨١٨ / ٣٥٤٣٨٠٠ / ٣٥٥٧٧٣٠ / ٣٥٤٤٤٤١
قطاع النشر ٣٥٥١٥٩٩
رقم الفاكس ٣٥٤٤٨١١ - ص.ب ١٤٠ / رقم بريدى ١١٥١٦





حسين قدري

الإهـــداء

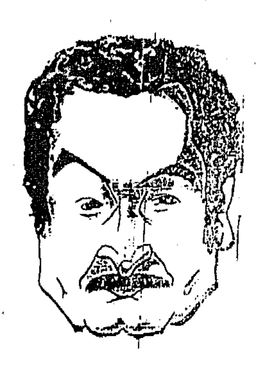
كنت دائمًا مشغولاً ببناء مستقبلى ، لذا فلم يكن هناك وقت كثير للحب فى حياتى ، فلم أحب غير ١٦٨ مرة فقط ، حتى الآن .. ولا أظن أن الوقت سوف يتسع أمامى لكى أهدى لكل واحدة منهن كتاباً من كتبى .. لذا فإننى أهدى هذا الكتاب إلى صاحبة أول وأعظم حب فى حياتى كلها ، التى كانت فى نظرى ملخصا لكل نساء العالم ..

إلى أمى فريدة هانم .. ست الستات فى الدنيا كلها ..

حسين قدرى

حكايات أوروبية





غدٌ بِظَهرِ الغيبِ واليومُ لى
وكم يَخيبُ الظنُّ بالمؤمِلِ
ولستُ بالغافِلِ حتى أرى
جمالَ دُنيايَ ولا أجتلى

هذا هو شعارى ودستورى فى الحياة .. الحياة أقصر من ألا نسعد بها .. كن جميلاً تر الوجود جميلا .. وقد كنت واحداً من السعداء الذين اكتشفوا هذه الحقيقة مبكراً جداً .. فقد سعدت بكل لحظة فى حياتى .. كنت طفلاً سعيداً وصبياً سعيداً وشاباً سعيداً ورجلاً سعيداً .. كنت سعيداً فى حياتى الدراسية وفى حياتى الرياضية وفى حياتى الإجتماعية وحياتى العائلية وحياتى العملية .. حتى هجرتى سعدت بها وفيها .. وحين قررت أن أهجر الوظيفة وأتفرغ للكتابة سعدت بتفرغى وبأن الـ ٢٤ ساعة كلها قد أصبحت ملكى أنا ..

كنت دائماً متفائلاً مستبشراً مشرقاً ، قلبى مفتوح للحياة وللدنيا وللحب .. أحببت كل من حولى وكل

ما حولى .. أحببت فكرة أننى « موجود » وأننى « حى » . وأحببت نصيبى وحظى من الحياة ومن الدنيا ورضيت بسه ولم أطمع أبداً فى أكثر منه .. فكان الله يكافئنى على قناعتى ورضائى بأن يعطينى أكثر وأكثر . وكانت السعادة التى أعيشها أكثر من أن « أحتملها » وحدى ، فكانت دائما تفيض على من حولى ، ومن جاور السعيد يسعد ..

ومن بين أسباب سعادتى كصحفى وككاتب أن ربنا بيجعل لى فى كل خطوة حدوتة تحكى ، ويضع فى طريقى فى كل مشوار حكاية تكتب .. وعندى فى عينىّ وفى دماغى جهاز استقبال شديد الحساسية يجعل من كل ما يقابلنى فى حياتى مادة صالحة للكتابة ولأن أشرك معى القراء فيها حتى يعايشوها كما عشتها أنا وقت حدوثها ..

وسنوات الهجرة فى إنجلترا ، ١٧ سنة ، كان لى فيها كل يوم قصة وحدوتة وحكاية .. نشرت بعضها فى وقتها ، ونشرت بعضها مؤخراً بعد أن جاء أوانها .. وهذا الكتاب هو حصيلة حكاياتى الأوروپية التى حدثت لى فى سنوات الهجرة فى أوروبا ..

أرجو أن يعجبكم ...

حسين قدرى



الـ « هايدبارك ».. يـوم الأحـد !



دنيا بأكملها .. عالم مصغر .. مدينة ملاهى .. سيرك بلا ترخيص ، ذلك الذى يحدث فى حديقة الـ (هايد بارك) فى لندن يوم الأحد من كل أسبوع .. زحمة .. هيصة .. ناس بتتفرج على ناس .. لا أحد يدرى بالضبط من يذهب لمشاهدة من ؟ هل كل هؤلاء السياح الأمريكيين والكنديين والإيطاليين والفرنسيين والعرب والألمان ومن كل الجنسيات التى تخطر ولا تخطر على بال .

هل كل هؤلاء هم الذين يذهبون لمشاهدة خطباء الـ (هايد بارك) يوم الأحد ؟ أم أن الخطباء أنفسهم هم الذين يذهبون ليتفرجوا على هذه الخلطة والمزيج المدهش من السياح ، وليضعوا أنفسهم أمام كاميراتهم وعدساتهم وهم فى مواقف الزعامة والخطابة والتشنج والصراخ والتلويح بالأيدى والقبضات ؟ أم أن هناك نوعا ثالثا من الجمهور السلبى المشاهد الذى يضع يديه فى جيوب معطفه ويتسلى بالفرجة على الإثنين معا : الخطباء ، والسياح !؟

دنيا .. عالم .. مدينة ملاهى .. ناس بتتفرج على ناس ، وناس بتتفرج على بعضها .. ●

نوعية جماهير الـ (هايد پارك) نوعية غريبة جدا .. خليط ومزيج من كل جنسيات العالم تحتشد فى هذه المساحة الكبيرة المخصصة لخطباء يوم الأحد .. أزياء من كل صنف وشكل ولون .. كاميرات تصوير وكاميرات سينما وكاميرات تليفزيون وكاميرات (أوريكون) تسجل الصورة والصوت معا .. آخر صيحة فى طرازات كاميرات التصوير ، وكاميرات أخرى أشبه بالعلب الصفيح ، لعلها كانت (أول صيحة) فى عالم الكاميرات !! .. بنات وفتيات وسيدات وحسناوات من كل جنس وملة ولون يتكلمن بكل لسان وكل اللغات الحية والميتة ، وكرنڤال هائل من الأزياء المتجانسة والمتنافرة تبدأ بالبنطلونات الـ (چينز) والبلوزات الـ (تى شيرت) فى عز البرد ، وتنتهى بالفراء والفيزون والاستراكان الفاخر الشيك جدا الذى تكفى مجرد مشاهدته من بعيد لكى يبعث فى المشاهد نفسه الدفء !

الظاهرة المشتركة فى الخطباء جميعهم – لدهشتى الشديدة – هو أنهم ، بشكل عام ، مبهدلين ومنكوشين ورثى الثياب وذقونهم غير حليقة ، كأنهم كانوا مستغرقين فى عز النوم ثم تذكروا فجأة أن اليوم هو الأحد فهبوا مسرعين ليضعوا عليهم أول ما طالته أيديهم من ثياب دون أن يجدوا وقتا ليغسلوا وجوهم أو ليهندموا أنفسهم !

والخطيب لابد له من منصة ، لكن المنصات هنا متواضعة

وبسيطة : صندوق كوكاكولا مقلوب ، كرسى خشب لا ظهر له ولا مساند ، سلم مزدوج ، برميل خشبى ، أى حاجة والسلام يصعد فوقها الخطيب ليبدو أعلى قليلا حتى يكون هدفا واضحا لعدسات التصوير والكاميرات !!

●

وتشق اللغط الشديد فى ركن الخطباء فى الـ (هايد پارك) فجأة صرخة مدوية فتظن أن حادثاً قد وقع أو أن حريقا قد شب أو أن فندق الـ (هيلتون) قد مال واتكأ على جاره فندق (دور شستر) .. لكنك تكتشف أن هذه الصرخة العالية ليست إلا نداءً من خطيب جديد اعتلى منصته ويستدعى الجماهير - وعدسات التصوير - إلى حيث يقف .. ويلبى جزء من الجماهير النداء مسرعين وكاميراتهم مشرعة ومشهرة فى أيديهم ، يبغون التصوير أكثر مما يبغون الاستماع ، ويبغون التسلية والفرجة أكثر مما ينتظرون مناقشة جدية فى موضوع ما ..

ولأن المسألة كلها كما يبدو تمثيل فى تمثيل ؛ فإننى - بعد ستة (آحاد) متتالية فى الـ (هايد پارك) . قد اكتشفت أن كل خطيب يكون معه مساعد أو (صبى) يسخن له الجو فى الجماهير ويحركهم ويستفزهم للمشاركة ، بأن يقوم هو المساعد ، بنكش الخطيب وتوجيه أسئلة محرجة مستفزة إليه ، على اعتبار انه واحد من الجمهور المستمع الذى احتشد حوله ، والخطيب يحاور ويداور ويرد على الاسئلة ثم يسأل الجمهور : هل من أسئلة أخرى حول الموضوع الذى بات واضحا الآن أنه سيتكلم فيه ؟ .. وغالبا ما تشارك الجماهير الملتفة فى المناقشة ، وغالبا ما نعارض الآراء

التى يبديها الخطيب المتحمس .. وأتصور أن ذلك بالضبط ما يريده هو ، فهو لا يريد التأييد بقدر ما يريد المعارضة حتى (تحمى) المناقشة ويزداد الجدل ..

●

خطيب من الخطباء متحمس جدا وزعلان للغاية من « الزحمة » التى أصبحت عليها لندن الآن ، فلندن منذ سنوات قليلة - والعهدة على الخطيب طبعا - كان تعدادها ثلاثة ملايين ، ثم قفزت فجأه إلى خمسة ملايين ، ثم سبعة ، حتى وصلت الآن إلى ٩ ملايين ، وستصل فى سنة ٢٠٠٠ - ده الخطيب اللى بيقول ولست أنا - إلى ٢٤ مليونا !! .. ولم تعد الانجلير أصحاب لندن الأصليون يجدون أماكن لا فى الأونوبيس ولا فى الـ (أندرجراوند) ولا فى أى نوع من أنواع المواصلات ، ولم تعد التاكسيات تقف لهم ولا الخبز الذى تنتجه مخابز لندن كافيا لهم ولهؤلاء الدخلاء الذين اقتحموا لندن وزاحموا سكانها الأصليين فيها !!

وكان الحل الوحيد فى تقدير الخطيب المفوه هو تجميع كل هؤلاء الدخلاء فى حديقة الـ (هايد بارك) وإحراقهم أحياء فى يوم محدد كل أسبوع ، على أن يكون غير يوم الأحد (حتى يترك يوم الأحد للخطباء !!) .. وناشد أهالى لندن الأصليين أن يبلغوا البوليس عن أى أحد يعرفونه من هؤلاء الدخلاء الغرباء !!

أقفلت دفترى بسرعة ووضعت قلمى فى جيبى وانسحبت مسرعا بعد أن وجدت الخطيب يركز نظراته علىّ ، وخفت أن يكتشف أننى أنا السبب فى زحمة لندن وأننى أنا السبب الوحيد والمباشر الذى جعل تعدادها يصل إلى ٩ ملايين الآن !!

●

خطيب آخر يهاجم أمريكا بعنف شديد ويهاجم فكرة أنها بلد الحرية والديموقراطية والمساواة : « حرية فيتنام وديموقراطية كوريا ومساواة البيض والزنوج » !! الغريب أن عددا كبيرا من مستمعى هذا الخطيب كانوا من السياح الأمريكيين الذين وقفوا يسمعونه ويضحكون ، وفى كثير من الأحيان يمازحونه ويبادلونه القفشات والنكات والتريقة المتبادلة من الجانبين .. والمسألة من الناحيتين تبدو ودية جدا : الخطيب يشتم أمريكا والأمريكيين ؛ والامريكيون يشتمونه ويسخرون منه .. والجميع مبتسمون ومرحون وسعداء كأنهم يشتركون فى بروفات تمثيلية أو مسرحية تجهز للعرض !

●

وذلك الفتى الإسرائيلى الذى اعتلى سلما خشبيا مزدوجا ووقف وراءه فتى آخر يرفع العلم الإسرائيلى الأبيض بنجمته السداسية : كلاهما لا يزيد على السابعة عشرة .. والفتى الخطيب منطلق جدا ومتكلم جدا ، لكن حججه وأسانيده التى يسوقها واهية جدا وساذجة جدا : العرب هم الذين يقتلون الإسرائيليين ، والمصريون والسوريون هم الذين هاجموا إسرائيل فى أكتوبر ١٩٧٣ دون أن « ينذروا » إسرائيل قبلها – هكذا (!!) – والإرهابيون العرب هم الذين يختطفون الطائرات ويهددون أمن العالم كله .. هل سمع أحد منكم عن إسرائيلى واحد خطف طائرة ؟! !!

الجماهير التى تقف لتستمع إلى الفتى الإسرائيلى يبدو واضحا أن أغلبها عرب : عدد من الفتيات العربيات يبدون

طالبات يدرسن فى إنجلترا ، ويبدون فاهمات لما يقوله الفتى الخطيب باللغة الإنجليزية ، لكنهن لا يجدن الشجاعة للرد عليه .. وعدد آخر من العرب الزوار والسياح واضح تماما أن شكل العلم الإسرائيلى قد اجتذبهم لكنهم لا يفهمون ما يقوله الفتى الخطيب ، لذا فهم لا يعرفون كيف يردون عليه .. لكن التى تصدت له كانت سيدة إنجليزية عجوز هاجمته بشراسة وعنف ، حتى لقد تصورت فى لحظة أنها سوف تهجم عليه لتجتذبه من فوق سلمه لتنهال عليه ضرباً ! .. قالتِ له أنها إنجليزية هاجرت إلى إسرائيل بعد أن أعلنت كدولة عام ١٩٤٨ هي وزوجها وطفليها بعد أن خدعتهم الدعايات التى نشرتها إسرائيل كأرض للميعاد .. لكن هذا الميعاد لم يكن إلا ميعاد ولديها ، فقد فقدت واحدا منهما فى حرب ١٩٦٧ ، وفقدت الثانى فى حرب ٧٣ ، بعد أن فقدت الزوج نفسه فى حرب ١٩٥٦ .. لقد هدمت إسرائيل حياتها وهى لم تكد تبدأ ، وهاهى تجد نفسها وحيدة تماما الآن وهى فى هذه السن : « لقد قتل إبنى الأكبر فى حرب ١٩٦٧ وهو فى مثل سنك ، وكان يجب أن تموت أنت أيضا وتنكسر رقبتك قبل أن تصعد على هذا السلم لتقول هذا الكلام السام لتشجع زوجات أخريات على أن يهاجرن إلى إسرائيل ليعدن منها بعد سنوات محطمات مثلما تحطمت أنا !!

●

الخطيب الآخر راح بلا مناسبة يهاجم الأمريكيين ويتهمهم بأنهم شعب غبى متأخر ، ويقول أن الشعب الإنجليزى هو أذكى شعوب العالم لذا يجب أن يقود هو العالم ويحكم هو العالم !!

وتتصدى له فتاة كندية شابة لتسأله بدهشة شديدة : « إن الله قد خلق الناس جميعا وفيهم الأذكياء وفيهم الأغبياء ، فلماذا تظن

نفسك عبقريا ؟ » فيرد باستغراب لسؤالها : « لأننى إنجليزى ، وذلك يكفى » !! ويضج الجمهور الملتف حوله بالضحك وتأخذ المناقشة شكلا مرحا حين نسأله الفتاة الكندية الظريفة : « إنك لاتبدو إنجليزيا ، فأين ولدت ؟ » فيرد : « أنا لم أولد .. لقد جئت من أنبوبة اختبار » فترد الفتاة على الفور : « إذن ينبغى أن نعود فورا إلى المستشفى الذى جئت منه ، أنت نتيجة فاشلة لـ (عبنة) رديئة » !!

●

أيها السادة القراء : فلتعلموا إن لم تكونوا تعلموا ، والحاضر منكم يعلن الغائب ، أن الموقع أدناه كاتب هذه السطور قد فاز بالجائزة الأولى فى المعلومات العامة مع مرتبة الشرف ، والشهادة أو (الدبلوم) التى أمامى على مكتبى الآن فى هذه اللحظة هى الدليل على ذلك !!

السيدة العجوز الطيبة التى تذهب كل يوم أحد إلى الـ (هايد پارك) ومعها (كرسى پلاچ) منخفض لتجلس عليه بهدوء ووداعة دون أن تخطب أو تزعق أو تثير أى ضجة ، فقط تفتح ملفاً كبيراً فى يدها وتبدأ توجه منه نفس الأسئلة كل يوم أحد للجمهور الذى يلتف حولها .. الأسئلة فى المعلومات العامة : « من الذى بنى برج أيفل ؟ من الذى حرق روما ؟ أين يقع أطول كوبرى فى العالم ؟ ماهى عاصمة أفغانستان ؟ ماهى ترجمة عبارة (جود باى) باللغة العربية ؟ .. وطبعا كان هذا هو السؤال الذى جاوبت أنا عليه بسرعة وطلاقة ، فاستحققت الجائزة التى قدمتها لى السيدة العجوز الطيبة : قطعة شوكولاتة صغيرة ثمنها خمسة بنسات +

سارة صنعتها بيدها من الورق المقوى لكى أشبكها فى عروة سترتى هذه الشهادة أو الدبلوم لكى أبرزها وأضعها فوق مكتبى فى الحريدة !!

●

والمظاهرات أيضا لها نصيبها فى (هايد بارك) الأحد .. المظاهرة الأولى كانت غرابتها فى أنها لا تقول شيئا ولا تهتف لشىء ولا توزع منشورات ولا بيانات ولا حاجة أبداً : مجرد أعلام ملونة لا تدل على شىء محدد ، ترفعها فتيات حسناوات شكلهن يغرى المرء بالإنضمام إلى المظاهرة حباً فى الجمال « وبأبداً » له .. وطبلة كبيرة يدق عليها أيضا حسناء حمراء الشعر .. ويخرج المظاهرة من حديقه الـ (هايد بارك) ووراءها جمع كبير يتزايد باستمرار ، وتلف حول الحديقة فى ٣ ساعات كامله قبل أن يعود إلى نفس المكان الذى بدأت منه فى الـ (هايد بارك) .. وأصحاب العقول فى راحة !

أما المظاهرة الثانية فقد كانت أكثر إيجابية لأنها كانت تقول شيئا .. كانت مظاهره ضد نظام الحكم فى إيران تطالب بالإفراج عن المعتقلين السياسيين فى سجون طهران الذين يرفعون صورهم ، وأيضا يرفعون لافتات مكتوبة باللغة الفارسية ويوزعون منشورات باللغتين الفارسية والإنجليزية ويهتفون هتافات منظمة فى مكبرات صوت الكترونية يحملونها فى أيديهم ..

المهم فى الموضوع أن أغلب المتظاهرين الإيرانيين كانوا يخفون وجوههم وراء أقنعة من الورق المقوى تخفى الوجه كله إلا من فتحتين صغيرتين تبدو منهما العينان .. والبوليس الإنجليزى

يحيط بالمظاهرة من كل جانب لكنه لا يتدخل على الإطلاق ..
ولماذا تخفون وجوهكم ؟ » أسأل واحدا من المتظاهرين فيرد:
« المخابرات الإيرانية يهمها أيضا إلتقاط صورنا لمعرفة من نحن » !!

●

رجل سمين أصلع يحمل كل صحف الأحد تحت إبطه .. كان يتنقل من دائرة إلى أخرى يسخر من كل خطيب ويقاطع كل متكلم ويسبه ويشتمه ويشوشر عليه ، ويبدو كما لو أنه يجد لذته فى مضايقة الخطباء .. ثم ، كما لو أن اللعبة نفسها قد أعجبته فقرر فجأة أن يتحول إلى خطيب هو الآخر ، فزعق بعنف فتحلق المستمعون حوله بسرعة ، وفتح عقيرته بأعلى صوته يشتم العرب بكل قسوة وعنف وشراسة .. وحين لمح وجوها عربية فى المتحلقين حوله زادت شراسته إلى حد محاولة الإعتداء عليهم فعلا .. وهنا فقط تدخل رجال البوليس الإنجليزى المنتشرين فى الـ (هايد پارك) يرقبون ما يجرى، ونهرته ضابطة الشرطة الوسيمة الحسناء بحزم وصرامة وقالت له على مسمع من كل الناس أنه حتى الحرية فى الـ (هايد پارك) لها تقاليد ولها آداب وأنه ليس من حقه أن يتطاول على الناس بأى صورة وإلا فإنها سوف تضطر إلى القبض عليه !! .. وتركته وعادت إلى مكانها تراقبه من بعيد .. فزاد هياج الأصلع السمين وصرخ بأعلى صوته يوجه الكلام إليها على البعد بأنه يعرف جيدا قانون هذه البلاد ، بل ويعرف القانون أكثر منها هى ضابطة البوليس ، وأن البوليس الإنجليزى ورجال سكوتلنديارد فى هذه البلاد يحمون العرب منذ عدة سنوات من أجل نفودهم ، لكننا لا نريد أموالهم ، فليتركوا لنا

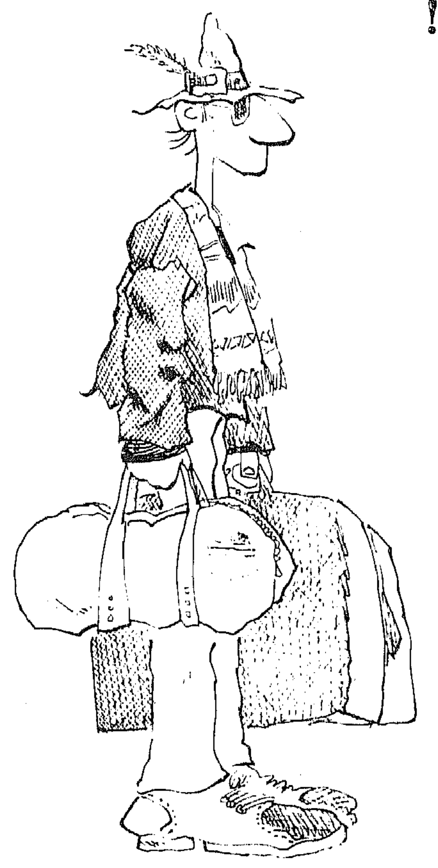
بلادنا وليرحلوا فنحن لا نريدهم هنا .. فليرحلوا فليرحلوا فليرحلوا !!

●

الإنطباع الذى خرجت به بعد ستة أيام أحد فى الـ (**هايد پارك**) هو أن أغلب الخطباء مجانين ، أو على الأقل ليسوا طبيعيين .. ناس غاويين شهرة وغاويين تصوير وغاويين تمثيل وكان نفْسُهُم يطلعوا ممثلين لكن الفرصة لم تواتهم والحظ أخطأ الطريق إليهم ، فلم يجدوا إلا مسرح الـ (**هايد پارك**) ليمثلوا عليه مجانا ، أمام جمهور لا يدفع شيئا إلا التريقة عليهم والسخرية منهم !!

دنيا .. عالم مصغر .. مدينة ملاهى .. سيرك بلا ترخيص الـ (هايد پارك) يوم الأحد !!

هاجر منذ ٣٥ سنة..
والسبب : صورة ..!



لا تصدق أن أحدا ممكن أن يترك وطنه ليهاجر إلى وطن آخر لمجرد السياحة والفرجة وتغيير المكان . الوطن هو « الأم » ولا يهجر أحد أمه إلا إذا كان هناك سبب أقوى من حب الأم يدفعه إلى تركها .

المهاجرون من الوطن الأم وراء كل منهم قصة وحكاية ..

●

لكن « **عاطف** » لم يكن لديه سبب واحد يدعوه إلى الهجرة من مصر ، بالعكس ، توفرت لديه كل الأسباب التى تربطه بوطنه وتجعله « لا » يفكر فى تركه : ابن ناس من أسرة ثرية ، والده من أصحاب الأسماء الشهيرة على امتداد الوطن العربى والإسلامى كله : الشيخ « **مصطفى إسماعيل** » أشهر من رتل القرآن خلال الأربعين سنة الأخيرة . « **عاطف** » نفسه طالب متفوق فى كلية الطب موشك على التخرج طبيبا .. ليس ذلك فقط ، بل إنه بطل مصر فى ألعاب القوى لسنوات عديدة سابقة ومحتمل لسنوات عديدة

مقبلة .. شاب وسيم ومرح محبوب من أصدقائه ومن كل الناس .. فما الذى حدث إذن حتى يجد « عاطف » نفسه فى عام ١٩٩٤ مواطنا ألمانياً يعيش فى المهجر منذ أكثر من ٣٥ عاما ؟!

●

حين حصل « **عاطف** » على الشهادة التوجيهية - الثانوية العامة الآن - فى آخر دفعة تخرجت من المدرسة الثانوية العسكرية فى القاهرة فى عام ١٩٥٢ ، كان الامتداد الطبيعى له بعد ذلك هو أن يلتحق بالكلية الحربية ليكون ضابطا بالجيش المصرى . لكن « عاطف » لم يكن يريد أن يصبح ضابطا ، وإنما كان يحب أن يصبح طبيبا ، فى الوقت الذى لم يكن مجموعه فى التوجيهية يسمح له بالالتحاق بكلية الطب .. كان « عاطف » فى ذلك الوقت من أبطال مصر الدوليين فى ألعاب القوى ، وذهب إلى ألمانيا الغربية مع الفريق المصرى ليشترك فى دورة بطولة الجامعات ، وعاد إلى مصر بالمركز الثامن فقط ، لكنه أيضا عاد مبهورا بألمانيا ، حتى أنه اقترح على أبيه الشيخ « مصطفى إسماعيل » أن يذهب لدراسة الطب فى ألمانيا ، ووافق الشيخ على الفور .

وعاد « **عاطف** » إلى المانيا طالبا فى كلية الطب بجامعة [**هايد لبرج**] .. وما لبث بعد ستة شهور فقط أن فاز ببطولة ألمانيا الغربية كلها فى ألعاب القوى متفوقا على الأبطال الألمان الذين سبق أن فازوا عليه في دورة بطولة الجامعات . وما لبث بعد فترة قصيرة أخرى أن أصبح مدربا للاعبين الألمان أنفسهم ، وعلى يديه تخرج « كلاوس هوفمان » بطل الدورة الأوليمبية فى ميونيخ عام ١٩٧٢ ودكتور « هيرموت شرايبر » بطل العالم رقم ٢ .

وسار « **عاطف** » فى دراسته للطب فى جامعه [**هايد لبرج**] حتى وصل إلى عام البكالوريوس ولم يبق له على التخرج إلا نحو ٨ شهور بعود بعدها إلى مصر طبيبا يفتح عيادته ويبدأ حياته العملية ، ولكن .. ودائما هناك (ولكن) وإلا ما كانت هناك قصة نروى ..

فى ليلة رأس السنة أقيمت فى الجامعة حفله تنكريه .. المفروض أن برتدى كل واحد من الطلاب والطالبات ملابس تاريخية أو ملابس مضحكة ، فالحفلة كانت حفلة شباب وطلاب ومرح وليلة رأس السنة بصخبها الأوروبى المعتاد .. ورأى « عاطف » - بما أنه كان بطلا رياضيا - أن يرتدى شيئا مبتكرا ، فلبس سترة السهرة السوداء الأنيقة وقميصا أبيض و « **پاپيون** » عنق أسود ، ثم لبس الشورت القصير الأبيض وحذاء كاوتش أبيض وشراب أبيض !! ليكون نصفه العلوى بملابس السهرة الرسميه ، ونصفه الأسفل بملابس الرياضة !!

ولفت « **عاطف** » **نظر الحفلة كلها** ، والتقطت له عشرات الصور ، تسربت صورة منها بطريقة ما إلى مصر وإلى جريدة يومية نشرتها على مساحة كبيرة وإلى جانبها صورة أخرى لوالده الشيخ ، وهاجمت الصحيفة تصرفات الشباب المصريين فى أوروبا وقالت ما معناه : (**وهذا هو ما يفعله ابن فضيلة الشيخ مصطفى اسماعيل فى ألمانيا**) !!

●

وهاجت الدنيا فى مصر ، وثار الشيخ « **مصطفى اسماعيل** » الذى لم يكن لديه أى فكرة عن مسألة الحفلات التنكرية ، وأعلن

تبرءه من « أفعال » ابنه ، وقطع عنه على الفور المبلغ الذى كان يرسله إليه شهريا ليعيش منه فى ألمانيا ، وطلب منه العودة إلى مصر فورا !!

واستمرت القطيعة والخصام من الأب لإبنه ٧ سنوات كاملة ، كان لابد لعاطف خلالها أن يفعل شيئا لكى يكسب بنفسه ما يكفل له الاستمرار فى الدراسة .. وأقرضه واحد من أصدقائه الألمان مبلغا إفتتح به ناديا للطلبة العرب فى [**هايد لبرج**] يقدم فيه بعض المأكولات الخفيفة والمشروبات ويعرض فيه أفلاما مصرية .. وسرعان ما نجح هذا النادى نجاحا كبيرا فاق كل توقعات « **عاطف** » لكنه فى الوقت نفسه كان « **النجاح النقمة** » الذى يجلب الحسد والغيرة من بعض الأطراف الأخرى .. فبدأت مشاكله من ناحية مع الجامعة التى أهمل دراسته فيها إلى حد ما ليتفرغ لإنجاح النادى ، ومع بلدية مدينة [**هايد لبرج**] من ناحية أخرى نتيجة تدخل النقابات الألمانية ، على اعتبار أن « عاطف » مجرد طالب أجنبى فى الجامعة وليس عضوا فى أى نقابة !! وشكته بلدية [**هايد لبرج**] إلى رئيس الجامعة الذى فصله من الجامعة كلها !! ولم يكن ذلك تصرفا قانونيا ، إذ لا يفصل طالب من الجامعة فى ألمانيا إلا بحكم قضائى .. ●

وهكذا عاد « **عاطف** » **إلى الجامعة** ، لكن إلى كلية أخرى غير كلية الطب ، من باب التيئيس والتعجيز .. لكن « عاطف » بدأ فعلا المشوار كله من أول وجديد ليدرس هندسة الديكور فى كلية الفنون الجميلة ، ويتخرج فيها .. لكنه اعتبر أن دراسته هذه شئ مجرد

هواية فقط وظل يعمل فى النادى الذى كان قد افتتحه ، ثم بعد فترة أضاف إليه ناديا آخر فى نفس المدينة ، ثم مالبث أن أصبح شريكا فى كل الأندية الأخرى الموجودة فى [**هايدلبرج**]كل ذلك وهو لازال مصريا دون أن يفكر فى الحصول على الجنسية الألمانية ، لأن النظام فى ألمانيا لا يسمح بالجنسية المزدوجة ، فإما مصرى فقط أو ألمانى فقط ..

وجاءت الحرب المصرية الإسرائيلية عام ١٩٦٧ ، وبدأ اضطهاد العرب فى ألمانيا كلها ، وصار يتم طرد العربى من ألمانيا لأوهى الأسباب مهما كانت مدة إقامته فيها ، حتى لو ركن سيارته فى مكان غير المخصص لها يطرد من ألمانيا فورا بحجة أنه مهاجر ولا يحترم قانون البلد الذى يأويه !!

وهكذا وجد « عاطف » نفسه مضطرا لأن يحصل على الجنسية الألمانية حتى لا يجد نفسه يوما ما مطرودا من ألمانيا .. وقد كان ، وأصبح مواطنا ألمانيا بعد ١٧ سنة من الحياة فى ألمانيا .. ليس ذلك فقط ، بل جاءه حتى باب بيته عمدة مدينة [هايد لبرج] الذى كاد يوما ما أن يوقع قرار طرده من ألمانيا ، ليطلب إلى « عاطف » أن ينضم إلى حزبه ويرشح نفسه ليكون عضوا فى البرلمان المحلى للمقاطعة !! ونشرت الصحف الألمانية اسم « عاطف اسماعيل » وصوره باعتبار أنه الأجنبى الوحيد المرشح فى هذه الانتخابات ..

بعد ٣٥ **سنة فى المهجر** فى ألمانيا « **عاطف مصطفى إسماعيل** » عمره الآن ٥٨ سنه وله ابنة واحدة اسمها « نادية » من زوجته الألمانية ، تسير على نهج أبيها وتدرس هندسة الديكور

مثلما فعل .. وبعد أن كان « عاطف » قد انقطع عن الذهاب إلى مصر لمدة ١٥ سنة كاملة ، عاد يذهب إليها الآن من حين لآخر ، وفى أعقاب حرب أكتوبر تبرع للمجهود الحربى فى مصر بسيارة إسعاف مجهزة ..

أسأل « **عاطف مصطفى اسماعيل** » ونحن نجلس معا فى ركن من أركان ناديه فى [**هايد لبرج**] فى أمسية من أمسيات الشتاء الماضى : بعد ٣٥ سنة من الاغتراب عن الوطن ، هل يفكر فى أن يعود إلى مصر عودة نهائية يوما ما ، وأن يعود إلى قريته [**ميت غزال**] مركز السنطة بمحافظة الغربية ؟!

ويرد « عاطف » على الفور :

ـ إن ألمانيا ليست وطنى وعمرها ما كانت وطنى ، رغم الجنسية الألمانية وجواز السفر الألمانى ، وسأظل إلى آخر يوم فى عمرى مواطنا مصريا أعمل فى ألمانيا .. ألمانيا هى فقط « مقر عملى » !



HAVE YOU APENNY FOR GUY?



حين رأيتهم لأول مرة قفزت إلى ذهنى وتصوراتى على الفور أنها شطحة جديدة من شطحات هذا العالم المجنون الذى اسمه [لندن]..طريقة غريبة جدا وظريفة جدا للشحاتة الإنجليزى : مجموعة من الصبيان والبنات الإنجليز الصغار ، واضح جدا أنهم [ولاد ناس] شكلا وموضوعا :

لبسهم طبيعى ونظيف ومهندم ومرتب ، ويبدون مهذبين للغاية . معهم دمية كبيرة مصنوعة من القش فى حجم الرجل العادى ، لها وجه من القماش مرسوم عليه عينان وأنف وفم ، ويلبسونها ملابس عادية : قميص وبنطلون وچاكيت أو سوبتر أو بولوفر ، وحذاء وقبعة .. ويجلسون هذه الدمية على الأرض فى الشارع مسنودة إلى حائط أو جذع شجرة .. ثم يستوقفون السائرين

فى الشارع لبطلبوا منهم « بنسا واحدا من أحل جاى » بهذه العبارة التى لا تتغير وكأنها إصطلاح متفق عليه أو كأنها من قواعد اللعبة : [Have you a Penny For Guy?]

ورزق الهبل على المجانين .. ناس يعطونهم بنساً واحدا - [**صحتها** « **پينى** » **أو** «Penny» **بالمناسبة**] - وناس يعطونهم عدة بنسات من أجل الخواجة « جاى » الراقد على الأرض ، وناس يعطونهم شلنا ، وناس لا يعطونهم شيئا .. لكن الأولاد والبنات لا يلحون ولا يطاردون أحدا .. إنما هى على أى حال طريفه غريبة حدا للشحاتة ، تشبه إلى حد ما ما يحدث من الأطفال المصريين فى شهر رمضان فى الريف المصرى وفى الاحياء الشعبية فى المدن المصرية ، حين يحملون فوانيس رمضان ويدوروا يطرقون أبواب منازل الحى أو أبواب بيوت القرية ، ويلاحقون السائرين فى الشوارع وهم ينشدون : [حاللو ياحاللو رمضان كريم ياحاللو .. لولا فلان لولا جينا ، ياللا الغفار .. يحل كيسه ويدينا، ياللا الغفار، إدونا العادة ، ياللا الغفار .. حل الكيس وادينا بقشيش يانروح ما نجيش ورمضان كريم ياحاللو ... إلخ] .. فيحل كل فلان كيسه ويعطيهم اللى فيه القسمة وما تجود به نفسه ..

•

ظننت الأطفال الانجليز يلعبون ما يشبه هذه اللعبة فى بلادنا ، واستغربتها ، أو على الأقل استغربت « توقيتها » ، فلم أكن أعرف أن هناك عيدا معينا أو مناسبة دينية ما يحتفلون بها فى ذلك الوقت من

السنة .. وسألت .. فعرفت القصة الحقيقية وراء الرجل القش المستر « جاى » الجالس على الأرض فى شوارع لندن يجمعون له البنسات ..

●

تبدأ هذه اللعبة الموسمبه فى الأسبوعين الأخيرين من شهر أكتوبر والأيام الأولى من شهر نوفمبر كل عام .. ويظل مستر « جاى » جالسا على الأرض حتى مساء يوم ٥ نوفمبر .. وفى ذلك اليوم يشترى الأطفال الإنجليز بحصيلة البنسات التى جمعوها من المارة طوال الأسابيع الثلاثة السابقة ، بتترون [**بمب**] وصواريخ أطفال وبنزبن .. ويفرقعون البمب ويضربون الصواريخ ويحدثون أكبر ضجة ممكنة وهم يشعلون النار فى مستر « **جاى** » الرجل القش الراقد على الأرض . ويحرقونه فى احتفالات كبيرة هائصة فى كل شوارع لندن وكل المدن والقرى البريطانيه ، دون أن يتعرض لهم البوليس الإنجليزى النشيط .. ذلك لأن هذه اللعبة ليست إلا تقليدا إنجليزيا شعبيا وإحياءً لقصة ناريخية قديمة حدثت فى انجلترا فى القرن السابع عشر ..

●

فقد قبض البوليس الإنجليزى أيامها على شاب إسمه « جاى فوكس «GUY FAWKES» بتهمة ندبير مؤامرة لحرق البرلمان الإنجليزى .. وحوكم « جاى » .. ورغم أن التهمة لم نثبت عليه نماما إلا أنه حكم عليه بالإعدام ونفذ فيه الحكم فعلا ..

وقد ولد « **جاى فوكس** » فى مدينة [**يورك**] عام ١٥٧٠ وكان أبوه محاميا .. ونشأ « جاى » فى مدرسة پروتسنانية ، لكن بعد وفاة

الأب عاد « جاى » إلى الكاثوليكية شديد التعصب لها ، حتى أنه تطوع فى الجيش الأسبانى عام ١٥٩٣ . وعندما توفيت الملكة « إليزابيث الأولى » عام ١٦٠٣ وتولى عرش إنجلترا واسكتلندا الملك « چيمس الأول » ، كان الصراع على أشده بين الكاثوليك والپروتستانت ، وكان « چيمس الأول » پروتستانيا والپروتستانت يسيطرون على البرلمان فى إنجلترا .. فقرر الكاثوليك نسف مبنى البرلمان أثناء وجود الملك به ، لكى يتخلصوا منهما معا ، الملك وبرلمانه .. وكلفوا « جاى فوكس » بتنفيذ هذه المهمة ، وحددوا لذلك يوم ٥ نوڤمبر عام ١٦٠٥ .. على أن يتم استيلاؤهم على السلطة فى انجلترا ثم طلب المساعدة والدعم من أسپانيا التى كانت أقوى دولة كاثوليكية فى العالم فى ذلك الوقت .

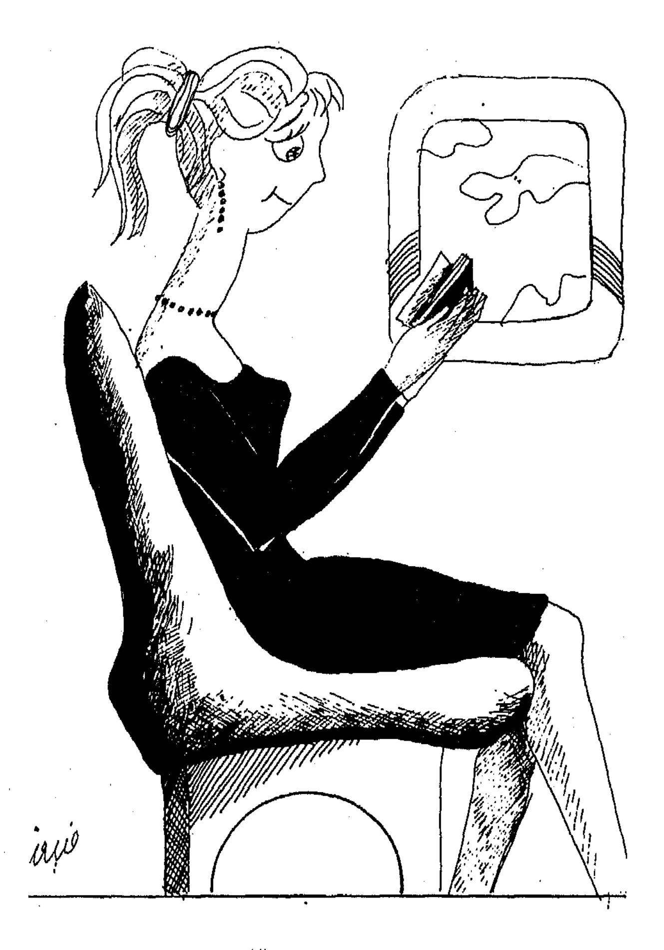
واستأجر المتآمرون البيت المجاور للبرلمان ، وعاش « جاى » فى هذا البيت متظاهرا بأنه خادم .. واستأجروا أيضا مخزنا يقع تحت مبنى مجلس اللوردات مباشرة .. ووضع « جاى فوكس » فى هذا المخزن براميل البارود والحطب اللازم لإشعال الحريق لنسف المبنى .. لكن فى اللحظة الأخيرة حذر أحد المتامرين صهره الذى كان عضوا فى البرلمان ، وبعث له رسالة يناشده فيها عدم الذهاب إلى البرلمان فى ذلك اليوم بالذات .. فأبلغ عضو البرلمان البوليس الإنجليزى الذى قبض على « جاى فوكس » وهو على وشك إشعال النار فعلا .. وعذب « فوكس » تعذيبا شديدا لكنه لم يعترف على زملائه .. وتم إعدامه فعلا فى ٣١ يناير عام ١٦٠٦ ..

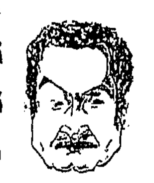
●

ومنذ ذلك الوقت والإنجليز يحتفلون بذكرى اليوم الذى كشفت

فيه المؤامرة وقبض على « جاى فوكس » ، بإشعال آلاف الحرائق الصغيرة فى دمى من القماش ترمز لـ « جاى فوكس » فى كل شوارع المدن والقرى الإنجليزية ، لكى تتذكر الأسرة الملكية دائما ذلك اليوم ، ولترسيخ وتثبيت معنى أن [الملك يملك ولا يحكم] وأن حرق البرلمان ليس معناه حرق الديموقراطية .. لأن الديموقراطية ليست لفرد مهما كان ، حتى لو كان ملكا ، يمنحها للمواطنين أو يمنعها عنهم .. **وأن الشعب الذى تعود أن يعيش فى ظل الديموقراطية مستعد لأن يحرق نفسه فى سبيلها وفى سبيل استمرارها ..**

حكاية بنت إنجليزية إسمها « عيشة » !





« مارجريت توملين » فنانة تشكيلية إنجليزية شابة ، تخرجت فى كلية الفنون الجميلة فى لندن ، وبمجرد تخرجها رحلت إلى أستراليا لتلحق بأختها الكبرى التى سبقتها ، وهناك عملت كرسامة ومصممة ديكور ، وتخصصت فى شىء قد يبدو لنا غريبا جدا : تصميم الحمامات ! نعم : حمامات البيوت الكبيرة وقصور الأثرياء ، بحيث يصبح شكل الحمام فى بيت ما أو قصر ما غير متكرر فى أى مكان آخر !!

المهم ، لمعت « مارجريت » واشتهرت على إمتداد ١١ سنة فى استراليا ، ثم بدأت فى جولة طويلة لكى تنشر فكرة الحمامات الخاصة المنفردة هذه فى أماكن أخرى من العالم .. فنقلت نشاطها إلى انجلترا ثم إيطاليا ثم سويسرا ، حتى انتهى بها المطاف إلى أمريكا حيث عملت هناك لمدة ٧ سنوات .. وفى أمريكا كانت هناك نقلة أخرى فى حياة الرسامة الشابة « مارجريت » لم تشعر بها فى البداية ، بل لعل البداية لم تكن أبدا لتؤدى إلى النهاية التى انتهت إليها .

كانت « مارجريت » تعيش فى ولاية (تشارلوت) الأمريكية ، وكان عملها مرتبطا بصورة ما بمدينة نيويورك التى كانت تذهب إليها مرة كل أسبوع لتقضى فيها يوما واحدا ، فتذهب بطائرة الصباح وتعود فى طائرة المساء .. وكأى فتاة أوروبية مثقفة حريصة على ألا تضيع وقتها إلا فيما يفيد ، فهى تضع فى حقيبة يدها دائما كتابا ما لتقرأه خلال الـ ٧٠ دقيقة التى تستغرقها رحلة الطائرة إلى نيويورك ، وفى عودتها منها .. وتبدأ القصة ذات يوم حين أنهت « مارجريت » الكتاب الذى كان معها خلال رحلتها الصباحية إلى نيويورك ، فقررت أن تشترى من مكتبة مطار نيويورك كتابا آخر لكى تقرأه فى رحلة العودة . وحين دخلت مكتبة المطار فى المساء حرصت على أن تحصى النقود التى معها لترى الثمن الذى تدفعه فى الكتاب بحيث يتبقى معها بعد ذلك أجر التاكسى الذى ستعود به من مطار (تشارلوت) إلى بيتها .. ووجدت « مارجريت » أنها تستطيع أن تشترى كتابا بحيث لا يزيد ثمنه عن دولار واحد فقط .. وللحظ ، أو لترتيب خط المصادفات التى أدت إلى النهاية التى أحكى هذه القصة بسببها ، كان الكتاب الوحيد الذى وجدته « مارجريت » وثمنه فى حدود دولار واحد هو : [ترجمة القرآن الكريم باللغة الإنجليزية] ! فاشترته وفى ذهنها أنه لا بأس من معرفة بعض المعلومات عن المعتقدات الدينية لـ « هؤلاء العرب » الذين أصبحوا فى السنوات الأخيرة يمثلون (ثقلا ماديا) يعمل له العالم ألف حساب .

وفى الطائرة قرأت من الكتاب عدة صفحات ثم غلبها التعب فنامت ، وحين عادت إلى بيتها أفرغت حقيبتها ووضعت الكتاب

فى مكتبتها دون أن تكمل قراءته ، ودون أن تعود إليه مرة أخرى .. نسيت « مارجريت » الكتاب تماماً .

●

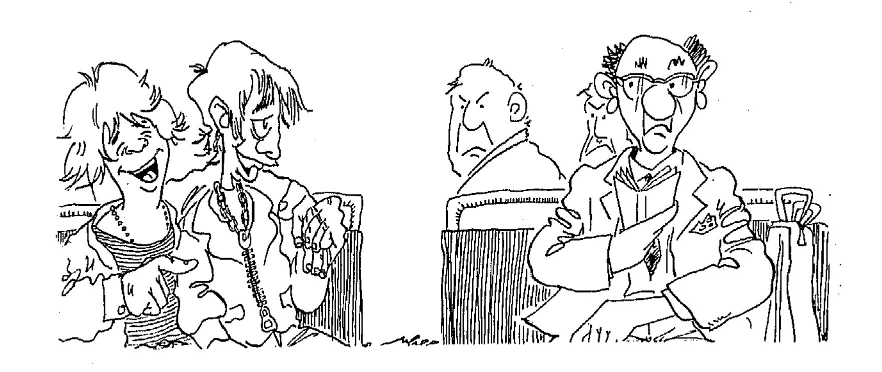
بعد سنتين من هذه القصة قررت « مارجريت » أن تنهى أعمالها فى أمريكا وتعود إلى وطنها انجلترا لتقضى بقية حياتها فيه .. وحين كانت تضع فى حقائبها الأشياء التى ستأخذها معها إلى انجلترا وجدت هذا الكتاب ، وتذكرت أنها لم تكمل قراءته ، فوضعته بين أشياءها ، وفى بيتها الجديد فى أحد ضواحى لندن وضعت الكتاب فى مكتبتها مع الكتب الأخرى ، ونسيته مرة ثانية لمدة عامين آخرين !

فى ليلة أرقت فيها « **مارجريت** » مدت يدها إلى مكتبتها (عميانى) لتأخذ أى كتاب يخرج فى يدها بالصدفة لكى تقرأ فيه حتى يغلبها النوم .. وكان الكتاب الذى خرج فى يدها هو نفس الكتاب الذى اشترته من مطار نيويورك ولم تقرأ فيه غير عدة صفحات : (ترجمة معانى القرآن الكريم) ! .. ولم تنم « مارجريت » ليلتها حتى انتهت من قراءة الكتاب كاملا فى الحادية عشرة من صباح اليوم التالى ، فقامت لتجرى بعض الإتصالات التليفونية ، ثم ترتدى ملابسها وتخرج من بيتها إلى المركز الإسلامى فى (پارك رود) لكى تشهر إسلامها !! فقد وجدت « مارجريت » أنها طول عمرها كانت تتبع تعاليم هذا الكتاب دون أن تعرف أن هذا هو الإسلام .. !

●

وهكذا تحولت « مارجريت توملين » إلى « عائشة » منذ ٧ سنوات ، وبدأ شكل الحياة فى بيتها يختلف : فهى تصوم فى شهر

رمضان وتحتفل بكل المناسبات الإسلامية ، وفى الوقت نفسه تحتفل بأعياد الكريسماس ورأس السنة وعيد (الإيستر) لأن ابنتيها من زواج لم يستمر طويلا لازالتا على دينهما .. ولم تشأ « مارجريت » - عائشة الآن - أن تؤثر عليهما لتتحولا إلى الإسلام ، ورأت أن تتركهما حتى تصبحان فى السن التى تمكنهما من أن تقتنعا بالإسلام وحدهما دون تأثير منها . كما اقتنعت به هى دون تأثير من أحد !



حـــــــدث
ذات
متــــــرو ..!



لابساً بدلتى الشيك - بتاعة المناسبات - راكبا المترو [الأندرجراوند] من محطة [هونزلو ويست] إلى وسط لندن فى طريقى إلى موعد هام .. ولدان فى الرابعة عشرة وأنا صاعد إلى المترو « هبدنى » واحد منهما كتفاً على غير توقع منى ، لوحنى ، دون أن يقول لى كعادة الإنجليز المهذبين : « متأسف » أو «Sorry» .. ضايقنى أنه لم يعتذر ..

ركبا نفس العربة التى ركبت فيها .. لم يجلسا ، وإنما راحا يتشقلبان ويتصارعان ويتمازحان بصوت عال وبطريقة عنيفة مزعجة أثارت ضيق وتأفف كل ركاب العربة الإنجليز .. لكنهم إنجليز ، كل واحد فى حاله .. أقرأ كتابا باللغة العربية .. الولدان ينظران إلى ناحيتى ويتهامسان .. يزنانى بأعينهما وقد تأكدا أننى أجنبى .. بدءا يعاكسانى ويشاكسانى بالإيماءة وبالحركة .. وأنا أكره دلع الصبيان ومياصتهم .. من البنات مقبولة لأنها جزء من الأنوثة ، لكن من الصبيان مرفوضة لأنها دليل عدم الرجولة .. تماديا .. وشعر كل الركاب فى العربة بأن الصبيين يتحرشان بى .. قلت فى نفسى ياواد إقصر الشر وكلها كام محطة وتنزل وتترك

لهما المترو بحاله .. تذكرت فيلم [**الحادث**] الذى جرت حوادثه كلها فى داخل عربة مترو كهذه .. لكنهما لم يمهلانى .. واحد منهما فى يده ورقة مكورة بها أثار ساندوتش .. ألقاها إلى زميله البعيد عنى فى الناحية الأخرى .. لكنها - بتعمد - تحولت لتلبس فى جانب رأسى !! .. رفعت عينى عن الكتاب ورمقت الولد بنظرة نارية .. فنظر فى عينىّ بوقاحة وبجاحة وقال ببرود وتحد واستفزاز : « متأسف Sorry » وكأنه يشتمنى ..

أقفلت كتابى بهدوء جدا .. فتحت شنطة أوراقى ووضعت فيها الكتاب ، بهدوء جدا .. أقفلت الشنطة مرة أخرى ، بهدوء جدا .. وضعت الشنطة فوق الكرسى الخالى إلى جوارى ، بهدوء جدا .. قمت من مكانى ، بهدوء جدا .. واتجهت إليه فى خطوات عادية جدا ووجهى جامد لا يحمل أى تعبير ، حتى واجهته تماما ، فرفعت يدى ، بهدوء جدا وببطء جدا ، وفقعته - بكل قوتى - قلماً على صدغه سيظل يحلف به ويحلم به طول حياته ، رن كمدفع رمضان فى سكون العربة التى كان كل ركابها ينظرون إلى ناحيتنا فى ترقب شديد .. وقلت له ، بهدوء جدا وبرود جدا وغلاسة جدا : « **متأسف** .. Sorry » .. ووقفت أمامه أنتظر رد الفعل .. فلم ينبس ببنت شفة .. فاستدرت بهدوء جدا ، **وعدت إلى مقعدى** ، **بهدوء جدا ، وفتحت شنطتى ، بهدوء جدا ، وأخرجت كتابى ، بهدوء جدا ، وعدت إلى القراءة من جديد .**

ونزل الولدان فى المحطة التالية ..

بس .. خلاص ..

مشاهدينا
الأعزاء ..
هل بلغكم
نبأ الـ
«سى فاكس»!؟





حين استقر بى المقام فى انجلترا وبما أن عملى الصحفى فى القاهرة كان مرتبطا بصورة ما بالتليفزيون ، فقد كان أول ما ا هتممت به هنا هو أن أزور التليفزيون الإنجليزى الـ (بى بى سى) ، على اعتبار أننا (أولاد كار) .. وهناك تعرفت لأول مرة على الـ (سى فاكس) .

وكان وقتها لازال فى مرحلة التجارب النهائية وبدأ استعماله على نطاق ضيق جدا ككل شىء جديد فى بدايته .. لأنه - إلى حد ما - لم يكن بعد مفهوما تماما بالنسبة للمشاهدين الذين سوف يستفيدون من خدماته .. بل واستطيع أن أقول أنه كان منظورا إليه على أنه نوع من (الحنشصة) أو المبالغة فى استعراض العضلات الفنية والهندسية التليفزيونية ..

لكنه الآن - بعد ١٥ سنة تقريبا من بدء استخدامه - أصبح جهازا شعبيا موجودا فى أغلب البيوت الإنجليزية ، وهبط ثمنه من ٣٠٠ جنيه - إسترلينى طبعا - فى بداية ظهوره حتى وصل الآن

إلى أقل من ٣٥ جنيها .. وبازدياد انتشاره والتوسع فى استخدامه والإقبال عليه فإن من المتوقع أن يصل سعره خلال الخمس سنوات القادمة إلى ١٥ جنيها فقط أو حتى أقل .. فما هى حكاية الـ (سى فاكس) هذا !؟

●

أولا إسمه « **سى فاكس** » تصغير لعبارة (سى فاكتس See Facts) بالإنجليزية .. بمعنى (شوف الحقائق) أو (لترى الحقائق) ..

جهاز صغير فى حجم الآلة الحاسبة اليدوية الصغيرة فى حجم كف اليد ، أو فى حجم الريموت كونترول الصغير الذى أصبح معروفا فى مصر الآن .. وهو يشبه كليهما كثيراً ، يشبه الآلة الحاسبة والريموت كونترول معا ، فى أن به مجموعة أزرار تحمل الأرقام من ١ إلى ١٠ كالمعتاد ، بالإضافة إلى مجموعة صغيرة من الحروف .. لكن هذا الجهاز الصغير ليست مهمته أن يفتح التليفزيون ويقفله ويضبط الإضاءة ويغير القنوات كما يفعل الريموت كونترول ، إنما هو يؤدى وظيفة أخرى مختلفة تماما ، هى الـ : سى فاكس !

عندما تشترى هذا الجهاز الصغير من المحلات التى تبيع أجهزة التليفزيون ، يعطونك معه دليلا صغيرا أو نشرة صغيرة تشبه الفهرس .. مذكور بها الأرقام التى تستخدمها لتفتح أمامك أبواب أو صفحات الـ « سى فاكس » فى قناتى التليفزيون الإنجليزى الحكوميتين الأولى والثانية ، أو أبواب الـ « تلى تيكست » فى محطتى التليفزيون الإنجليزى التجاريتين : « آى . تى . ڤى + القناة رقم ٤ »

هذه الأرقام هى المفاتيح التى تفتح أمامك أبواب أو صفحات الـ (سى فاكس) والـ (تلى تيكست) .. وأنا أكرر اسميهما حتى نحفظهما فقد يوعدنا ربنا زى ما وعد الإنجليز ، ويصل إلينا ذلك الجهاز الظريف وخدماته .. هذا الجهاز الظريف يحول جهاز التليفزيون فى بيتك إلى جريدة أو مجلة مطبوعة تصدر فى الوقت الذى تريده أنت وتقلب صفحاتها على مزاجك ووفق رغباتك الشخصية ، لكى تقرأ فيها ما تريد فى أى لحظة تريدها .. وهى جريدة لا تصدر أسبوعية ولا يومية ، ممكن أن تتغير المواد المطبوعة فى أى صفحة من صفحات هذه الجريدة لكى يعطيك أخبار آخر ثانية ممكنة فى الموضوع الذى تريده .. وسأعطيك صورة من خدمات هذا الـ « سى فاكس » الظريف ..

سعادتك قاعد فى البيت فى أمان الله بتتفرج على التليفزيون ولا تنوى الخروج من البيت هذه الليلة .. لكن السيدة حرمكم زى الشريك المخالف – كعادتها – قررت أن تخرجا الليلة لتسهرا فى الخارج لكى تستعرض فستانها الجديد الذى أرسلته لها الخياطة توا .. « طيب حانروح نسهر فين يامدام ؟ » . « هده ليست مشكلة » لنسأل الـ « سى فاكس » ..

تنظر حرمكم إلى الجدول الذى لديكم ، وتضغط على رقم ٢٣٠ فينقطع من على شاشة التليفزيون برنامجك المفضل المعروض الآن والذى كنت تشاهده باستمتاع لكى يظهر على الشاشة بدلا منه لوحة كبيرة مكتوب عليها أسماء كل دور السينما فى القاهرة – مثلا يعنى – وأسماء الأفلام المعروضة فى كل منها وأسماء الأبطال

والنجوم المشتركين فى كل فيلم ، وهل هو فيلم بوليسى أو عاطفى أو تاريخى أو رعاة بقر أو علمى .. وأمام اسم كل فيلم من هذه الأفلام رقم آخر ..

« **ذلك ليس كافيا** » تقول زوجتك « أريد تفصيلات أكثر عن هذه الأفلام » .. فتضغط سعادتك على الأزرار مرة أخرى حسب الأرقام المذكورة أمام كل فيلم فى اللوحة التى أمامك ، لتختفى من على الشاشة اللوحة التي عليها أسماء « كل » دور السينما والأفلام ، وتظهر بدلا منها لوحة أخرى فيها تفصيلات أكثر عن كل فيلم على حدة : اسم المخرج وأسماء الفنيين ونوع الفيلم وموجز سريع لقصته وماذا قال النقاد عنه.وهل هو للكبار فقط أم أنك تستطيع أن تصطحب زوجتك معك ..

وتظل تضغط على الأرقام فى جهاز الـ « سى ڤاكس » فى يدك لكى تتغير اللوحات أمامك على الشاشة وكل لوحة منها تعطيك تفصيلات عن فيلم ما ، وتظل السيدة حرمكم تمط شفتيها وترفضها واحدا بعد الآخر ، حتى يضيع موعد السينما ..

●

لكن الست حرمكم لازالت مصرة على الخروج «لنذهب إذن إلى المسرح » تقول حرمكم .. فتضغط سعادتك على مجموعة الأزرار مرة أخرى لتظهر أمامكما على الشاشة أسماء كل مسارح البلد وأسماء كل المسرحيات المعروضة فيها .. وحينما يستقر الرأى على مسرحية منها تضغط على الأزرار مرة أخرى لتظهر لك على الشاشة تفصيلات أكثر عن هذه المسرحية بالذات .. حتى

يتم الاتفاق – أقصد إتفاق زوجتك مع نفسها – على المسرحية التى ستذهبان إليها ، فتطلب منك أن « تتفضل تقوم تلبس هدومك » .

إنجلترا ليست كمصر .. فى إنجلترا قبل أن تتحرك من غرفة إلى غرفة أخرى فى بيتك ينبغى أن تسأل عن حالة الطقس أو الجو .. حالة الطقس هنا – وفى أوروبا عموما – مسألة مهمة جدا لدرجة أنهم يكتبون حالة الطقس اليوم تحت اسم الصحيفة أو الجريدة اليومية مباشرة .. ينبغى إذن أن تعرف حالة الطقس الآن فى هذه اللحظة لكى تعرف ماذا تلبس هل تأخذ معك الشمسية أم تكتفى بلبس البالطو فقط .. سوف تضغط على الأزرار من ١٨٠ إلى ١٨٩ لكى تعرف حالة الطقس فى هذه اللحظة ، والتغيرات أو التوقعات المنتظرة فى الجو لباقى المساء .. يمكن لو كنت قد عرفتها قبل ذلك بساعة واحدة فقط فإن هناك احتمال كبير أن يكون الطقس قد تغير الآن ..

لبست سعادتك ملابسك وتسلحت بالبالطو والكوفية الصوف والشمسية .. وارتدت حرمكم الفستان الجديد الشيك عريان الصدر والظهر والأكمام ، وخلاص خارجين .. لكن ساعتك قد أعطتها زوجتك للأطفال ليتسلوا بها فخربوها ، وساعتها هى من الماس ثمنها ألف جنيه لكنها ساعة منظر فقط لا تعمل ولا تبين الوقت لأنها ليس بها عقارب .. لا بأس ، لتسألا الـ « سى فاكس » بالضغط على الرقم ٢٦٠ لتظهر لكما على شاشة التليفزيون ساعة تبين الوقت الآن بالضبط ، وتظل الساعة موجودة على الشاشة لمدة ١٥ ثانية طالما أنكما لم تضغطا على أزرار أخرى .

●

وتكتشف زوجتك - بعد معرفة الوقت - أنه لازال أمامكما ساعة على موعد المسرح ، تكفى لتناول العشاء فى مطعم قبل الذهاب الى المسرح : « أى مطعم تفضلين ياعزيزتى ؟ » ده سعادتك اللى بتقول ، وبالإنجليزية طبعا ، فليس هناك زوج مصرى يقول لزوجته « ياعزيزتى » .. ترد عزيزتك : « لنسأل الـ « سى فاكس»وتضغط على الأزرار مرة أخرى لتظهر لك على الشاشة قائمة بأسماء المطاعم وأماكنها وعناوينها ومواعيدها ، ودرجاتها أو مستوياتها طبعا ، والمطاعم التى انتهت مواعيدها وشطبت بدرى وتلك التى لازالت فاتحة فى انتظار تشريف سعادتك وسعادتها .. وأشهر الوجبات التى يقدمها كل مطعم منها : سمك أو مشويات أو كباب ، وهكذا ..

●

وحين تعودان من العشاء فى الخارج ومشاهدة المسرحية ، وذلك كله يحدث قبل الحادية عشرة مساء .. فإن المسارح ودور السينما هنا تنهى حفلاتها فى العاشرة والنصف مساء ، حتى يستطيع المشاهدون العودة إلى بيوتهم فى وقت مناسب ، أولا لكى يستخدموا وسائل المواصلات العادية فى العودة إلى بيوتهم : المترو الاندر جراوند ، أو الاوتوبيسات .. وثانيا لكى يناموا بدرى ويستيقظوا بدرى ليذهبوا إلى أعمالهم ..

المهم أن سعادتك وسعادتها عدتما إلى البيت ، وعدت أنت إلى مقعدك أمام التليفزيون بعد أن كنت قد نسيت وطار من دماغك تفاصيل باقى برامج السهرة فى قنوات التليفزيون الإنجليزى الأربعة ، وأيضا فى محطات الراديو .. لكن هذه ليست مشكلة ..

الـ (سى فاكس) يحل لك كل مشاكلك .. مصباح علاء الدين .. **إضغط** على الأزرار ١٧١ لتظهر أمامك تفاصيل برامج السهرة فى قناة الـ (بى . بى . سى الأولى) ثم اضغط على الأزرار ١٧٢ لتظهر لك تفاصيل باقى برامج السهرة فى قناة الـ (بى . بى . سى الثانية) ، أو اضغط ١٧٣ لتظهر لك تفاصيل برامج القناة التجارية (آى . تى . ڤى) و١٧٤ لتظهر لك تفاصيل برامج الراديو .. وإذا كنت تريد أن تختم سهرتك أمام التليڤزيون بمشاهدة فيلم فقط ، فاضغط على الأزرار ١٧٥ لتظهر لك قائمة بالأفلام التى ستعرضها كل قنوات التليڤزيون المختلفة فى سهرة الليلة .. والأزرار ١٧٨ تجعل برامج قنوات التليڤزيون كلها لليوم التالى تظهر لك على الشاشة أمامك ، بمجرد ضغطة زر ..

●

لم يعجبك شىء من هذا كله ، لكنك تذكرت أن نشرة الأخبار قد فاتتك وأنت سهران خارج البيت مع السيدة حرمكم .. لا بأس .. **إضغط** على الأزرار رقم ١٠١ ليظهر لك على الشاشة موجز لأهم الأنباء التى أذيعت فى نشرات الأخبار الأخيرة أو التى ستذاع فى نشرة الأخبار القادمة .. وأمام كل خبر منها رقم آخر .. لفت نظرك فى هذا الموجز خبر عن الحرب الدائرة بين العرب والعرب ، وهذه المسألة تهمك .. اضغط على الأزرار بالرقم الموجود أمام موجز الخبر لكى تعطيك الشاشة أمامك كل التفاصيل الأخيرة جدا عن موضوع الحرب بين العرب والعرب .. وهكذا ..

خلصت من أخبار الحرب وتريد أن تعرف أخبار المال

والبورصة والأسهم والسندات وما إلى ذلك ، بينما الشريك المخالف نريد أن تعرف أسعار البضائع المعروضة فى المحلات التى أعلنت عن الأوكازيونات فى صحف اليوم .. إترك لها الغرفة كلها والتليڤزيون الموجود فيها تلعب فى أزرار الـ (سى فاكس) وتضغط على الأرقام من ١٦١ إلى ١٦٨ لكى ترى أسعار البضائع وأخبار المحلات كما تريد .. والجأ أنت إلى جهاز التليڤزيون الآخر الصغير الموجود فى غرفة النوم واضغط على أزرار الـ (سى فاكس) من ١٢٠ إلى ١٣٩ لكى تعرف أسعار البورصة وأخبار المال والاقتصاد وتقارير السوق المالية ..

●

لكن زوجتك لا تتركك تنعم بوحدتك طويلا . فتقرر أن تأتى إليك لتشاهد التليفزيون معك وتناقش مسألة خروجكما فى اليوم التالى فى نزهة خارج المدينة أو داخل المدينة،وتضغط على أزرار الـ (سى فاكس) لتظهر أمامكما قائمة بالأماكن السياحية الممكن زيارتها فى الغد ، وأماكنها وسبل الوصول إليها .. وتترك أنت الغرفة لزوجتك لتفكر على راحتها وتقرر على مهلها .. وتخرج أنت إلى الصالة مرة أخرى لكى تضغط على الرقم ١٦٩ فى جهاز الـ (سى فاكس) لكى تظهر لك نشرة الأخبار التى : بدون كلام !! نشرة الأخبار الموجهة إلى ضعاف السمع .. فتظهر أمامك على شاشة التليڤزيون المذيعة الحسناء تتكلم وتقرأ نشرة الأخبار ، بينما الخبر الذى تقرأه « مكتوب » أمامك على شاشة التليڤزيون تحت صورة المذيعة ..

أما إذا – لاقدر الله – كنت سعادتك أخرسا لا تسمع ، وأيضاً

حرمك الله من نعمة القراءة ، فإنك تضغط على الرقم ١٧٠ فى جهاز الـ (سى فاكس) لكى « ترى » نشرة الأخبار التى يقدمها مذيع أو مذيعة خرساء تستعمل لغة الإشارة فقط ، باليدين وملامح الوجه ، فى توصيل الأخبار إليك !!

●

لكن السيدة زوجتك لا تلبث أن تأتى إليك حيث أنت لأنك وحشتها ولأنها قررت أن تذهب غدا لمشاهدة مباراة فى كرة القدم بين نادى الزمالك ونادى شبرا النملة : « أو أنك تفضل مشاهدة مباراة فى لعبة أخرى يا عزيزى؟» - دى زوجتك اللى بتقول - وهى تضغط على أزرار الـ (سى فاكس) بين ١٤٠ و١٥٩ بحثا عن تفاصيل كل المباريات الرياضية فى الغد فى أى مكان فى البلد وفى كل ملاعبها .. وتترك لزوجتك مرة أخرى تليڤزيون الصالة لكى تدخل أنت إلى غرفة النوم لترتدى ملابسك بعصبية وأنت تبحث فى أزرار الـ (سى فاكس) عن شىء ما .. وحين تدخل عليك زوجتك مرة أخرى غرفة النوم تجدك وقد ارتديت كل ملابسك وجهزت شنطة هدومك وتشاهد على التليڤزيون - بواسطة أزرار الـ (سى فاكس) - مواعيد الطائرات التى تغادر البلاد خلال الساعات القادمة متجهة إلى القطب الشمالى . لأنك قررت أن تترك لزوجتك جهاز التليڤزيون وجهاز الـ (سى فاكس) وتترك لها البلد كلها ، وتهج !!

●

ستجد فى انتظارك من خلال جهاز الـ (سى فاكس) أو (الجريدة اللحظية) كما أحب أن أسميه ، ٤٠٠ صفحة تغطى كل ما تفكر فيه وتزيد كثيراً .. ولو قرأت كل صفحة من هذه الصفحات

فى ٣٠ ثانية فقط - نصف دقيقة - فإنك سوف تحتاج إلى ثلاث ساعات ونصف حتى تنتهى من الاطلاع على كل صفحات الـ (سى فاكس) .. وبعد هذه الثلاث ساعات ونصف لوعدت إلى تقليب صفحات الـ (سى فاكس) من جديد فستجد أن أغلب ما فيها قد تغير : الطقس والجو والأخبار وأخبار المال والإقتصاد وأخبار الرياضة وما إلى ذلك ..

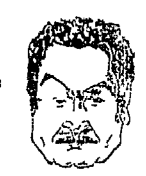
●

عزيزى الأستاذ رئيس التحرير ..

إذا وصل جهاز الـ (سى فاكس) هذا إلى مصر فسوف يستغنى به الناس عندنا - غالبا - عن قراءة الصحف ويربطون الأحزمة حول أنفسهم على مقاعدهم أمام أجهزة التليفزيون وفى أيديهم أجهزة الـ (سى فاكس) ، **ونفقد نحن الصحفيين وظائفنا** ، **أو - على الأقل - نضطر إلى أن نتوظف عند الـ (سى فاكس) .. لذا أرجو عدم نشر هذا الموضوع !!**

منه لله
اللى كان
السبب !





الأسرة الإنجليزية بقدر ما تبدو فى الظاهر أسرة متماسكة مترابطة سعيدة ، فإنها فى الحقيقة أسرة هشة جدا وتتبعثر جدا من أقل نسمة هواء .. و« نسمة الهواء » هنا مقصود بها أى شاب وسيم يمر من تحت نافذة الزوجة مهما كان زوجها وسيما أيضا ، وأى جونلة قصيرة تمر فى طريق الزوج مهما كانت زوجته ملكة جمال ..

ولعله ماثل أمام أعيننا الآن ما حدث بين الأمير « تشارلز » أهم شاب فى بريطانيا كلها باعتباره ولى للعهد ووريث للعرش وملك إنجلترا المقبل ، بالإضافة إلى أنه شاب أنيق وظريف وحبوب ومن أغنى اغنياء إنجلترا .. وبين زوجته الجميلة الرائعة الأميرة « دايانا » معبودة النساء قبل الرجال فى العالم كله وليس فى إنجلترا وحدها ، لجمالها ورقتها ووداعتها وخجلها المحبب ، ورشاقتها وشياكتها وأناقتها التى تحسدها عليها عارضات الأزياء ونجمات السينما .. فـ « تشارلز » وعنده هذه الزوجة الرائعة لم يتورع عن أن يرتبط بعلاقة عاطفية مع امرأة أقل جمالا من زوجته ١٠ مرات ، وأكبر سنا من زوجته ومنه هو شخصيا .. لكنها الطفاسة

والدناوة وفراغة العين الرجالى التى لا يملؤها إلا التراب ، والحسناوات ..

●

والرقيقة الوديعة الخجول « دايانا » نفسها أيضاً لم تكن ملاكاً بأربعة أجنحة و٦ سلندر .. فقد ارتبطت على امتداد سنوات زواجها بأكثر من علاقة مع رجال آخِرين تناولتها الصحف الإنجليزية فى حينها .. حتى إنفجرت من نحو عامين فضيحة المكالمة التليفونية التى سجلت بينها وبين شاب آخر ، أصغر منها سنا أيضاً ، لكى ترد [المجاملة] إلى زوجها « تشارلز » .. لكن فضيحة مكالمة « دايانا » التليفونية مع حبيبها [فطست] على الفور ، لأن كل النساء الإنجليزيات قد تعاطفن مع « دايانا » وأيدنها باعتبار إن : « وإيه يعنى .. ما هو كل الستات والزوجات بيعملوا كده » !! .. وحمرت النساء الإنجليزيات عيونهن الزرقاء والخضراء للصحافة الإنجليزية ، فتوقفت الصحف على الفور عن الحديث فى موضوع « دايانا » وحبيبها ومكالمتها التليفونية ، خشية من أن تفقد هذه الصحف قارئاتها المتعاطفات مع « دايانا » ، وهن بالملايين ..

●

كل هذه المقدمة الطويلة ليس لأننى ضد الجميلة « دايانا » .. بالعكس فأنا واحد من ملايين المعجبين بها ، خصوصا أنها قبل أن تتزوج من الأمير « تشارلز » كانت جارتى فى حى [پيمليكو] الذى كنت أسكن فيه فى لندن ، لكن الأمير « تشارلز » [هو اللى شافها الأول] فكانت من نصيبه ، والحمد لله الذى لا يحمد على مكروه سواه .. كما أننى لست أنوى أن أكتب عن « دايانا » ومشاكلها مع زوجها ، لكن الشىء بالشىء يذكر .. والشىء هنا هو

حكاية صديقى الإنجليزى « توم پاركن » وزوجته الجميلة جدا ، اللعبية جدا ، الذكية جدا .. بينما « توم » نفسه - الشهادة لله - محدود الذكاء جدا وأقرب إلى الخيابة ، لكن شاطر جدا فى مسألة « التليفونات » بينما زوجته الجميلة جدا اللعبية جدا الذكية جدا اللى تلعب بالبيضة والحجر ، وتودى « توم » بحر المانش وبحر الشمال وترجعه عطشان ، فإن ذكاءها محصور فى كيف تتلاعب بزوجها « توم » وتسجل فيه أهدافاً ، لكن [خبرتها التليفونية] صفر ، ولا تتعدى أنها تعتبر التليفون مجرد وسيلة إتصال بينها وبين عشاقها ، وهم كثيرون .. فى الوقت الذى كانت هى فيه ، كزوجة خائنة ، تمارس الخيانة من باب [إزجاء وقت الفراغ] وتنشيطا للعلاقات الإجتماعية بين الشباب البريطانى والشابات البريطانيات .. وكامرأة ذكية ، فهى لم تكن تعطى رقم تليفون بيتها لأى حد من عشاقها حتى لا يتصل بها واحد منهم خلال وجود زوجها فى البيت ، لكنها كانت هى التى تتصل بى - متأسف ، هذه غلطة مطبيعة ، وصحتها « بهم » !! - فى الوقت الذى يخلو عليها البيت ويكون زوجها « توم پاركن » فى عمله .. فهو إذا دخل مكتبه فلا يخرج منه ولا ثانية واحدة بحكم وظيفته كمسئول الأمن فى إحدى المؤسسات الإنجليزية الكبيرة ، كما أنها كانت تتصل به تليفونيا فى مكتبه مرة كل ساعة لكى تطمئن عليه ، بحجة أنه واحشها !!

●

لكن « توم » كان يشك فى زوجته حتى من قبل زواجهما ..

يمكن لأنه كان يعرف أنها قد تزوجته بطريقة [حادى بادى] وليس عن حب حقيقى .. تزوجته لأنها كان لازم تتزوج باعتبار أن [ظل راجل ولا ظل حيطة] فتزوجت أنسب واحد متاح من عشاقها الكثيرين ، الذين كان معظمهم أصلا متزوجين فعلا فلا يستطيعون الزواج مرة أخرى..ورغم شكوك « توم » فى زوجته الجميلة فإنه لم يستطع أبدا أن يمسك عليها دليلا واحدا على أنها بتلعب بديلها من وراه .. وكان « توم » واجع رأسى دائما بشكوكه فى زوجته .. فقد كان ذلك ، تقريبا ، هو الحديث الوحيد بيننا الذى لا يمل من تكراره ، بالإضافة إلى هوايتنا المشتركة : التليفونات .. فكلما سمع واحد منا أو عرف باختراع تليفونى جديد أو تطور جديد فى مسائل التليفونات ، توارت مؤقتا حكايات « زوجة توم » حتى ننتهى من مناقشة الإختراع التليفونى الجديد ، ثم يعود إلى حديثه المعتاد عن زوجته وشكوكه فى زوجته .

●

وذات يوم عاد صديقى « توم » إلى بيته وهو يحمل تليفونا جديداً ، قال لزوجته عنه أنه [تليفون لاسلكى] سماعته ليست متصلة بقاعدة التليفون بسلك ، وأنها ، لذلك ، تستطيع أن تأخذ السماعة فقط فى يدها وتتحرك بها فى البيت كله ، وفى حديقة البيت أيضاً ، لكى تكون على راحتها تماما دون سلك طويل تجرجره وراءها فى كل مكان ، ودون حاجة إلى أن تستخدم حتى [برايز التليفون] الموجودة أصلا ..

لكن الذى لم يقله « توم پاركن » لزوجته الجميلة اللعبية هو أن هذا التليفون اللاسلكى مداه ٢٠ ميلا – حوالى ٣٥ كيلومترا –

وليس فى حدود البيت فقط .. ولم يقل لها أيضاً أن هذا التليفون له سماعة أخرى تركها « توم » فى مكتبه .. وأن هذه السماعة يستطيع من خلالها أن يستمع إلى كل مكالمة تجريها أو تستقبلها زوجته الجميلة دون أن تعرف هى أن زوجها معها على الخط يستمع إلى كل مكالماتها !!

وبعد أسبوع واحد أسمعنى « توم » شريطا مسجلا عليه مكالمات زوجته الجميلة النشيطة التى قابلت خمسة من عشاقها فى أسبوع واحد !!

وظللت أكثر من ساعة أهدىء فى « توم » وأحذره من ارتكاب حماقة تهدم مستقبله ، وأن القتل وإزهاق الأرواح هو حرام فى كل الأديان ، و« سرحوهن بإحسان » و« يابخت من قدر وعفى » و« العفو من شيم الكرام » و« الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس » و« إرمى لها ورقتها وسيبها وانت تاخد ست ستها » وأن لمثل هذه الأسباب قد حلل الله الطلاق .. لكن كان واضحاً أننى أنفخ فى قربة مقطوعة وأن الدم قد غلى - أخيراً - فى عروق « توم » وسوف يرتكب حماقة توديه فى ستين داهية ، وأننى لن أراه بعد ذلك إلا فى قاعة المحكمة ثم جالسا على الكرسى الكهربائى ، وأحرم من الاطلاع على آخر الابتكارات والاختراعات فى عالم التليفونات ..

●

وفى اليوم التالى عاد « توم » إلى مكتبه مطرقاً ساكتاً مكبوساً ، وهو يتأبط صندوقاً صغيرا به التليفون اللاسلكى .. فقد طردته زوجته الجميلة من البيت هو والتليفون بتاعه !!

وحكاية بنت إيطالية إسمها «علية»!





هذه المرة الحكاية من إيطاليا وبطلتها إيطالية : الشابة الإيطالية الحسناء « روزاليا جاتى » كانت تعمل سكرتيرة للخبير البحرى المصرى « حسن عزت » فى مكتبه فى ميلانو بإيطاليا .. وكالعادة ، حدث الحب بين المدير والسكرتيرة ، وتزوجا ...

لكن لأن « **روزاليا** » من أسرة إيطالية محافظة من جنوب إيطاليا حيث التقاليد هناك تشبه تقاليد صعيد مصر إلى حد كبير ، فإن « روزاليا » لم تشأ أن تضاعف من صدمة أسرتها بزواجها من أجنبى مسلم ، لذا فقد ظلت على دينها الأصلى دون أن تكون فكرة تغييره مسألة واردة على الإطلاق .. تغيير دينها وليس تغيير زوجها طبعا .

ولأنها أيضاً ظلت تحتفظ بوظيفتها كسكرتيرة لزوجها فإنها بدأت تسافر معه إلى كل مكان بحكم أعماله المتشعبة التى تتطلب كثرة تنقله ، حتى أنها بدأت تدير بنفسها بعض مشروعاته ، فقضت ٤ سنوات فى الخرطوم بالسودان ، ومثلها فى جدة ومكة بالسعودية ، وتنقلت بين مصر ولبنان واليمن . واختلطت بالكثيرين

من جنسيات عربية مختلفة من عملاء زوجها وأصدقائه المسلمين ، حتى أتقنت اللغة العربية تماما .. وأرادت أن تزداد فهما لديانة المجتمع الجديد الذى أصبحت جزءا منه ، فقرأت القرآن كاملا باللغة الإيطالية ، واستوعبته وفهمته واقتنعت به ، حتى أنها عندما أشهرت إسلامها بعد ١١ سنة من الزواج ، كان الأمر مفاجأة لكل المحيطين بها .. ومن وقتها - ١٠ سنوات الآن - وهى تصوم شهر رمضان كاملا وتحتفل به تماما ، وتؤدى الزكاة كاملة فى أى بلد تكون فيه عندما يحل موعد أداء الزكاة ، وتصلى الصلوات الخمس يوميا دون أن تترك فرضا واحدا ، وتقرأ آيات القرآن أثناء الصلاة باللغة العربية وتعرف معانى الآيات التى تقرأها كلمة كلمة وليس مجرد حفظ الآية ككل .. وإن كانت حتى الآن لا تستطيع أن تكتب أو تقرأ اللغة العربية لأنها تعلمتها (سماعى) من كلام زوجها وأصدقائها وصديقاتها العربيات ، فلم يكن لديها الوقت الكافى للإلتحاق بدراسة منتظمة تتعلم فيها اللغة العربية بحكم عدم استقرارها فى مكان واحد لفترة كافية .. لكثرة سفرها لمتابعة أعمال زوجها الموزعة بين إيطاليا وانجلترا وسويسرا ومصر ومسقط ودبى ، حتى أن لها بيتين واحد منهما فى إيطاليا والثانى فى سويسرا ، ومع ذلك لا تقضى فى أى منهما أكثر من شهرين متفرقين على امتداد السنة كلها ، وبقية الوقت تقضيه فى الفنادق .. وذلك معناه أنها تعيش فى الفنادق ضعف الوقت الذى تعيشه فى بيتيهما معا !! ●

وأنا أريد بإبراز ذلك أن أرد على الذين يقولون أنه لا يقبل على دخول الإسلام من الأجانب إلا الفقراء منهم .. فـ « روز اليا

جاتى » ، التى هى الآن « عليه عزت » ، لم تشهر إسلامها إلا بعد ١١ سنة من زواجها ، ورغم أنها لم تكن لها حاجة إلى ذلك ، ورغم أنها تعيش حياة مترفة كسيدة أعمال وكَزوجة لرجل أعمال مليونير .. بل وأضيف إلى الصورة بعداً آخر ، فإن أخت « روزاليا » الأصغر منها بـ ١٣ سنة التى شهدت إسلام أختها وكانت معترضة عليه ، حين ساقتها الظروف هى وزوجها الإيطالى مثلها ، إلى العمل لمدة سنتين فى مصر ، هو فى شركة إيطالية كبيرة وهى مدرسة لغة إيطالية فى إحدى مدارس اللغات ، قررت - بعد عودتها إلى إيطاليا - أن تشهر إسلامها ، لولا أن زوجها أراد أن يبقى على دينه ، فوجدت أختها أنها لو أشهرت إسلامها فسوف تكون مضطرة إلى تشتيت أسرتها وأولادها ، **لأن الإسلام لا يبيح استمرار زواج المسلمة من زوج له ديانة أخرى .. فاكتفت بأن تكون مسلمة بقلبها ونيتها ، إلى أن يشاء الله ..**

الذهاب
إلى الجنة
عن طريق
« ليڤربول » !





مدينة [ليڤربول] الإنجليزية من أقرب مدن إنجلترا إلى قلبى ، ولى فيها أصدقاء كثيرون ، لذا فأنا دائم التردد عليها وأقضى فيها معظم أجازاتى القصيرة وعطلات نهاية الأسبوع .. فى أجازة عيد الأضحى الماضى كنا شلة من الأصدقاء فى ضيافة صديقنا الطبيب السورى الأصل الدكتور « حسن المعصرانى » ، أنا والملحقتين الثقافيتين فى السفارة المصرية فى لندن : « آية كامل » و « سحر رشدان » ..

ولأن « **آية** » و « **سحر** » كانت هذه هى زيارتهما الأولى لمدينة ليڤربول فقد أخذنا « **حسن المعصرانى** » فى جولة لمشاهدة وزيارة أهم معالم المدينة ، ومن بينها [كاتدرائية ليڤربول] الشهيرة ..

●

على باب الكاتدرائية، وقبل أن ندخل ، إستوقفنى - أنا وحدى بالذات دوناً عن المجموعة كلها - سيدة إنجليزية عجوز مهووسة دينياً كانت تقف أمام باب الكاتدرائية وهى ترفع لافتة مكتوب عليها [لا قس إلا المسيح No Priest But Jesus] .. وتوسمت الست

الإنجليزية العجوز من تشكلى أننى لست مؤمناً جيدا فاستوقفتنى لكى تسألنى بحدة : « هل ستذهب إلى الجنة !؟ » فتوقفت أمامها على الفور وقد أعجبنى جداً السؤال ، وأجبتها : « لأ ، أنا ذاهب فقط لأزور الكاتدرائية » فقالت بحدة أكثر : « أجب على سؤالى : هل ستذهب إلى الجنة !؟ » قلت : « ليس اليوم على أى حال ، فإن لدى ارتباطات أخرى حتى نهاية الأسبوع » ... قالت وقد بدأ صوتها يرتفع وكأنها تصرخ فى : « هل ستذهب إلى الجنة أم لأ ... !؟ » قلت لها وداخلى يموج طرباً من شكل الحوار الذى يدور بيننا : « أمى سوف تذهب إلى الجنة ، لكن أنا لأ !؟ » فقالت السيدة الإنجليزية العجوز مندهشة وقد فوجئت بجوابى الذى لم يكن هو ما توقعته : « ولماذا أنت لأ !؟ » قلت لها : « لأننى مشغول جداً ومش فاضى .. كما أننى لست مستعجلا فى الوقت الحالى للذهاب إلى الجنة أو إلى النار .. فأنا لازلت شاباً كما ترين ولم أشبع من الدنيا بعد حتى أبدأ أفكر فى الآخرة .. ونوتة تليفوناتى مليئة بأسماء بنات حسناوات ينتظرن دورهن ولا أريد أن أتركهن وحدهن وأتخلى عنهن الآن بعد أن تعلقن بى و .... » .

فصاحت بى السيدة غاضبة : « إخرس واسمع إلىّ » ....

وبدأت السيدة العجوز تعدد لى نصائحها ووصاياها التى لو نفذتها أدخل الجنة مع أمى فى نفس اليوم وأنا متأبط ذراعها ، لأن الجنة كبيرة جداً وواسعة ولو دخلت أنا بعد أمى فقد نتوه من بعض فى الزحمة ولا نجد بعض بعد ذلك أبداً ، و : « سوف تحزن أمك كثيراً .. أليس كذلك !؟ » .

وأكدت علىّ الست الإنجليزية الطيبة أنه لازم ولابد وضرورى جداً أن أكون مسيحياً طيباً لكى أدخل الجنة مع أمى .. فقلت لها :

« المشكلة الوحيدة ، الصغيرة ، الآن ، هى أننى لست مسيحيا » .. فكاد أن يغمى على الست العجوز الطيبة التى تحمل مفاتيح الجنة من هول مأساتى وكونى لست مسيحياً .. وراحت تؤكد علىّ بشدة وبإصرار وهى تمسك يداى بكلتا يديها ، أن أدخل الكاتدرائية الآن فوراً لأشهر مسيحيتى وأعلن إيمانى بالمسيح ..

فقلت لها وأنا شديد الإستمتاع جداً بالمناقشة وبالحوار بيننا : « لكن الله واحد وكلنا أبناؤه ، وقد وعدنا بالجنة نحن أيضا » فقالت بعصبية جداً : « لكن لازم تؤمن بالمسيح » قلت : « نحن المسلمين نعبد الله ونؤمن بالمسيح وبموسى وبكل الأنبياء ، ونذكرهم فى صلواتنا » قالت : « أبدا .. أنتم تعبدون محمداً وتنكرون المسيح » .

قلت لها : « من قال لك هذا الكلام ؟ إننا نؤمن بالمسيح .. وفى القرآن - بتاعنا - سورة كاملة إسمها [سورة مريم] تروى قصة المسيح وكيف أنه كان نبياً عظيماً كموسى ومحمد .. لكن أتباعه ، وأتباع موسى ، وأتباع محمد ، هم الذين حادوا عن رسائل أنبيائهم وانحرفوا وبقوا عايزين قطع رقبتهم وشكلهم كده ، كلهم على بعض ، مش ناويين يدخلوا الجنة .. هل سمعت عن القس راعى الكنيسة الذى ظل طوال ٢٥ سنة يعتدى على الأطفال المسيحيين من رعايا كنيسته ويمارس معهم الشذوذ الجنسى حتى قبض عليه أخيرا من نحو عامين وحكم عليه بالسجن لمدة ٧ سنوات !؟ هل سمعت أن هناك ٤٠٠ قسيس فى خلال الـ ١٠ سنوات الأخيرة فقط قد طردوا من الكنيسة في أمريكا وحدها ، وحوكموا وحكم عليهم ... معهم فى السجون الآن !؟ وفى اليهودية مثل ذلك أيضا بصور ... وفي الإسلام مثل ذلك بصورة مختلفة .. فلماذا تطلبين منى

أن أترك الإسلام وأكون مسيحياً !؟ هل المسيحيون الآن كلهم ملائكة طيبين أبرار بـ ٤ أجنحة و ٦ سلندر حتى تريدين أن تزيدينهم واحداً !؟ » ..

فقالت الست الإنجليزية العجوز وقد أدركت أنها لن تصل معى إلى شيء ولن تحقق بى هدفاً ، قالت لى برجاء وتوسل : « أرجوك ، كن مسيحياً ، من أجلى أنا » وكأنها سوف تأخذ علىّ عمولة مثلا ..

قلت لها : « أعدك بأننى سوف أفكر فى الأمر » قالت : « ما اسمك ؟ لكى أذكرك فى صلواتى » قلت لها : « إسمى حسين .. ولو أننى أتصور أن الله يعرفنى كما يعرفك وليس محتاجاً إلى واسطة منك لكى يتذكرنى .. لكننى أعدك بأننى حين نلتقى فى الجنة بعد عمر طويل ، سوف آتى إليك لغاية عندك لكى أحتضنك وأقبل يدك وأقدمك إلى أمى لكى تصبحا صديقتين وتقضيان وقتكما معا فى الجنة .. فقد كانت أمى سيدة طيبة وغير متعصبة ، وكان عدد كبير من صديقاتها مسيحيات ولم تحاول أبداً أن تجر رجل واحدة منهن إلى الإسلام .. وأظن أنه فى الجنة سوف تكون هذه المشكلة قد انتهت ولن يكون هناك فرق بين يهودى أو مسيحى أو مسلم ، بل سنكون كلنا فى الجنة نعبد إلهاً واحداً هو صاحب هذه الجنة » ..

•

وودعت السيدة الإنجليزية العجوز المسيحية الطيبة بعد أن قبلت يدها لأنها كانت فى مثل عمر أمى لو كانت أمى قد عاشت

حتى الآن ، الله يرحمها ويرحمهما معا .. لكن بعد أن ابتعدت عنها قليلا عادت فنادتني : « حسين .. لم تقل لى ماذا تعمل !؟ » قلت لها على البعد : « صحفى » فاتسعت عينا الست من الدهشة

وقالت باشمئناط : « صحفى !؟ لماذا لم تقل لى ذلك منذ البداية !؟ عمرك ما هاتورد على جنة حتى لو تشفع لك كل الأنبياء » !!!!

فى البدء
كانت حواء
ثم جاء
الـ « سوبر ماركت »!



حين دقت « كاتى » جارتى الحسناء فى الشقة المجاورة لى ، جرس باب شقتى فى الصباح الباكر لم يدهشنى ذلك ، فهى كثيراً ما تدعو نفسها إلى قهوة الصباح معى - عندى أو عندها - منذ أصبحنا جيرانا فى هذه العمارة منذ أكثر من ١٠ سنوات ..

لكن الذى أدهشنى اليوم هو سؤالها الغريب : « حسين .. هل ستذهب لشراء لوازمك من السوبر ماركت اليوم كعادتك كل يوم ثلاثاء !؟ . فقلت لها : « نعم » وأنا متصور أنها تريد أن نذهب معاً كما نفعل كثيراً .. فـ « كاتى » هى أقرب جيران العمارة إلى « جغرافيا » ، وإلى قلبى أيضا ، وحواديتها معى كثيرة سوف أحكى لكم بعضا منها كلما جاءت مناسبة .. لكن الذى أدهشنى اليوم بالذات هو إنفعالها وحماسها ..

قالت لى : « جهز إذن كشفا بلوازمك لكى نذهب كلنا معا فى الساعة الحادية عشرة » .. قلت مندهشا : « من هم (كلنا) الذين

تتحدثين عنهم !؟ » فعددت لى أسماء ٨ آخرين من الجيران والجارات .. قلت وأنا أزداد إندهاشا : « ولماذا هذه المظاهرة الشرائية ؟ ولماذا (ساعة الصفر) هذه فى الحادية عشرة ؟ هل تنوون أن تهاجموا السوپر ماركت وتحتلونه أو تخطفونه ؟ هل آخذ معى علماً أو راية أو قناعاً أو مسدساً ؟! » .

قالت بهدوء : « كف عن هذا الظرف السخيف وجهز نفسك لتذهب معنا .. أو إذا كنت لا تريد الذهاب معنا فى هذه المظاهرة كما تسميها فاعطنى قائمة مشترياتك والنقود وسأشترى أنا لك لوازمك وأحضرها لك معى لغاية باب مطبخك » .

قلت لها مخضوضا وقد بدأت أقلق عليها : « كاثى » هل أنت بخير ؟ أنت صديقتى من زمان صحيح لكن ليس عهدى بك أبدا أنك بهذه الشهامة .. فإيه الحكاية بالضبط !؟ » ..

ونظرت « كاثى » فى ساعتها وقالت : « لازال لدىّ وقت كاف لتفهيم الأجانب أمثالك ما نحاول أن نفعله » .. ودخلت إلى مطبخى وأعدت قدحين من القهوة لى ولها .. وجلست لتشرح لى الحدوتة .

- **السوپر ماركت القريب من عمارتنا اسمه** (TESCO) - (وهو بالمناسبة أكبر سوپر ماركت فى إنجلترا كلها ومساحته تعادل مساحة ميدان التحرير فى القاهرة من مبنى المجمع لغاية دار الآثار المصرية ، ومقسم من الداخل إلى شوارع تحمل أرقاما ، ويبيع يوميا ما حصيلته مليون جنيه إسترلينى بالتمام والكمال .. وهو واحد من ٤٦٠٠ سوپر ماركت تحمل نفس الاسم وتملكها نفس

الشركة منتشرة فى انحاء إنجلترا كلها وبعض دول أوروبا .. جدوتة لوحده هذا السوبر ماركت سوف أحكيها لكم فى مرة أخرى قادمة) ـ هذا السوبر ماركت الضخم مساهمة منه فى تنمية البيئة التى هو جزء منها وتشترى منه بمليون جنيه يوميا ، قد أعلن هذا الأسبوع أن كل زبون يشترى منه بمبلغ ٢٥ جنيها سوف يعطيه (بون) واحد ، وإذا اشترى بـ ٥٠ جنيها فهو يحصل على ٢ بون ، وبـ ٧٥ جنيها يحصل على ٣ بونات ، وهكذا .. فإذا جمع الزبون عددا معينا من هذه البونات فهو يقدمها إلى مدير السوپر ماركت لكى يحصل على جهاز كومپيوتر مجانا - هدية .. هذا الكومپيوتر ليس هدية للزبون شخصيا يأخذه معه إلى بيته ، لكنه هدية لأى مدرسة من مدارس الحى يحددها الزبون .. فيقوم السوپر ماركت بإرسال الكومپيوتر إلى المدرسة فى اليوم التالى مباشرة ومعه المهندس الذى يقوم بتركيبه . وأخصائى الكومپيوتر الذى يتولى تدريب المدرسين الذين سيعلمون التلاميذ كيفية إستخدامه والتعامل مع هذا الكومبيوتر .. هل فهمت الآن يا مستر قدرى لماذا أريدك أن تذهب معنا إلى السوپر ماركت اليوم ؟ » ..

●

قلت لها : « لن أكون مفيدا لك يا كاثى فى هذه المسألة .. فأنا رجل عزبنجى وأعيش وحدى وأخيب بنى آدم فى الدنيا فى شئون الطبخ والمطبخ ، وأعيش على البيض المسلوق والأومليت والمعلبات والآيس كريم والشكولاته ، ولا أدخن ولا أشرب المنكر .. لذا فإن قائمة مشترياتى الأسبوعية لا تزيد عن ١٢ أو

١٥ جنيها كل أسبوع .. وإذا دعوت الملكة إليزابيث شخصيا للعشاء عندى فلن تزيد قائمة مشترياتى عن ٢٠ جنيها .. لذا فماتعمليش حسابى فى الكومبيوتر الذى تطمعين فيه لمدرسة أطفالك .. ثم أنك ليس لديك أطفال أصلا ، فلماذا يهمك هذا الموضوع !؟ » ..

قالت « **كاثى** » وهى تتنهد بعمق وبصبر وطول بال : « كنت أعرف أننى سوف أجد صعوبة فى تفهيم المغتربين أمثالك خطتنا نحن ستات العمارة ، لأنك رجل وحدانى ومستقيم ، من البيت إلى السوبر ماركت ومن السوبر ماركت إلى البيت ، ولا تعرف كيف نستطيع نحن النساء الإنجليزيات أن نلاعب السوبر ماركت بنفس طريقته .. الآن ، حاول أن تفهمنى يا مستر قدرى : السوبر ماركت حين أعلن عن هذه (المنحة) كان يعرف مقدما أن معظم زبائنه كحيانين زى حالاتك وقائمة مشترواتهم الأسبوعية لا تصل إلى ٢٥ جنيها .. وحتى إذا وصلت إلى ٢٥ جنيها كل أسبوع فهو - الزبون - سيحصل على (بون) واحد مقابلها ، وبالتالى فبعد ١٠ أسابيع - حين تنتهى فترة هذه المنحة - سيكون قد جمع ١٠ بونات فقط ، وهى لا تكفى للحصول على الكومبيوتر المطلوب .. وذلك معناه أن السوبر ماركت فى نهاية المدة لن يكون قد أعطى لكل زبائنه أكثر من ١٥ أو ٢٠ جهازاً فقط ، وهذا شىء تافه جداً بالنسبة للأرباح الفلكية التى يحصل عليها من منطقتنا وحدها .. هل فهمت هذه النقطة يا مستر قدرى لكى أنتقل إلى النقطة التى بعدها !؟ » .. قلت : « فهمت يامسز تاور .. أكملى يا كاثى » ..

قالت : « النقطة الثانية : كيف نستفيد نحن الزوجات

الإنجليزيات من هذه (المنحة) أو (الهدية) من السوبر ماركت بشكل عاجل وسريع قبل أن تنتهى مدتها !؟ حسبنا عدد المدارس فى منطقتنا فوجدناها ١٢ مدرسة ، كل مدرسة تحتاج إلى عشرة أجهزة كومبيوتر ، يعنى المطلوب ١٢٠ كومبيوتر .. فماذا نفعل يا مستر قدرى !؟ » ..

قلت : « مش عارف يا مسز تاور .. أكملى » ..

قالت : « إجتمعنا فى نادى السكان المجاور لعمارتنا ، كل الزوجات والبنات والرجال الذين يتعاملون مع السوبر ماركت .. وتناقشنا وفكرنا ثم وضعنا هذه الخطة .. ولأن حضرتك مشغول دائما بالكتابة باللغة الهيروغليفية التى تكتب بها ، ولا تحضر اجتماعاتنا و (مالكشى ست) تشترك معنا نيابة عنك فى هذه الاجتماعات ، فقد أعطيت أنا صوتى نيابة عنك بأنك موافق على خطتنا وستشترك فيها » !!

قلت محتداً : « أنا لا أشترك فى أية تنظيمات إرهابية من هذا النوع يا كاتى ـ أكملى » ..

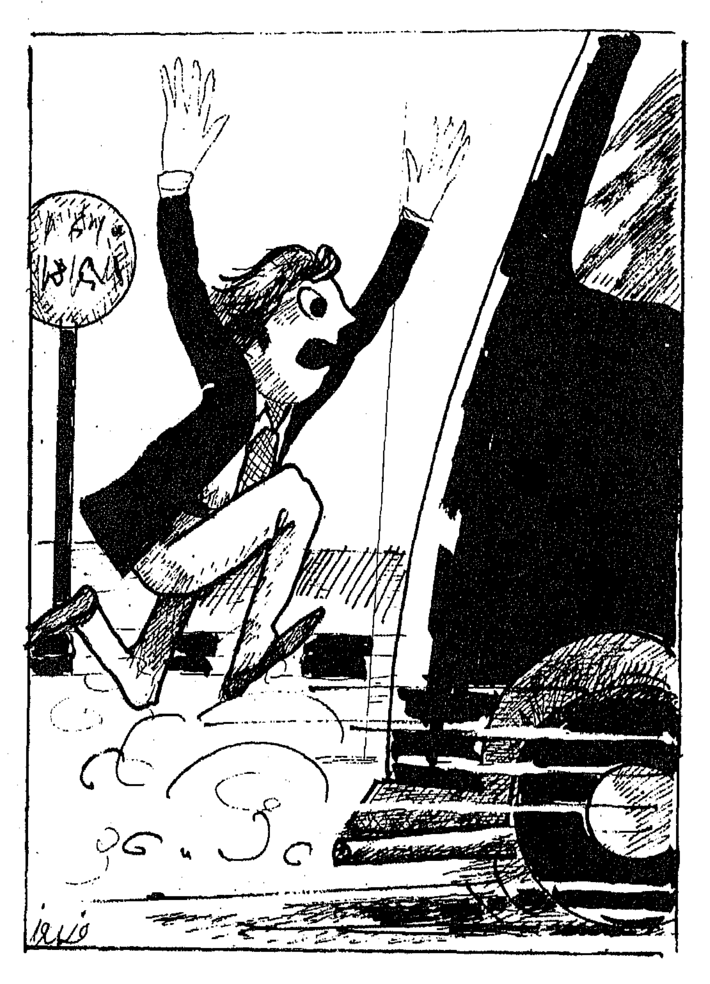
قالت : قررنا نحن الموقعين أدناه ٢١٠ من سكان وساكنات عمارتنا والعمارة المجاورة والـ ٥٠ فيللا المحيطة بنا ، أن نقسم أنفسنا إلى ٢١ مجموعة كل مجموعة تتكون من ١٠ من السكان ، يشترون كل لوازمهم الأسبوعية معا فى يوم واحد وفى فاتورة واحدة .. فلو فرضنا أن متوسط ما ينفقه كل واحد منهم هو ١٥ جنيها فقط زى حضرتك ـ والبعض ينفق أكثر كثيرا من ذلك ـ

فستكون الحصيلة حوالى ٣٥٠٠ جنيه فى (المظاهرة الشرائية) الواحدة كما تسميها أنت .. هذه الـ ٣٥٠٠ جنيها = ١٤٠ بونا .. وبتعدد المظاهرات الشرائية يتضاعف عدد البونات التى نحصل عليها .. وفى خلال أقل من ١٠ أسابيع ستكون كل مدرسة فى المنطقة قد حصلت على كل أجهزة الكومبيوتر التى تحتاجها .. هل فهمت يا مستر قدرى والا لسه تحتاج إلى شرح آخر !؟ » .

•

قلت وأنا أقوم لأرتدى ملابسى : « سأذهب معكم ، فلن تفوتنى أبداً هذه المظاهرة الشرائية .. ولو كنت وزيرة الإقتصاد فى مصر يا كاشى لسددت مصر كل ديونها فى أسبوع واحد » !!

والعـــاقبـــة
عنــدكــم فـــى
الأوتـــوبيســات..!





شيء ظريف جداً رأيته اليوم لأول مرة فى لندن بعد ١٧ سنة لى فيها ، واندهشت له جداً جداً ..

فقد كنت دائما عندما أرى شخصاً ما يجلس على كرسى متحرك فإننى كنت أعتقد أنه يتحرك بهذا الكرسى فى دائرة ضيقة جداً لا تزيد عن المسافة بين بيته وبين الحديقة العامة القريبة مثلا ، محل بيع الصحف فى المنطقة ، الـ (Pub) أو (البار) القريب من بيته .. يعنى ١٠٠ ـ ١٥٠ مترا مثلا ..

وإذا احتاج أن يذهب إلى مشوار ما بعيد فإن هذا الكرسى المتحرك يصبح وكأنه سيارة صغيرة أو [عجلة بثلاث عجلات] ، فهو يظل يدير العجلات بيديه حتى يصل إلى المكان الذى يريده مهما كان بعيدا .. ولعل هذه الانطباعة قد تكونت عندى من مشاهدة بعض المعوقين الذين يتحركون على كرسى متحرك يشتركون فى سباق الماراثون السنوى فى لندن ويجرون بكراسيهم المتحركة هذه مسافة ٢٦ ميلا من نقطة بداية الماراثون قرب قرية [جرينتش] الشهيرة وحتى نقطة النهاية عند كوبرى ويستمنستر ومبنى البرلمان الإنجليزى ..

لكن الذى رأيته اليوم كان شيئا مختلفا تماما :

●

وأنا فى طريقى إلى مكتب البريد فى الصباح ، مررت على محطة الأوتوبيس فى [جامايكا رود] فرأيت من بين المنتظرين على المحطة رجلا متوسط العمر يجلس على كرسى متحرك .. فخطر على ذهنى أنه ينتظر أحدا ما قادما فى الأوتوبيس مثلا ، أو أنه واقف يتكلم مع واحد آخر ينتظر الأوتوبيس ، وحين يجىء الأوتوبيس سيركبه هذا الواحد الآخر فينصرف صاحبنا على كرسيه المتحرك إلى أى مكان ..

وحين خرجت من مكتب البريد كان الأوتوبيس قد وصل وتوقف على المحطة ، فشهدت بقية المشهد : صاحبنا المُقعد الذى يجلس على كرسى متحرك سوف يركب الأوتوبيس، فكيف سيركبه !؟ .. تصورت أن ٤ من ركاب الأوتوبيس الرجال الأشداء - أو حتى من المارة - سوف يتطوعون لحمله بكرسيه المتحرك ليصعدوا به إلى الأوتوبيس.. لكن ما العمل فى العامود المعدنى الذى يعترض باب الأوتوبيس بالطول ويقسمه إلى نصفين ، كل نصف منهما لا يسمح بمرور الكرسى المتحرك !! .

لكن الذى رأيته كان المنظر التالى :

- فتح سائق الأوتوبيس الباب الأوسط فنزل منه الركاب الذين كانوا سوف ينزلون فى هذه المحطة .
- لم يفتح السائق الباب الأمامى لكى يركب الركاب المنتظرون

على المحطة ، فظلوا واقفين فى أدب شديد لأنهم كلهم كانوا يعرفون ما سيحدث ، ما عداى أنا الذى لم أكن أعرف ..

- ترك السائق مقعده فى مقدمةالأوتوبيس وجاء إلى الباب الأوسط العريض الذى ينزل منه الركاب ، وبحركة سريعة مد يده ونزع العامود المعدنى من مكانه وركنه جانبا .. فأصبح الباب العريض يتسع لدخول الكرسى المتحرك إلى داخل الأوتوبيس ..
- ضغط السائق على زر فى أعلى الباب فانفردت درجتى السلم لتصبح درجة واحدة مسطحة كبيرة ، نزلت أوتوماتيكيا إلى مستوى الرصيف حيث يقف الكرسى المتحرك ..
- نزل السائق إلى الرصيف لكى يدفع بنفسه الكرسى المتحرك ليضعه على هذه « البسطة » الحديدية التى هى فى الأصل درجتى السلم .. ثم صعد هو أيضا على هذه « البسطة » ليقف بجسمه خلف الكرسى المتحرك لكى يمنعه من التراجع والعودة إلى الرصيف مرة أخرى .. ورفع يده وضغط زرا آخر فى أعلى الباب ، فصعدت « البسطة » أوتوماتيكيا ببطء لكى تصل إلى مستوى الأوتوبيس من الداخل ويصبح الكرسى المتحرك فى مستوى الأوتوبيس ، فيدفعه السائق إلى داخل الأوتوبيس إلى مكان معين فيه بحيث يمسك المعوق الجالس على الكرسى المتحرك بيده فى ماسورة معدنية وبحيث لا يعترض طريق بقية الركاب داخل الأوتوبيس .. وأصبح المعوق وكرسيه المتحرك داخل الأوتوبيس الآن فعلاً ..

- عاد السائق فضغط على زر فى أعلى الأوتوبيس ، فعادت « البسطة » المعدنية إلى شكلها الأصلى كدرجتى السلم كما كانتا من قبل .. ثم تناول العامود المعدنى وأعاد تثبيته فى مكانه .. ولم تستغرق العملية كلها من أولها لآخرها أكثر من دقيقة واحدة ..

- عاد السائق إلى مقعده فى مقدمة الأوتوبيس ، وضغط على زر ليفتح باب الصعود القريب من السائق لكى يصعد بقية الركاب الذين كانوا يقفون في الطابور بصبر وأدب ، ويصعد كل منهم ويدفع ثمن تذكرته أمام السائق ، ويدخل الأوتوبيس ..

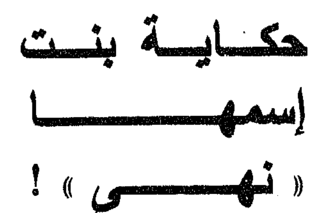
- تركت مشوارى الذى كنت ذاهبا إليه ، وركبت الأوتوبيس لكى أرى كيف سينزل صاحبنا المعوق على كرسيه المتحرك فى المحطة التى هو ذاهب إليها ..

- قبل محطة [لويشام] ، بعد نحو ١٠ محطات ، دق الراكب المعوق الجرس داخل الأوتوبيس لكى يعلن للسائق أنه سينزل فى المحطة القادمة ..

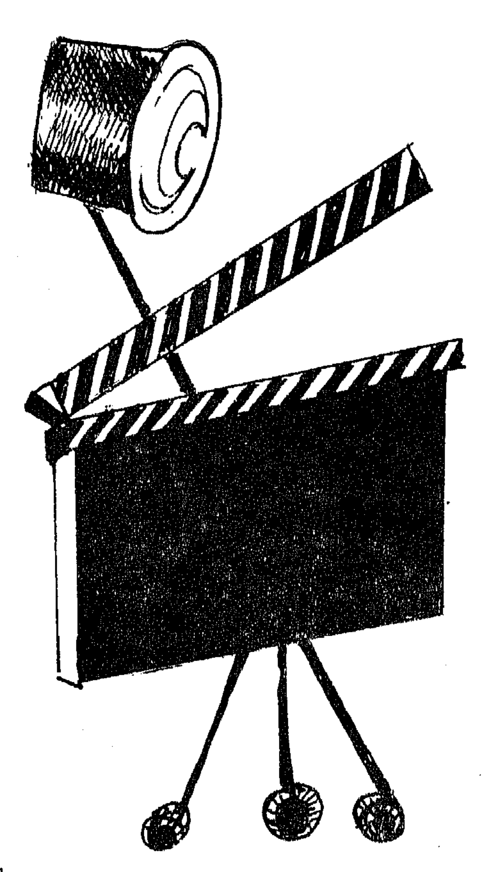
- فى المحطة وقف الأوتوبيس ، وكرر السائق ما فعله سابقا ، كرره بالعكس .. حتى أوصل بنفسه الراكب المعوق وكرسيه المتحرك إلى الرصيف بأمان ، وتمنى له يوما سعيداً ، ثم عاد إلى الأوتوبيس ليفتح الباب الأمامى للركاب الذين سيصعدون من هذه المحطة ..

- لم يدفع الراكب صاحب الكرسى المتحرك ثمن التذكرة ، لأن المعوقين يركبون كل وسائل المواصلات فى لندن مجاناً ..

- **هتفت فى داخلى** للإنسانية وللدولة ولمرافقها حين تكون فى خدمة الإنسان المواطن ، معوقا أو غير معوق ..
- **هؤلاء الناس جميعا ليسوا مسلمين ، لكن [الإنسانية] لا تحتاج إلى دين ولا إلى شعارات لكى تمارس ..**



حكاية بنت إسمها «نهى»!





عرفت « نهى » خلال ندوة عن السينما المصرية أقيمت فى المركز الثقافى المصرى فى لندن .. كنت أدير الندوة وكانت هى واحدة من جمهور الحاضرين .. قلت رأياً مصرياً لم يعجب « نهى » اللبنانية فاعترضت عليه بشدة وبحدة ، لكنها كانت ظريفة حتى وهى محتدة .. الجمال يغفر لصاحبته أشياء كثيرة والجميلات يعرفن ذلك .

و « **نهى** » فتاة جميلة .. واحتدادها ، على أى حال ، لم يكن سيوصلنا إلى أن نمسك فى خناق بعض .. ولو أننى أرحب قطعا بأن أمسك فى خناق فتاة جميلة ، على شرط إننا مانتخانقشى بصحيح ..

بعد انتهاء الندوة جاءت « **نهى** » إلىّ وعرفتنى بنفسها باعتبار أنها « سينمائية لبنانية » .. ووقفت تدردش معى فلم أفهم ثلاثة أرباع كلامها باللهجة اللبنانية لكننى كنت أهز لها رأسى موافقا على أى كلام تقوله ، ففى الحقيقة أننى لم أكن أستمع جيدا إلى كلامها نفسه بقدر ما كنت مستمتعا بطريقتها الظريفة فى الحديث المليئة بالمرح والحيوية والإقبال على الحياة ، وعينيها اللامعتين الذكيتين

الضاحكتين .. حتى - فى وسط حديثها المتدفق - قالت جملة رن وقعها غريباً جداً فى أذنى ، فاستوقفتها وقلت لها « نهى ، معلش قولى الجملة الأخيرة اللى انت قلتيها ، بس قوليها بالمصرى مش باللبنانى » .. وحين كررت « نهى » جملتها الأخيرة باللهجة المصرية كاد أن يغمى علىّ .. فأنا رجل رقيق المشاعر جداً وينفطر قلبى حزناً وألماً إذا عطست أو كحت فتاة جميلة أمامى ، فكيف بذلك الذى تقوله « نهى » ؟!

وفى اليوم التالى مباشرة جاءت « نهى » لتقضى اليوم كله معى ، تحكى لى حكايتها .. وأسمعها وأكتبها ..

« نهى خالد المصرى » ، ٢٦ سنة ، هى آخر العنقود فى ٥ أخوة : ٣ بنات وولدين ، الأب يعمل فى شركة الكهرباء فى طرابلس لبنان .. لقبها « المصرى » لأن جدها الأكبر كان مصرياً هاجر إلى لبنان لا نعرف متى ولا ماذا كان يعمل فى مصر ، ولا حتى فى لبنان ..

حين جاء الدور على « نهى » لتلتحق بالجامعة لم يكن هناك اعتراض ، بل كان الطريق أمامها سهلاً لأن كل أخواتها الكبار - فيما عدا واحدة - كانوا قد سبقوها إلى الجامعة ، واثنان منهم قد تخرجا فعلا .. لكن الاعتراض كان على « نوع » الدراسة التى اختارتها « نهى » ، فقد اختارت أن تدرس : مسرح !! .. لكن اعتراض الأب لم يستمر طويلاً ظناً منه أن « نهى » لن توفق فى اختبارات القبول لدراسة المسرح .. وحين ، على عكس توقعاته ، وفقت « نهى » فى اختبارات القبول والتحقت فعلا بقسم المسرح

بكلية الفنون الجميلة بالجامعة اللبنانية فى بيروت لم تكن وحدها فى الكلية .. كانت معها أختها الأكبر لكن فى قسم ديكور وفى السنة الرابعة ..

ولأن « **نهى** » كتلة نشاط وحيوية وظرف وخفة دم ، فإنها لم تنتظر حتى نتخرج لكى تبدأ نشاطها الفنى .. فأثناء دراستها بالكلية بدأت فعلا تشارك فى المجالات الفنية فى بيروت ، فقدمت برامج للأطفال فى الإذاعة ، وعملت فى التليفزيون كملاحظة سيناريو ثم أصبحت مساعدة مخرج ، واشتركت بالتمثيل فى مسرحيات للأطفال فى مسرح العرائس ، كما عملت فى المسرح الكبير وشاركت فى مهرجان المسرح التجريبى فى تونس عام ١٩٨٩ .. وحين ذهب المخرج المصرى « عاطف الطيب » إلى بيروت ليخرج فيلمه [ناجى العلى] شاركت « نهى » فى الفيلم كمساعدة مخرج ، وأيضاً مثلت دوراً صغيراً فى الفيلم ..

●

لكن ، ذلك كله أشياء عادية ممكن أن تحدث لأى فتاة فى الدنيا .. فما الذى خضنى وأفزعنى فى كلام « نهى » معى أمس فى المركز الثقافى المصرى فى لندن وجعل قلبى ينفطر حزناً وإشفاقاً عليها !؟ هل اشتراكها فى فيلم [ناجى العلى] ممكن أن يسبب لى كل هذا الحزن عليها !؟ لأ طبعاً .. ما حدث بعد ذلك الفيلم كان هو السبب ..

بعد فيلم [ناجى العلى] عملت « نهى » كمساعدة مخرج فى مسلسل تليفزيونى لبنانى اسمه [عودة الحكواتى] .. المسلسل كان عن الحرب الأهلية اللبنانية ، وكان يجرى تصويره فى نفس

المناطق التى شهدت هذه الحرب .. وكانت [ساحة الشهداء] أو « ميدان الشهداء » من أكبر ميادين بيروت وأقربها إلى الميناء ، هى الموقع الذى اختاره المخرج ليصور المسلسل فيه ، لأن هذا الموقع بالذات كان مخرباً ومهدماً تماماً بعد حرب أهلية إستمرت ١٦ سنة تبادلتــه فيها جميع القوات المتحاربة واحتلته كل قوة منها بعض الوقت ، وقبل انسحابها منه زرعته بالألغام حتى لا تستفيد منه القوات الأخرى التى ستحتله بعدها .. وبعد انتهاء الحرب قام الجيش اللبنانى بتطهير المنطقة كلها من الألغام التى كانت مزروعة فيها ..

استمر التصوير فى الموقع مدة أسبوعين ، ولم يكن باقيا غير مشهد واحد ثم ينتهى التصوير ، لكن الوقت لم يكف لتصويره فتأجل ذلك إلى الصباح التالى ليكون آخر مشهد وآخر يوم تصوير .. « نهى » بحكم كونها مساعدة المخرج كان عليها أن تقوم بإعداد الموقع للتصوير .. وكان المشهد لممثل جالس على مقعد .. وضعت « نهى » المقعد فى المكان المطلوب ، لكن المقعد لم يثبت فى مكانه ومال ووقع على الأرض .. خطت « نهى » خطوة واحدة إلى الأمام لكى تلتقط المقعد وتعدله فى مكانه .. فى هذه الخطوة الواحدة حدثت الكارثة : داست « نهى » بقدمها على لغم كان مدفونا فى الأرض لم ينتبه إليه الجيش اللبنانى وهو يطهر المنطقة من الألغام فكان من نصيب « نهى » .. إنفجر اللغم بعنف شديد .. ورأت « نهى » شيئا يطير أمام عينيها قبل أن تميل إلى جانبها وتقع على الأرض ، خيل إليها أن هذا الشىء الذى رأته يطير أمام عينيها هو : قدمها وجزء من ساقها !! ولم تكن « نهى » تتخيل .. كانت

بالفعل قدمها اليمنى قد انفصلت عن ساقها بتأثير انفجار اللغم فيها ، وطارت أمام عيني « نهى » قبل أن تنسف تماما وتتفتت تماما ولا يبقى منها أى أثر !! .

●

تحكى لى « نهى » فى لندن ، بعد الحادث بسنة ونصف ، أنها وهى واقعة على الأرض والدماء تنزف بغزارة من ساقها اليمنى المبتورة ، لم تشغلها ساقها المبتورة ولا قدمها التي ضاعت ، لكن شغلها أن يكون بقية جسمها يتهدده خطر لغم آخر .. لأنها قد تقبلت ، بعد الإنفجار بلحظات وقبل أن تجيء سيارة الإسعاف ، تقبلت فكرة أن تفقد ساقاً وقدماً ، لكنها كانت تخشى على يديها وعلى جسمها !! وهى فى سيارة الإسعاف فى طريقها إلى المستشفى كانت قد اطمأنت - أولا - على بقية جسمها ، وثانيا أنهااستطاعت أن تفلسف الأمر وتتقبل الأمر الواقع : « صحيح أنني قد فقدت ساقاً ، لكنني على أى حال لازلت حية لم أمت .. يعنى أن الله كان شفوقاً بى ولم ينسفنى كلى وإنما أخذ منى ساقاً واحدة فقط وترك لى الأخرى وترك لى بقية جسمى ووجهى وعينى وعقلى ، وحياتى .. أنا لازلت حية وذلك يكفى .. وأنا محظوظةوانكتب لى عمر جديد .. لقد كان بينى وبين الموت شعرة .. وأن أحيا بساق واحدة ناقصة أفضل كثيراً من ألا أحيا على الإطلاق » !! ..

كانت .. وهى لازالت فى سيارة الإسعاف - تفكر فى مستقبلها الفنى وهل سيستمر عملها فى السينما بعد ذلك وهى بساق واحدة !؟ وفكرت أيضا فى وقع الخبر على أسرتها فى طرابلس حين يبلغهم أن ابنتهم الجميلة الصغيرة قد فقدت ساقها فى حادث كهذا .. كانت

تسمع عن الألغام التى تنفجر فى الآخرين ، لكنها لم تتصور أن يحدث ذلك لها هى شخصيا .. وها هو قد حدث ..

●

فى المستشفى ، و « نهى » فى غرفة العمليات ، كان لابد وأن يبتر الأطباء جزءا آخر من الساق المصابة ، لأن العظم فيه كان قد تفتت تماما ، والمفروض ألا يتبقى من الساق إلا الجزء الذى عظمه سليم حتى يمكن أن تلتئم الساق - الجزء الباقى منها - عليه .. فسألت « نهى » الأطباء قبل أن تغيب تحت البنج : « هل سأتمكن من تركيب ساق صناعية !؟ » وسمعت : « طبعا » .. ثم غابت تحت البنج ..

●

وحين خرجت « **نهى** » من المستشفى بعد ٢٠ يوما وهى تتوكأ على عكازين لم تكن ساقها المبتورة هى التى تؤلمها ، لكن نفسيتها .. فإنها لم تحصل على أى تعويض عن فقدانها ساقها ، لأن الشركة التى انتجت المسلسل كانت قد أمنت على الأجهزة ومعدات التصوير ولم تؤمن على البشر الذين يشتركون فى المسلسل .. حتى أن الشركة قد رفضت أن تدفع نفقات المستشفى التى دخلتها « نهى » بسبب الحادث ، لأن الشركه اعتبرت أن الحادث هو [حادث حرب] وليس [إصابة عمل] !! وتقول « نهى » : « الحمد لله اللى جت على كده ، وكويس إنهم ما طلعونيش أنا غلطانة وطالبونى بتعويض عن تعطيل العمل » !! .

●

« **رفيق الحريرى** » هو رئيس وزراء لبنان الآن .. لكنه قبل ذلك كان رئيساً لمؤسسة خيرية لمساعدة الطلاب فى لبنان - وهو مليونير أصلا - وقبل أن يصبح رئيسا للوزراء قدم لـ « نهى »

المبلغ الذى طلبته كاملا لكى تستطيع تركيب ساق صناعية ، دون أن يكون يعرف « نهى » شخصيا أو يتوسط أحد لها عنده .. لكنه كان قد قرأ عنها وعن الحادث فى الصحف .. فعل الخير لا يحتاج إلى واسطة ولا إلى كروت ..

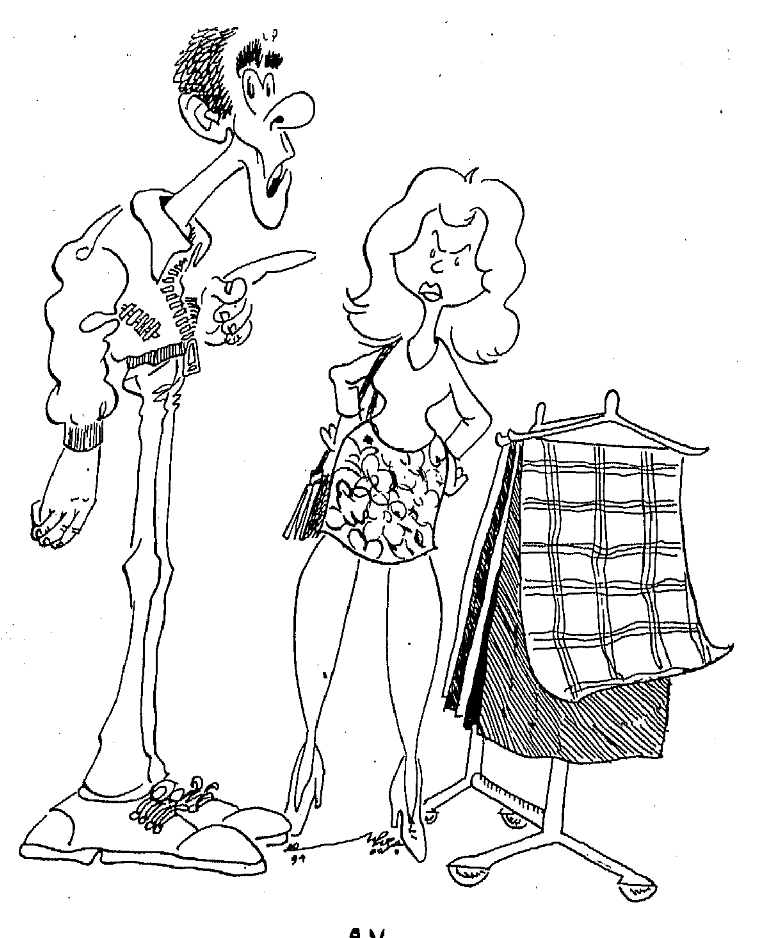
وجاءت « **نهى** » **إلى لندن** فى منتصف عام ١٩٩٢ لتدخل مستشفى هنا وتركب أول ساق صناعية ، كانت تعرف منذ البداية أنها « مؤقتة » .. غيرتها بعد ٧ شهور بساق أخرى أحدث : خفيفة جداً ولينة جدا وكأنها ساق حقيقية .. هى [بوت] طويل تخلعها كل ليلة قبل أن تنام وكأنها تخلع حذاءها .. وعندها فى غرفتها [عكاز] تستعمله فى الفترة التى تقضيها وحدها فى شقتها .. هذه الساق ثمنها ٢٥٠٠ جنيه إسترلينى أو نحو ٥٠٠٠ دولار ، بما فى ذلك أجر المستشفى .. وضرورى أن يكون عندها ساق صناعية أخرى احتياطى وكأنها عجلة السيارة **الإحتياطى** ، حتى إذا حدث أى شىء للساق الأصلية تكون الساق **الإحتياطى** جاهزة للإستخدام فوراً .. الساقين معا ـ الأصلية **والإحتياطى** ـ ضمن هذا المبلغ ..

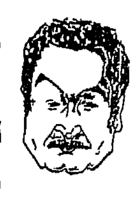
متوائمة نفسيا جدا « نهى » .. كل الذين حولها كانوا يتصورون أن [السكينة سارقاها] الآن لكنها سوف تنهار بعد فترة حين نفيق إلى فداحة ما حدث لها .. لكن ذلك لم يحدث حتى الآن بعد أكثر من عام ونصف على الحادث .. بالعكس ، فـ « نهى » الآن قد عادت إلى العمل بكل قوتها وأكثر من زمان بكثير .. فهى تقدم الآن برامج فى إذاعة لندن العربية ، وفى تليفزيون لندن العربى ، وتقدم عروضا مسرحية ، وتشارك بالتمثيل فى الأمسيات الشعرية العربية فى لندن ، وعضو نشيط فى لجنة الشباب فى النادى العربى ..

وحصلت « **نهى** » على حق الإقامة الدائمة فى بريطانيا بمجرد أن طلبت ذلك .. لأن فى القانون البريطانى بنداً رحيماً يعتبر من فى مثل ظروف « نهى » [لاجئاً إنسانياً] .. فتصرف لها الحكومة البريطانية مبلغاً أسبوعياً سخياً يمكنها من ألا تحمل هم يومها ولا غدها ، وأيضاً تدفع عنها إيجار شقتها الصغيرة التى تعيش فيها الآن .. وسجلت « نهى » نفسها لكى تقوم بدراسات عليا فى الإخراج السينمائى ، تنوى بعدها أن تعمل فى السينما فى إنجلترا أيضا ..

ترقبوا اسم « نهى خالد المصرى » ، فهى ستكون شيئا كبيراً فى قادم الأيام ..

والسبب :
بدلة
حمراء !!





حين جاء ضابط الشرطة المصرى الشاب المقدم «سعيد خضر» إلى لندن فى بعثة قصيرة مدتها ٣ شهور لدراسة نظم العمل فى إدارة البوليس الإنجليزى الشهيرة « سكوتلنديارد » ، لم يكن يدرى أن هذه الشهور الصيفية الثلاثة سوف تغير مجرى حياته تماماً ..

وقد مرت الشهور الثلاثة هادئة تماما ، لكن اليوم الأخير قبل السفر هو الذى لخبط الدنيا ، أو لعله لنكون - أكثر دقة - هو الذى « عدل » الدنيا !

كان « سعيد » قد تلقى خطابا من صديقه وزميله ضابط البوليس أيضا « جمال على » يخبره فيه بأنه قرر أن يتزوج .. « جمال على » قرر أن يتزوج ، هو حر ، عقله فى رأسه يعرف خلاصه .. لكنه لم يكفه أن يتخذ قرارا طائشا كهذا ، إنما أيضا قرر أن تكون بدلة الفرح : حمراء !! .. هه ، لتكن حمراء أو تيركواز أو بمبى فهو حر أيضا .. لكن كانت المهمة التى كلف بها « جمال على » من القاهرة صديقه « سعيد خضر » فى لندن هو أن يشترى له « سعيد » البدلة الحمراء المطلوبة من لندن !

●

وصل خطاب « جمال » فى اليوم الأخير لسعيد فى البعثة ، لكن

« جمال » صديق عزيز وحميم ولابد من تلبية طلبه .. فنزل « سعيد » إلى [أو كسفورد ستريت] ، شارع لندن الشهير ، يبحث عن البدلة الحمراء المطلوبة .. داخ السبع دوخات ودخل كل المحلات الكبيرة والصغيرة فلم يعثر على بدلة فرح حمراء .. منك لله يا جمال يا على .. هو لازم جوازك ييجى على دماغ العزاب ، وعلى دماغ « سعيد خضر » بالذات !؟

ما علينا، فى آخر محل دخله « سعيد » كان قد يئس تماما من العثور على البدلة المطلوبة ، لكنه قبل أن ينصرف مال على الفتاة الحسناء التى وجدها تقف فى ركن البدل الرجالى ، وسألها : « من فضلك أين أجد بدلة فرح حمراء فى محلكم هذا؟ فأجابته الفتاة مندهشة : « لا أعرف .. ثم أنه ليس محلى وأنا لا اعمل هنا .. أنا زبونة مثلك » !! واعتذر لها « سعيد » مرتبكا وحاول أن يشرح لها بأنه ظنها بائعة واضطر أن يسألها لأنه فشل فى العثور على البدلة المطلوبة لصديق له قرر ألا يتزوج إلا ببدلة حمراء .. وضحكت الفتاة الإنجليزية لارتباكه ، لكنها ، كعادة الطيبين من الإنجليز ، حاولت أن تساعده ، فقالت له أنها فعلا رأت بدل فرح حمراء فى محل لا يبعد كثيرا عن المحل الذى هما فيه الآن .. وراحت تصف له مكان المحل ، لكن « سعيد » كان كالغريق الذى أمسك فجأة بطوق نجاة ، فألح عليها فى أن تتكرم مشكورة وتذهب معه إلى المحل بنفسها .. وفكرت « آن » قليلا ، وهذا هو اسمها - طبعا إسمها « آن » فقط وليس « آن قليلاً » - ثم ذهبت معه إلى المحل القريب واشترى فعلاً البدلة الحمراء ، وإنتهت مشكلة « جمال على » العريس الذى فى القاهرة ، لكن مشكلة « سعيد » نفسه هى التى

بدأت : ضابط الشرطة الذى عاش أعزبا حتى قارب الـ ٣٥ وجد نفسه فجأة ـ كمن أصيب فى حادث سيارة ـ متعلقا بالفتاة الإنجليزية «آن » .

قال لها أن هذا هو يومه الأخير فى لندن وأنه غداً مساء سيكون فى طريقه إلى مطار هيثرو عائدا إلى القاهرة ، فهل تسمح له بساعات قليلة تقضيها معه فى فترة الصباح فى الغد ؟ ولأن « آن » قد استلطفته فإنها ـ كأى فتاة إنجليزية متحررة ـ لم تمانع .. والتقيا فعلا فى اليوم التالى قبل ساعات من موعد الطائرة ، وقضيا فترة الصباح معا ..

●

وحين حان وقت الفراق قال سعيد « لآن » ببساطة ممثلى السينما المصرية : « آن .. تتجوزينى ؟ » وردت « آن » بواقعية البنات الإنجليز : « إجرى يا ابنى إلعب بعيد ، إنت واخد الحكاية قفش وقوام قوام كده ليه ؟ هو أنا لحقت أعرفك أصلاً علشان أتجوزك ؟ ثم أنت مصرى وبتقول إنك ضابط بوليس ، يعنى مضطر ترجع مصر .. وأنا أعرف مصر بمجرد السمع عنها .. يعنى أتجوز واحد ما أعرفوش وكمان أروح معاه بلد ما اعرفهاش ؟ إنت قطعا بتهزر » !! وأقسم لها « سعيد » أنه يتكلم جادا : « وإذا كانت المشكلة انك ماشفتيش مصر قبل كده يا ستى ، فتعالى مصر إقعدى اسبوع والا أسبوعين واتفرجى عليها وشوفيها زى ما أنتى عايزة ، وتكون فرصة كمان تعرفينى أكثر قبل ما تقولى « آه » والا « لأ » ..

وأعجبت « آن » بالفكرة .. وذهبت فعلا إلى مصر فى أجازة

لمدة أسبوعين فأعجبتها جدا مصر ، وأيضا فى خلال هذه المدة كانت معرفتها بسعيد عن قرب قد جعلتها تقتنع به .. فى آخر يوم لها قبل عودتها إلى لندن تزوج المصرى « سعيد خضر » والإنجليزية « آن » فى القاهرة ، قبل أن يتزوج « جمال على » - العريس أبو بدلة حمراء اللى كان السبب - من عروسه المصرية !!

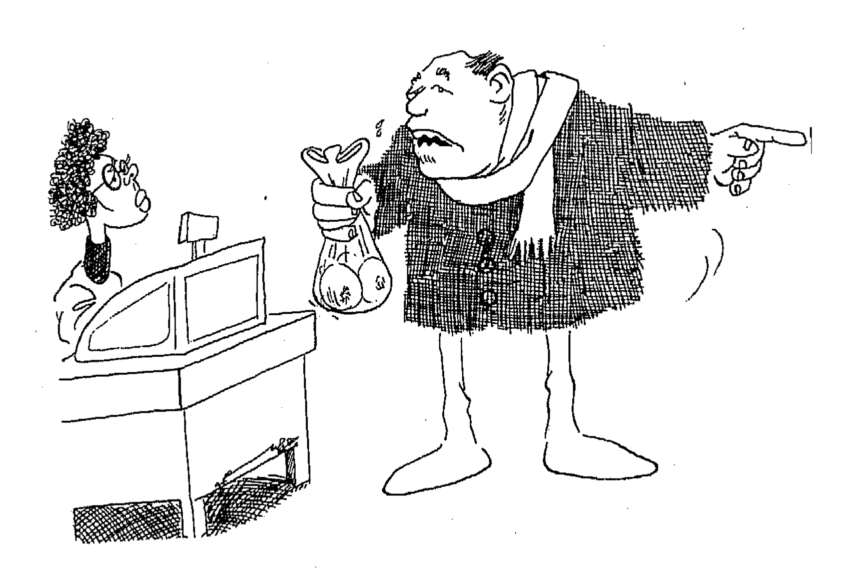
●

القصة لم تنته بعد ، إصبروا تزوج « سعيد » « وآن » ، ثم ماذا ؟ « سعيد » مضطر إلى البقاء فى القاهرة بحكم عمله كضابط بوليس ، و « آن » مضطرة إلى العودة إلى إنجلترا بحكم عملها - الذى لم يكن سعيد يعرف طبيعته - كسكرتيرة لـ « ليدى آرثر هاملتون » أشهر سيدة فى مجال الخدمة الاجتماعية والجمعيات النسائية فى انجلترا كلها ، وهى وظيفة لا تستطيع أن تضحى بها حتى لو تزوجت مدير الأمن العام فى مصر .. ما الحل إذن ؟ هل يكون زواجا بالمراسلة ؟ لا طبعا .. « آن » عندها حل لكل هذه المشاكل : « سأييد - يعنى سعيد - مش إنت بتقول إنك معاك ليسانس حقوق فوق إنك ضابط بوليس ؟ » .. « آه .. ومعايا ماجستير فى القانون كمان .. « خلاص .. إذن مفيش مشكلة .. ما تيجى تعمل دكتوراه فى القانون فى جامعة لندن » .. « **والله فكرة** » .. وبعد عدة شهور كان ضابط الشرطة المصرى « سعيد خضر » قد حصل على أجازة دراسية وجاء ليحصل - بعد خمس سنوات - على الدكتوراه فى القانون من جامعة لندن ، ويحصل معها أيضا على طفلة جميلة - إنتاج مصرى إنجليزى مشترك - إسمها « **ميراندا** » ، ويحصل مع الدكتوراه على رتبة « عميد شرطة » ..

●

وتستقر حياة سعيد خضر فى لندن بعد أن تحول إلى رجل أعمال مصرى أوشك أن ينتهى من جمع المليون الأول من ثروته .. وعقبالنا يا رب ، بس من غير بدلة حمراء !

من أجل حفنة بصلات !





التعامل مع السوق ، مع المحلات ، مع الشراء ، فى أوروبا عموما وفى إنجلترا على الأخص ، أسهل كثيراً و« أربح » كثيراً من التعامل معها فى مصر وفى بلادنا العربية عموما .. ليس فقط لأن [الزبون دائماً على حق] كما هو شعار السوق هناك ، لكن أيضاً لأن هناك إدارة مهمة جدا فى بريطانيا إسمها (The Consumer Department) **أو [إدارة حماية المستهلك] .**

يخشاها السوق الإنجليزى كله ويعمل لها ألف حساب .. إبتداء من المحلات الكبرىSuperstores التى يبيع المحل الواحد منها بمليون جنيه فى اليوم الواحد ، إلى محلات الخضار والفواكه التى تبيع للزبون الموز بالصباع والتفاح والكمثرى والخوخ بالواحدة والعنب بالربع رطل .. وإذا اشتريت كزبون أى شىء مهما كان حجمه ومهما كان ثمنه ، إبتداء من سيارة « رولز رويس » ثمنها ربع مليون جنيه إسترلينى ، إلى مشط ثمنه ١٠ بنسات ، وأخذته إلى بيتك فعلا واستعملته فعلا لعدة أيام ، ثم لم يعجبك لسبب أو لآخر ، أو حتى بغير سبب على الإطلاق .. فإنك تستطيع أن تأخذ

الرولز رويس أو المشط إلى المحل الذى اشتريته منه وتمد للبائع يدك بالإيصال فيمد لك يده على الفور بالثمن الذى دفعته ويشكرك ويحييك ويتمنى لك وقتا طيبا ويرجوك أن تعود إلى محله مرة أخرى وأن تظل زبونه دائماً .. وإلا ، فإن [إدارة حماية المستهلك] قد تغلق له محله بالضبة والمفتاح وترغمه على أن يدفع لك تعويضاً قد يكلفه رأس ماله كله ..

●

وتجاربى عديدة وكثيرة فى هذا الموضوع كمهاجر مصرى هذه المسألة جديدة عليه تماما بعد أن جرب فى مصر طوال عمره لافتة [البضاعة التى تباع لاترد ولا تستبدل] فى كل المحلات ، وكصحفى رذل يحب أن يدس أنفه فى كل شىء .. لكنها كلها كانت تجارب شيك ومحترمة ومعقولة : أشترى تليفزيونا صغيرا جدا ٥ بوصة لكى أضعه على مكتبى فى البيت لزوم الشياكة والوجاهة والمنظرة ، لكنى فى البيت أكتشف أن المكتب لم يعد به مساحة خالية تكفى لأن أضع فيها قلم رصاص جديد ، فأعيد التليفزيون إلى المحل الذى اشتريته منه وأسترد فلوسى .. إشتريت قميصا لونه زيتى شيك جداً وفاخر جداً لأننى رأيت صديقاً يلبس نفس القميص فأعجبنى عليه كثيرا .. لكننى حين لبست أنا القميص يتضح أن الذى يليق على صديقى الإنجليزى الأشقر ليس من الضرورى أن يليق علىّ أنا بشعرى الأسود **الأكرت** وبشرتى القمحية ، فأعيد القميص إلى المحل وأسترد فلوسى فوراً دون مناقشة .. وأمثلة أخرى من هذا القبيل .. حتى كان الأسبوع الماضى ...

●

يوم السبت الماضى إشتريت من السوبر ماركت الضخم

[تيسكو TESCO] القريب من بيتى ، رطل بصل ثمنه ٢٩ بنساً .. البصل سايب ، يعنى تمد يدك وتنقى بنفسك كمبة البصل التى تريدها وتضعها فى كيس بلاستيك ، ثم تزنه لك فتاة الخزينة على ميزان أمامها وتحسب لك ثمنه باعتبار ثمن الرطل ٢٩ بنسا .. أما بقية أنواع البصل المعروضة فهى تباع فى عبوات" المهم ، أخذت البصل مع بقية مشترياتى وعدت إلى البيت .. وبالصدفة وأنا أضع المشتريات فى أماكنها فى دواليب مطبخى ـ وأنا رجل منظم ومرتب بطبعى ـ أعجبتنى نقاوتى للبصل رغم أننى رجل خايب جداً فيما يتعلق بالطبخ والطبيخ وشئون المطبخ .. فأردت أن أعرف كم كلفنى هذا البصل الشيك ـ بافتراض أن هناك بصل شيك ـ فراجعت الفاتورة التى أعطتها لى فتاة الخزينة لكى أفاجأ بأنها حسبت لى الـ ٤ بصلات بـ ٧٧ بنساً وليس ٢٩ بنساً !! والـ ٧٧ بنساً هذه تشترى [تورتاية] من السوپر ماركت وليس ٤ بصلات .. ولأن عاملة الخزينة كانت فتاة سوداء وأنا لا أحب السود الإنجليز ، فقد وضعت الفاتورة فى جيبى وقررت أن أمر بهذه التجربة ..

●

واليوم ، بعد ٤ أيام من شرائى البصل ، ذهبت إلى السوپر ماركت لمشتريات جديدة لى .. فى كل سوبر ماركت وفى كل محل كبير فى انجلترا ـ وفى أوروپا الغربية كلهاـمكتب عليه لافتة كبيرة تقول أنه [مكتب خدمة الزبائن] ليحل لك أى مشكلة تصادفك وأنت فى المحل .. إبتداء من أنك مش عارف مكان صنف ما معين على رفوف المحل ، فتدلك الموظفة عليه ، أو اشتريت صنفا لم

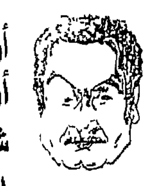
يعجبك وتريد تغييره أو إعادته واسترداد ثمنه ، إلى مشكلة من نفس نوع مشكلتى ..

ذهبت للموظفة التى فى [مكتب خدمة الزبائن] ، ولم أتفاءل كثيرا لأننى وجدتها سوداء أيضاً .. لكننى برضه شرحت لها ماحدث وأننى دفعت ٧٧ بنساً ثمناً لـ ٤ بصلات بدلا من ٢٩ پنساً ، وأنه ليس هناك سايب معروض أصلا ثمنه أكثر من ٢٩ پنساً ، وأننى لو كنت قد أخذت [عبوة] بصل لما احتاجت فتاة الخزينة إلى وزنها لأن [العبوة] وزنها ثابت وسعرها موحد .. فنظرت الفتاة فى الإيصال وراجعته ، وببساطة جدا دون أن يستغرق الأمر أكثر من ثوانى ودون أن تسألنى عن اسمى وعنوانى ووظيفتى أو تحقق معى ، فتحت درج الخزينة التى أمامها وردت لى ٥٢ پنساً فرق السعر الذى دفعته أكثر .. **فقد وجدت الفتاة أن وزن البصل الذى أخذته ـ وهى مذكورة فى الإيصال ـ كانت أقل قليلا من رطل ، ولذلك كان مفروضا أن أدفع ٢٥ پنساً وليس حتى ٢٩ !!**

عقبالنا يارب ..

حكايـــــــة
بنـــــــت
إسمهـــــــا
« بيفـرلـــى » !





أن يتزوج الشاب العربى المسلم الذى يعيش فى أوروپا للعمل أو للدراسة ، من فتاة أوروبية ، فذلك شىء وارد .. فإن الإسلام يقبل زواج المسلم من المرأة الكتابية إذا كانت على غير دينه ..

وأن تتحول الفتاة الأوروپية إلى دين الإسلام قبل زواجها من الشاب العربى المسلم ، لكى يصبح زواجهما مقبولا من أسرته فى وطنه ، فذلك أيضا شىء وارد .. لأن الفتاة الأوروپية عادة لا تهمها كثيرا مسألة الدين ، وإنما تهمها أكثر مسألة الزواج ..

أن تحدث الخلافات والمشاكل بعد الزواج بين الزوجين العربى المسلم والأوروپية المسلمة « الآن » فذلك أيضاً شىء وارد لأنه سنة الحياة ، ولأن الخلافات والمشاكل ممكن أن تحدث بين أى زوجين مسلمين عاديين ومسلمين بالميلاد ..

وأن تعود الزوجة الأوروپية التى أسلمت ، بعد فترة من زواجها ، طالت أو قصرت ، إلى دينها الأصلى بسبب الخلاف بين الزوجين ، فذلك أيضاً أمر وارد وكثيرا ما يحدث حين تستفحل الخلافات ويستحيل استمرار الحياة والتعايش بين تقاليد الشرق وعادات الغرب ..

لكن الحالة التى أتحدث عنها الآن موضوع مختلف تماماً .. بدأ مختلفا ، واستمر مختلفا ، وانتهى نهاية مختلفة لم يكن أحد ينتظرها أو يتوقعها .. ولا حتى الزوج نفسه ..

●

ظاهرة موجودة ومنتشرة كثيرا ، ليس فى إنجلترا فقط ، ولكن فى أوروپا كلها وفى كل بلد أجنبى خارج الوطن العربى .. وهى ظاهرة ـ فى تقديرى ـ طبيعية تماماً:ظاهرة وجود عدد كبير من الشبان العرب المسلمين متزوجين من إنجليزيات .. لو كنا فى إيطاليا لوجدنا عدداً كبيرا من الشبان العرب المسلمين متزوجين من إيطاليات ..لو كنا فى أسپانيا لوجدنا عددا كبيرا من الشبان العرب المسلمين متزوجين من أسپانيات .. ولو كنا فى أمريكا لوجدنا عددا كبيرا من الشبان العرب المسلمين متزوجين من أمريكيات ، وهكذا.. وهذه مسألة طبيعية بحكم أن الغربة تجعل الفتاة التى من نفس جنسية البلد الأجنبى هى ، طبعا ، الأكثر توافرا أمام الشباب العربى الذى يتواجد فى هذا البلد لسبب ما قد يكون الدراسة أو العمل ، عن الفتاة التى من نفس جنسيته العربية .

وعادة حين يتزوج شاب عربى مسلم فى أوروپا ، من فتاة أوروبية .. فغالبا ما تتحول الفتاة الأوروبية إلى الإسلام ، وفى كثير من الأحوال يكون إسلامها ظاهريا فقط ، إرضاء للزوج وتمشيا مع تقاليد بلده ..

الحالة التى أتحدث عنها الآن حالة من هذا النوع : الزوج مصرى مسلم ، والزوجة إنجليزية مسلمة ، مع اختلاف بسيط ، هو أن الزوجة الإنجليزية لم تشهر إسلامها إلا بعد عدة سنوات من

الزواج ، وأنها أشهرت إسلامها بغير علم الزوج و« من وراء ظهره » ، وأنه كان أول من « فوجىء » بإسلام زوجته !!

« **بيڤرلى چوى كانڤن** » ، أو « ببا » ، التى أصبحت الآن « إيمان » .. أصبحت مسلمة منذ نحو ٣ سنوات فقط ، بالرغم من أنها متزوجة فعلا منذ أكثر من ١٠ سنوات ..

« **بيڤرلى** » و « محمد » التقيا فى ميلانو بإيطاليا منذ نحو ١٠ سنوات ، حين كان « محمد » يعمل هناك وكانت « بيڤرلى » قد ذهبت إلى إيطاليا لتقوم بتعليم اللغة الإنجليزية للأطفال الإيطاليين ، وفى الوقت نفسه لتتعلم هى اللغة الإيطالية ..

والتقى الغريبان فى ميلانو ، وتحابا ، وبعد شهرين فقط كانا يقفان أمام الوزير المفوض « سمير كامل » القنصل العام المصرى فى ميلانو ، ليتزوجا على الطريقة المصرية و(على سنة الله ورسوله) ، التى تبيح زواج المسلمين من الكتابيات مع احتفاظ الزوجة بديانتها الأصلية إذا أرادت ، يعنى دون أن تكون مضطرة إلى تغيير ديانتها ..

حين تزوجت « بيڤرلى » من محمد زينهم كانت تعلم أنه مسلم .. ولم يكن اختلاف الدين فى نظرها يمثل عقبة ما .. أعجبها محمد وذلك يكفى ، فتزوجته على اعتبار أن كل إنسان حر فى معتقداته .. وحين اتصلت تليفونياً بأسرتها فى [بور نموث] فى إنجلترا لكى تبلغ والدها ووالدتها بأنها سوف تتزوج شابا مسلما ، لم يعترض الأب أو الأم الإنجليزيان على ذلك ، بالرغم من أن

« بيڤرلى » هى ابنتهما الوحيدة ، لأنهما كانا أيضاً يريان رأيها فى أن الدين مسألة شخصية جدا نابعة من معتقدات الإنسان وليس لإنسان آخر أن يتدخل فى هذه المسألة الشخصية جدا ..

وبارك الأب وباركت الأم زواج ابنتهما الوحيدة من الشاب « محمد زينهم » دون أن يشغلهما للحظة واحدة أنه مسلم .. وطوال ثلاث سنوات **لم يحاول** « **محمد** » من ناحيته أن يضغط عليها ليحولها إلى الإسلام ، تاركا لها حريتها الشخصية فى ممارسة معتقداتها ..

●

بعد زواجهما بثلاث سنوات ذهبت « **بيڤرلى** » إلى مصر ، بلد زوجها ، فى أجازة لمدة شهرين .. سبقت هى زوجها فى الذهاب إلى القاهرة ، ولحق بها « محمد » بعد ثلاثة أسابيع ، وقضيا معاً شهرا كاملا ، ثم سبقها هو فى العودة إلى إنجلترا قبلها بأسبوع واحد ..

وحين ذهب ليستقبلها فى مطار هيثرو بلندن عند وصولها بادرته على الفور بسؤال غريب جدا : « إنت عارف إسمى إيه » ودهش « محمد » جداً أن تسأله زوجته سؤالا ساذجاً كهذا بعد أكثر من ٣ سنوات من زواجهما ، وقال مندهشا : « طبعا .. إسمك بيڤرلى » قالت « بيڤرلى » : « غلط » ، فقال وهو لايزال مندهشا ومش فاهم حاجة أبداً : « إسمك ببا » ـ وهو إسم التدليل لـ « بيڤرلى » ـ وأجابت « بيڤرلى » : « غلط أيضا » !! فقال محمد مستسلما وقد تأكد أن زوجته قد حدث لمخها شىء ما نتيجة الحر فى مصر أو نتيجة رحلة الطائرة : « لا أعرف أن لك أسماء غير « بيڤرلى » أو « ببا » .. ومع ذلك : إسم حضرتك إيه يامدام زينهم !؟ » فقالت

« بيفرلى » بثقة وهى تفتح حقيبة يدها لتخرج منها وثيقة رسمية تضعها فى يد زوجها : « إسمى إيمان » !!

●

تحكى لى « بيفرلى » ، أو « إيمان » :

- حين ذهبت إلى مصر فى أجازة لم يكن زوجى معى نظرا لظروف عمله .. وقضيت ثلاثة أسابيع كاملة وحدى بين أسرته وفى وسط المصريين ، ورأيت كيف تعيش الأسرة المسلمة هناك ، والحب والتعاطف والمودة التى تربط أفراد الأسرة المسلمة ببعضهم البعض .. وجدت شيئاً مختلفا تماما عما تعودته هنا فى إنجلترا .. هنا الأمر مختلف تماما .. الإنجليز - الذين أنا منهم - ناس باردين بلا عواطف ولا مشاعر وكأن كل واحد منهم جزيرة منعزلة تماماً عما حوله .. هنا كل واحد يفكر فى نفسه فقط وفى عالمه المنعزل المستقل الذى لا يهتم بما حوله ولا بمن حوله ، ولا يهمه إن كان جاره أو قريبه مريضا أو جائعا أو حتى جرح أو قتل أو مات .. هنا بمجرد أن يكبر الأبناء ويصبح عمرهم ١٥ أو ١٦ سنة ينفصلون عن الأسرة وتصبح لهم حياتهم المستقلة تماماً .. وقد يسكن الإبن أو البنت وحدها فى نفس الشارع الذى تسكن فيه أسرتها أو والديها ، فلا تذهب لزيارتهما ولا تدق بابهما بالشهور الطويلة ، وقد تخطب البنت أو تتزوج و « تنسى » أن تخبر أسرتها .. وقد يموت الأب أو الأم فلا يعلم الابن أو الإبنة إلا بعد ذلك بشهور ..

فى الأسر المسلمة التى رأيتها وعاشرتها فى مصر المسألة مختلفة تماماً .. الناس هناك يحبون بعضهم البعض ويتزاورون كل يوم ويتقابلون بالأحضان وبالقبلات حتى لو تقابلوا كل يوم ..

●

بعد ثلاث سنوات ونصف من الزواج إتخذت « بيڤرلى چوى كانڤن » قرارها بنفسها ، حتى دون أن ترجع إلى زوجها نفسه فى ذلك ، بل ولم يكن زوجها موجودا أصلا فى نفس البلد حين اتخذت « بيڤرلى » قرارها .. ذهبت إلى حماتها المصرية ذات يوم ـ بعد سفر « محمد » عائدا وحده إلى إنجلترا ـ وسألت حماتها : « كيف أستطيع أن أصبح مسلمة !؟ »

وطلبت منها الحماة الذكية أن تعيد التفكير فى قرارها وتعطى لنفسها مهلة ولو ليوم واحد فقط تفكر فيه على مهلها وبلا تعجل. أو تسرع .. وبمجرد أن استيقظت « بيڤرلى » من نومها فى صباح اليوم التالى هرعت إلى حماتها لتؤكد لها أنها لازالت عند قرارها ، وتطلب منها أن تساعدها فى إشهار إسلامها فى أسرع وقت ، حتى تعود إلى انجلترا مسلمة .. ولم يكن قد بقى على سفرها عائدة إلى إنجلترا إلا أياما قليلة .. أقل من أسبوع واحد ..

وذهبت الحماة و« بيڤرلى » إلى إدارة الجامع الأزهر لكى تشهر « بيڤرلى » إسلامها هناك أمام الشيخ رئيس لجنة الفتوى بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر .. ولم تستطع الحماة الطيبة السعيدة أن تحبس دموعها التى انسابت غزيرة وهى ترى زوجة إبنها الإنجليزية المسيحية تتحول إلى الإسلام وتعلن إسلامها فى مبنى الأزهر نفسه .. وتتحول من « بيڤرلى چوى كانڤن » إلى « إيمان محمد زينهم » ..

« **إيمان** » ـ هى « إيمان » الآن خلاص ـ كانت سعيدة جدا حين إستقبلها فى الأزهر شيخ مصرى يتكلم الإنجليزية بطلاقة، فلم تكن

تتصور أن الشيوخ أو « المشايخ » يتكلمون أى لغة إلا اللغة العربية ، ففوجئت وسعدت بإنجليزيته السطلقة .. وتكلم الشيخ معها وسألها : لماذا تريد أن تكون مسلمة ، ثم طلب منها أن تنطق بالشهادتين أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله » .. ففعلت .. وأصبحت مسلمة ..

وكان ينتظر دوره بعدها شاب يابانى جاء من اليابان خصيصاً ليشهر إسلامه فى الجامع الأزهر بالذات أيضاً ..

●

أسأل « إيمان » :

● هل أسلمت يا « إيمان » فقط لمجرد أن تسعدى زوجك وتسعدى حماتك !؟ .

وترد على الفور :

– أبداً .. وإلا كنت قد أسلمت منذ أول يوم لزواجي .. لكننى لم أسلم إلا بعد أن اقتنعت بأن الإسلام أفضل بكثير من اقتناعى السابق الذى كنت لا أعرف غيره من قبل .. أسلمت بعد أن رأيت شكل حياة المسلمين وإيمانهم وجربت وذقت طعم حياتهم ، خصوصاً داخل الأسرة الواحدة .. المسلمون مسلمون كل أيام الأسبوع ، لكننى كنت قبلا مسيحية يوم الأحد فقط !!

أحاور « إيمان » :

● ولو كنت قد ذهبت إلى مصر ـ أو إلى أى بلد عربى ـ وأنت غير متزوجة وغير مرتبطة عاطفيا بشاب مسلم ، وعشت هناك فترة ورأيت المسلمين كما رأيتهم عندما زرت مصر وأنت

متزوجة ؛ هل كنت ستصبحين مسلمة أيضاً ؟ أم أنك فكرت في الإسلام لأنك أصلا كنت متزوجة فعلا من مسلم !؟ .

صريحة جداً « إيمان » :

ـ مؤكد أنني كنت سوف أصبح مسلمة أيضاً .. فكما قلت لك لم يكن لمحمد أى تأثير أو ضغط لإسلامي ، حتى أنه لم يعرف أنني كنت أريد أن أسلم إلا بعد أن أسلمت فعلا ، ولم يكن موجودا في مصر أصلا حين ذهبت مع والدته إلى الأزهر لكى أشهر إسلامي .. لكن تستطيع أن تقول أن ما رأيته في [أسرة محمد] هو الذى جعلنى أقرر أن أكون مسلمة .. الأسرة المسلمة التى عاشرتها هى التى جعلتنى أحب الإسلام وليس زوجى نفسه ..

● من الذى اختار لك اسم « إيمان » !؟

ـ أسرة محمد اقترحت لى عدة أسماء وترجمت لى معانيها إلى الإنجليزية ، فاخترت من بينها اسم « إيمان » لأننى وجدت أنه ينطبق تماما على حالتى ..

● وماذا كان رد فعل صديقاتك الإنجليزيات فى إنجلترا بعد عودتك من مصر ، حين عرفن أنك قد أصبحت مسلمة ؟ .

ـ **لم يصدقن ذلك فى البداية** .. وسألننى لماذا فعلت ذلك ، وما الفرق بين الإسلام والمسيحية ؟ .. وكنت أقول لهنّ أنه لا يكفى أن أشرح أنا لهن الفرق بين الإسلام والمسيحية ونحن هنا فى لندن .. لكن الذى ـ أو التى ـ تزور بلدا مسلما وتتعامل مع المسلمين فيه وتحيا حياتهم وتعاشرهم لفترة ، فإنها قطعا سوف

تشعر بطعم الإسلام حتى دون أن يشرحه لها أحد .. فالإسلام فى تصورى « حياة » أكثر منه « كتابا دينيا » ..

●

سألت الزوج « محمد زينهم » :

● جرت العادة حين يقرر الشاب المسلم فى الغربة أن يتزوج من فتاة أجنبية مسيحية أو من أى ديانة أخرى ، أو حتى (لا دينية) ، أن يشترط عليها أن تصبح مسلمة قبل أن يتزوجها .. **ألم تطلب ذلك من** « بيڤرلى » قبل زواجك منها ؟

ـ **لم أفعل ذلك** ، لنفس السبب الذى ذكرته أنت فى سؤالك ، وهو كلمة « يشترط » .. فلم أشأ أن أجعل هذا شرطا لزواجى منها ، فتعلن إسلامها وهى تشعر أنها (ترضخ لشروطى) لمجرد أن يتم الزواج .. تركتها على راحتها وأنا آمل أن تشعر بحلاوة الإسلام بعد أن تعاشرنا كمسلمين وترى شكل حياتنا .. ولم أحدد لذلك زمنا أو مهلة .. تركته للأيام تحدده هى .. وما تصورته قد حدث .. وبالرغم من ذلك فإنه حين حدث كان مفاجأة لى تماماً ..

●

« **إيمان** » من فرط حبها للإسلام والمسلمين استطاعت بإرادة غير عادية أن تلتقط اللغة العربية وتتعلمها فى خلال الشهرين اللذين قضتهما فى مصر ، حتى أن أغلب حديثنا ـ هى وأنا ـ فى لندن فى الأسبوع الماضى ، كان باللغة العربية التى تنطقها باللهجة المصرية إنما ، طبعا ، بلكنة أجنبية واضحة .. لكنها تتكلم العربية وتفهم ما أقول وترد عليه .. فإذا توقفت عند كلمة أو عبارة فأشعر أنها على طرف لسانها لكنها مترددة فى أن تنطقها خوفا من أن تكون خطأ ، لكنها غالباً تكون صح .. ويقول « محمد » مبرراً

ذلك ، أن « إيمان » كانت سريعة جداً فى التقاط اللغة العربية .. وحين يتكلم هو وأصدقاؤه باللغة العربية فإنها تجلس معهم وكأنها جهاز استقبال جيد متحفز تماماً لفهم ما يقال أمامه ثم ، وذلك هو الأهم ، الإحتفاظ به فى الذهن وعدم نسيانه .. وكثيراً ما يحدث أن تستوقف « إيمان » أحد المتكلمين لكى تسأله : الكلمة العربية التى قلتها أنت الآن هذه ـ (وتنطقها له) ـ ما معناها بالإنجليزية أو بالإيطالية !؟ ثم تطلب منه استعمالها فى جملة أخرى مختلفة حتى تستوعب المعنى تماماً .. و الكلمة التى تسأل عنها مرة لاتعود فتسأل عنها مرة أخرى لأنها تكون (خلاص ، وصلت) .. وبعد أقل من سنة واحدة كانت « إيمان » تتكلم اللغة العربية بالمستوى الذى سمعتها به وكأنها عاشت فى بلد عربى لمدة خمس سنوات ، ويشهد على ذلك شريط التسجيل الذى عليه حديثى مع « إيمان » كاملاً ..

ولما رأى زوجها هذا الإقبال منها على تعلم اللغة العربية كلاما ، علمها هو أيضاً الحروف الأبجدية العربية لتستطيع أن تكتب اللغة العربية وتقرأها أيضاً .. لكن ذلك فى مرحلة البداية تماماً الآن

« **إيمان** » تتعامل الآن مع بساطة الإسلام ويسره وسهولته .. وكما أفهمتها حماتها أن (الدين يسر) .. لذا فهى ليست محجبة ، لكن من المؤكد أن نوعية الأزياء والفساتين التى كانت ترتديها قبلا قد تغيرت الآن إلى حد ما ..

ولم تتعب « **إيمان** » **أو** « **بيفرلى** » فى محاولة التأقلم هذه لأنها كانت بطبيعتها مختلفة إلى حد كبير عن طبيعة البنت الإنجليزية أو الأوروبية العادية ، لأنها حتى من قبل إسلامها وهى تعتبر نفسها (محافظة) إلى حد كبير فى ملابسها ..

وفى شهر رمضان الذى كان أول رمضان يجىء على « إيمان » وهى مسلمة ؛ صامت إيمان أسبوعا كاملا فى بداية رمضان .. لكن لأن الصيام كان جديدا عليها تماما ، ويوم الصيام هنا فى بريطانيا متعب تماماً حتى لنا نحن المسلمين أصلا ، لأن مدته أكثر من ١٨ ساعة متصلة ؛ لذا فإن « إيمان » لم تستطع أن تتحمل صيام أكثر من أسبوع واحد ثم لم تعد قادرة على أن تستمر فى الصيام .. فرأت أن تؤجل صيام باقى الشهر إلى « عدة من أيام أخر » تصومها متفرقة حتى تعتاد على الصيام ، وحين يأتى رمضان التالى تكون قد هيأت ودربت نفسها على احتمال الجوع ، فتصوم رمضان بأكمله متصلا ، و : الإسلام دين يسر ، ولا يعنى تعذيب الناس ، خصوصاً المسلمين الجدد ، فى بداية إسلامهم ..

●

« **إيمان** » و« **محمد** » يفكران الآن فى أن يذهبا إلى مصر ليستقرا هناك وينقلا حياتهما تماماً إلى هناك .. و« إيمان » هى صاحبة الفكرة بعد أن أصبحت مسلمة .. لأنها تتمنى أن تقضى باقى عمرها فى وسط الجو الذى أحبته والناس الذين عاشرتهم وأحبتهم وتعلقت بهم ، والدّيانة الجديدة التى أحبتها فاختارتها لنفسها ..

ولأن « **إيمان** » فتاة ذكية ، فهى لا تريد أن تذهب إلى مصر لتعيش هناك وهى تتكلم اللغة العربية بلكنتها « الخواجاتى » التى تتحدث بها الآن ، لذا فهى تقول لى إنها سمعت أن هناك فصلا لتعليم اللغة العربية للأجانب فى [المركز الثقافى المصرى] فى

لندن .. وأنها حين عرفت من زوجها أن الصحفى الذى سيلتقيان به ـ كاتب هذا الموضوع ـ مصرى ـ لذا قررت أن تنتهز هذه الفرصة لكى تطلب منى مساعدتها فى الإلتحاق بهذا الفصل !!

تائه في پاريس !





مطب غريب وقعت فيه فى الأسبوع الماضى بسذاجة شديدة ، أو لفرط إطمئنانى إلى أن شكل العمل فى أوروبا لا يسمح بمثل هذا النوع من المطبات ، واطمئنانا أيضاً إلى إجادتى للغة الفرنسية فى حدود ٦ كلمات : بونچور ـ بونسوار ـ ميرسى ـ مدام ـ مدموازيل ـ بريچيت باردو !!

كنت أغير طائرتى فى پاريس فى طريق عودتى إلى القاهرة .. وكانت فترة الإنتظار بين الطائرتين نحو ٣ ساعات نقضيها فى صالة [الترانزيت] فى مطار [شارل ديجول] الشيك جدا الفاخر جدا المنظم والمنتظم جدا .. وقضيت الـ٣ساعات فى صالة [الترانزيت] أقرأ وأكتب وأملأ عينىّ من الحسناوات الفرنسيات قبل عودتى إلى المحجبات والمنقبات فى مصر ، وبين حين وآخر أنظر إلى شاشة [المونيتور] التى تظهر عليها مواعيد قيام الطائرات أترقب ظهور رقم رحلتى إلى القاهرة وبوابة المطار التى سأدخل منها إلى الطائرة .. لكن رقم رحلتى لم يظهر على شاشة [المونيتور] ..

وحين جاءت الساعة ٤,٤٠ عصراً ، وموعد طائرتى الساعة

٤,٤٥ ، وظهرت على شاشة [المونيتور] كل الرحلات التى تغادر مطار [شارل ديجول] حتى السابعة مساء ، ألهمنى الله أن أذهب إلى [كاونتر] من مكاتب شركة [إيرفرانس] التى أسافر على طائرتها ، وأسأل الموظفة الحسناء : « أين رحلتى إلى القاهرة ؟ إن موعدها بعد ٥ دقائق ولم تظهر على شاشة المونيتور حتى الآن .. فهل أنا فى مكان خطأ !؟ » .. فنظرت الموظفة الحسناء إلى تذكرنى وقالت لى فورا : « أنت فعلا فى مكان خطأ .. فأنت فى [**تيرمينال** D3] » والمفروض أن تكون فى [تيرمينالC2] .. لذا فلن تظهر رحلتك على شاشة المونيتور هنا حتى لو انتظرت ٦ سنوات .. وطائرتك نودى عليها فعلا فى [تيرمينال C2] والركاب جميعا صعدوا إليها الآن وباقى على موعد إقلاعها ١٠ دقائق فقط .. وأنت وحظك ، يالحقتها يا مالحقتهاش » !!!

وأشارت لى الموظفة الحسناء إلى المكان الذى أخرج منه إلى [**تيرمينال** C2] .. فجريت جريا حتى وصلت إلى خارج [**تيرمينال** D3] الذى كنت فيه ، وسألت موظفة حسناء أخرى عن باب الخروج ـ وكلهن حسناوات ، بشدة ـ فقالت لى نفس الكلام أن طائرتى موشكة على الإقلاع الآن فعلا من [**تيرمينال** C2] .. ورفعت الحسناء سماعة التليفون بسرعة واتصلت بـ [**تيرمينال**C2] وطلبت منهم أن يؤخروا الطائرة للحظات قليلة حتى يصل إليهم الراكب الذى كان تائها .. وطلعت هى تجرى أمامى لكى تضعنى فى أوتوبيس من أوتوبيسات المطار الداخلية لكى أركبه وحدى ، وأفهمت الحسناء سائق الأوتوبيس الموقف

فطار بى فى ساحة المطار وكأنه فى سباق للسيارات ، حتى أنزلنى أمام [تيرمينال C2] وهو يتمنى لى أن ألحق بالطائرة .

وبمجرد أن دخلت [تيرمينال C2] ـ وكان خاليا تماماً تماماً لأن كل الركاب كانوا قد صعدوا إلى الطائرة ـ حتى جاءت موظفة حسناء أخرى ـ وكلهن حسناوات ، جدا ـ تجرى لتسألنى بلهفة إذا كنت أنا « مستر كادرى » !؟ ثم طلعت تجرى قدامى لكى توصلنى إلى الطائرة وهى تشير من خلال الجدار الزجاجى إلى قائد الطائرة التى كانت قد بدأت فى التحرك فعلا .. فتوقفت الطائرة **وتراجعت قليلا** حتى انضبطت مرة أخرى أمام بوابة الدخول إلى الطائرة ، وأنا أجرى ملهوفا وأنا **أحمل** ٢ هاندباج وشنطة أوراقى + شنطة بلاستك كبيرة فيها هدايا + البالطو ، وقد ظننت أن الطائرة لن تتوقف .. واستقبلتنى عند مدخل الطائرة ٤ مضيفات حسناوات زى القمر وكلهن مبتسمات يرحبن بى ويهدئننى دون أن يطلقن علّى الرصاص لأننى أخرت الطائرة عن موعدها .

وقالت لى واحدة منهن بابتسامة رقيقة حانية وكأنها تعنى ماتقول فعلا : « كنا برضه سوف ننتظرك حتى تجىء ، فلم يكن ممكنا أن نطير من غيرك » !!.. **ولو كانت الطائرة من طائرات الشركة بتاعتنا لكان الطيار قد بطحنى ومساعده قد شتمنى والمضيفة قد عضتنى فى سمانة رجلى !!**

هـــل مطلـــوب
مـــن المـــدرس
أن يقـــــوم
بـــــــدور
بـابـا ومـامـا !؟





جامعة أوكسفورد هى أقدم وأعرق الجامعات فى العالم بعد الأزهر ، فقد بدأت فى عام ١٢٥٠ ، يعنى أن عمرها الآن نحو ٧٥٠ سنة .. وهى ـ كالأزهر ـ قد بدأت كجامعة دينية فقط لدراسة (اللاهوت) ، ثم تحولت ـ كالأزهر أيضاً ـ إلى جامعة عامة تدرس فيها كل فروع العلوم من أدب وعلوم وطب وهندسة ، وإن بقى فيها على الهامش ـ كالأزهر كذلك ـ قدر طفيف من العلوم الدينية ..

فى عام ١٩٨٤ كنت أجرى حديثا مع وكيل جامعة أوكسفورد فى مكتبه فى الجامعة ، وهو فى نفس الوقت عميد كلية [ليناكر] فى الجامعة .. وأدرت جهاز التسجيل بيننا وبدأت أوجه إليه أسئلتى باعتباره « پروفسور چون بامبرا » ، لكنه استوقفنى بهدوء ليوضح لى أنه ليس (پروفسور) !! فأدهشنى جداً أن يكون نائب رئيس جامعة أوكسفورد ، أو المدير الفعلى لأعرق الجامعات البريطانية لا يحمل لقب (پروفسور) أو (أستاذ) .. فتواضعت قليلا وخاطبته بـ : « دكتور بامبرا » .. لكنه استوقفنى مرة أخرى ،

بهدوء أيضاً ، ليوضح لى أنه ليس (دكتوراً) ولا يحمل درجة (الدكتوراه) ، وأننى استطيع أن أخاطبه بـ : « مستر بامبرا » فقط بدون ألقاب علمية !!

●

لكن ، هذه هى بريطانيا .. إنما نحن العرب مغرمون بالألقاب مولعون بالتسميات الضخمة الفخمة الخطيرة : (سيدة الشاشة العربية) و(وحش الشاشة) و(فتى الشاشة الأول) و(نجمة الجماهير) و(العندليب الأسمر) و(قارورة العسل) و(كوكب الشرق) و(أمير الشعراء) و(شاعر النيل) و(شاعر القطرين) و(مطرب الملوك والأمراء) ثم (الموسيقار اللواء الركن الدكتور محمد عبدالوهاب) و و و ...

ومن هذه التسميات الشيك الفاخرة أن نسمي وزارة التعليم (وزارة « التربية » والتعليم) .. ثم نخلط خلطاً شديداً بعد ذلك حين نتوقع أن تقوم وزارة « التربية » بتربية أولادنا نيابة عنا فى المدرسة ، فنكف نحن عن تربية الأولاد فى البيوت إعتماداً على أن الوزارة تقوم بذلك فى المدرسة .. ويتسبب ذلك فى الكارثة التى نحن فيها الآن ونحن نواجه جيلا بأكمله لم تربه أسرته فى البيت ولم تربه الوزارة فى المدرسة .. فضاع الجيل كله بين المدرسة والبيت وأصبح هو مانراه أمام أعيننا الآن ..

المدرس قد يكون قدوة وقد لا يكون .. قد يحبه تلامذته ويحترمونه ويقتدون به ، وقد يكرهه تلامذته ولا يحترمونه ولا يقتدون به ، لأنه فى النهاية بشر وليس نبيا ولا رسولا ولا ملاكا نازلا من السماء .. لكن فى كلتا الحالتين فإن تلاميذه

(يتعلمون)منه وهذه هى مهمته الأساسية : التعليم .. ولا يتوقع أحد من المدرس أن يقوم فى المدرسة بدور بابا وماما فى البيت ؛ بينما بابا وماما قاعدين فى البيت حاطين رجل على رجل وفى بطنهم بطيخة صيفى إن المدرس والمدرسة بتربى الأولاد بالنيابة عنهم .. فتكون النتيجة أن الأولاد يربون بعضهم بعضا ويعلمون بعضهم ويقتدون ببعضهم .. والقدوة السيئة دائماً أسهل كثيرا من القدوة الطيبة ، والشر والأنانية والغطرسة والغرور أقرب إلى نفوس الأولاد والبنات المراهقين والمراهقات من الأدب والذوق وحسن التعامل .. ولا يفيق الأب والأم من وهم وزارة « التربية » إلا بعد أن يذبح ابن أمه بالسكين ثم يجلس بهدوء ليتناول الغداء الذى كانت قد أعدته له أمه [حادث المنيل] ، أو بعد أن يضرب ابن أمه ١٠ رصاصات وهى راكعة تصلى على سجادة الصلاة [حادث المذيعة سعاد حسن] ، ثم بهدوء جدا يعيد ملء خزانة المسدس بـ ١٠ رصاصات أخرى هى نصيب الأب الدكتور الأستاذ الجامعى .. وعشرات ومئات وآلاف من مثل هذه الحالات التى نشرتها الصحف والتى لم تنشرها ..

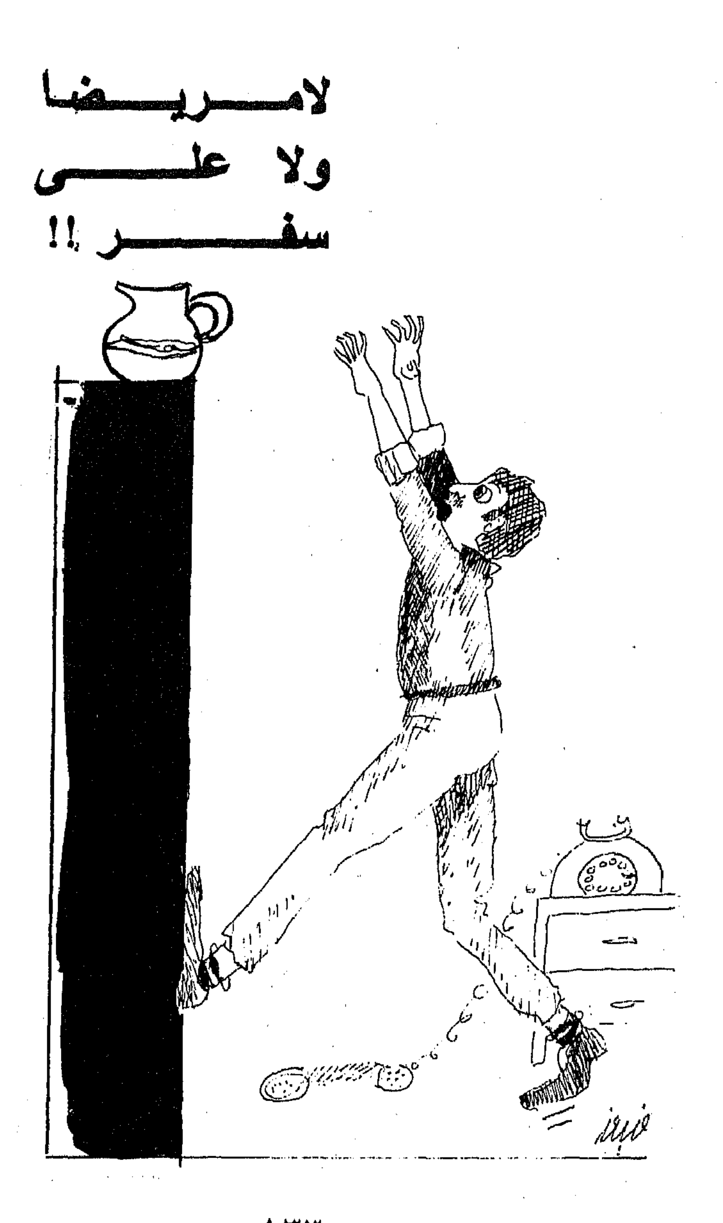
●

كنت أزور قريبا لى ، أحد كبار رجال وزارة « التربية » والتعليم ، فى بيته .. فسألت ابنته التلميذة فى سنة أولى ثانوى : « عاملة إيه فى المدرسة ؟ » فكان ردها : « هم مدرسينا بيعرفوا حاجة ؟ أصل مدرسينا دول بهايم » !! هكذا .. والأب « التربوى » والأم جالسين يستمعان إلى « أدب » ابنتهما المتربية دون أن يشخط فيها واحد منهما .. والمصيبة أن الأب مدرس من الذين صنفتهم ابنته المهذبة بأنهم (بهايم) ، والأم ست بيت متفرغة .. ماذا يمكن

أن نتوقع من هذه البنت ـ ومثيلاتها ـ عندما تتخرج وتتوظف !؟ ستظل طوال عمرها هكذا ، لأن أحدا فى البيت لم يربها ولم يقومها حين بدأت تعوج ..

المؤسف جدا ، جداً جداً ، أن هذا الجيل الذى نواجهه الآن هو الذى سيتزوج وسينجب جيلاً ألعن منه ، ثم جيلا ألعن وجيلا ألعن .. إلا إذا .. إلا إذا صححنا الوضع الغريب المقلوب وعدلناه ، وأعلناها صريحة واضحة أن تربية الأولاد هى مهمة البيت وليست مهمة المدرسة .. لأن الأب عليه واجبات أخرى نحو الأبناء غير (**الصرف عليهم**) .. والأم إذا كان كل دورها فى البيت هو أن تطبخ وتغسل وتكوى وتنظف البيت ، فهى إذن خدامة أو طباخة أو غسالة وليست.أما .. الأم ـ كما قال الشاعر القديم ـ « مدرسة إذا علمتها أنجبت شعباً طيب الأعراق » ..

التربية هى واجب الأب وواجب الأم فى البيت .. فإذا إختل الوضع فى البيت ولم يجد الابن ـ والبنت ـ من يربيهما فى البيت فماذا نتوقع منهما !؟ سيأخذان (قلة تربيتهما) معهما إلى خارج البيت ، وتصبح ظاهرة ، **وتصبح هى القاعدة** ، **ويصبح الجيل كله (عديم التربية)** .. **وذلك هو الحادث الآن ، للأسف الشديد ..**


لا مريضا
ولا على
سفر !!



واشنطن .. رمضان صيف ١٩٧٧ ..

كانت السن المحددة لبدء تعويد الأطفال على الصيام فى أسرتنا هى سن الثامنة .. جدتى جعلت أمى تصوم وهى فى سن الثامنة ، وعلمتنا أمى أن نصوم ونحن فى هذه السن ، ولم تكن تقبل أى عذر أو حجة أو مبرر للتملص والتهرب من الصيام ونحن أطفال ..

وقد ظلت هى نفسها طول عمرها تصوم شهرا آخر متصلا كل سنة وتصلى الفرض الواحد مرتين فى اليوم الواحد ، سداداً لدين الثمانى سنوات الأولى من عمرها التى لم تصم فيها ولم تصل خلالها وهى طفلة ، على اعتبار أنه ينطبق عليها [فعدة من أيام أخر] .

●

ومنذ بدأت الصيام وأنا فى الثامنة من عمرى لم أفطر يوماً واحدا مهما كانت الظروف أو الأسباب .. لا وأنا مسافر على طائرة أفطرت ، ولا وأنا مسافر على سفينة أو باخرة أفطرت ، ولا وأنا مسافر فى قطار أو بأى وسيلة سفر أخرى أفطرت .. ووجهة نظرى فى ذلك أن السفر هذه الأيام متعة وراحة وليس فيه أى قدر

من المشقة التى كانت قديما والتى أباح الله من أجلها أن يفطر المسلم المسافر [فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر] ، ولم أمرض فى حياتى والحمد لله المرض الذى يرغمنى على الإفطار ..

إلا يوما واحدا فقط فى حياتى كلها لم أكن فيه مريضا ولا على سفر ، ومع ذلك فقد أرغمت نفسى على أن أخرج عن صيامى وأفطر فى العاشرة صباحا .. فقد أحسست أننى سوف أختنق وأموت إذا لم أفعل ذلك .. وأن أفطر يوما واحدا وأعوضه بعد ذلك بيوم أو بأيام أخر ، خير من أن أموت [**فطسان**] بلا أى سبب يدعو للموت مبكرا هكذا !! ورغم أننى قد عوضت ذلك اليوم بأسبوع كامل من [**الأيام الأخر**] بعد ذلك ، إلا أن ضميرى المسلم لم يكف عن تأنيبى عنه من يومها حتى الآن . !

●

كنت فى واشنطن فى مهمة صحفية ..وحين أكون فى مهمة صحفية خارج بلدى فإن العمل بالنسبة لى يكون ٢٤ ساعة فى اليوم .. أتحول كلى إلى اجهزة التقاط وتسجيل ورصد وتحليل وتدوين وتصوير واختزان ٢٤ ساعة فى اليوم ، بحيث أنسى الأكل والشرب والنوم وكل الأشياء الأخرى ، ماعدا الشغل .. وأفرح - حقيقة - إذا جاء شهر رمضان على وأنا فى مهمة صحفية خارج الوطن ، لأنه يعفينى من مسألة التفكير فى الوجبات الثلاث و « آكل إيه ؟ » و « آكل فين ؟ » .. ولأن مواعيد الإفطار والسحور عادة لا تتفق مع أى مواعيد للوجبات الأوروبية ، وبالتالى لا يمكن أن أكون مدعوا إلى غداء أو عشاء .. اللهم إلا إذا كان فى البلد الأجنبى

الذى أنا فيه عدد من الأصدقاء المسلمين يدعوننى إلى الإفطار معهم أو عندهم .. الإفطار فقط طبعا وليس السحور .. وذلك عموما لا يحدث كثيرا .. لذا فقد اعتدت إذا كنت أقيم فى فندق أن أطلب أن تترك لى وجبة العشاء فى غرفتى لتكون هى إفطارى إذا حان موعد الإفطار . وفى الموعد المحدد للسحور أطلب من الـ [**روم سيرفيس** Room Service] أو [قسم خدمة الغرف] وجبة خفيفة تكون هى سحورى .. أما إذا كنت أقيم فى شقة مفروشة مستقلة فإننى أضع فى ثلاجتها ومطبخها أى شى يمكن أن يؤدى الغرض ، فإننى بطبيعتى لست أكولا ، والأكل بالنسبة لى مسألة ثانوية تماما ..

المهم .. فى واشنطن فى صيف ١٩٧٧ كنت أسكن فى شقة صغيرة ، وضعت فى مطبخها بعض المعلبات من أجل السحور ، وأتناول إفطارى فى أى مطعم مفتوح يصادفنى فى طريقى إذا حان وقت الإفطار .. وظللت استهلك الأشياء التى وضعتها فى دولاب المطبخ شيئا فشيئا ويوماً بعد يوم دون أن أنتبه إلى زيادتها أو شراء بدلها .. حتى كانت ليلة عدت فيها إلى شقتى مرهقا مكدودا كالعادة بعد يوم عمل شاق ، وجلست لأكتب حتى الثانية صباحا حين رن جرس المنبه يذكرنى بموعد السحور ، فقمت وفتحت دولاب المطبخ لأخرج منه أى شىء أتسحر به ، لكننى فوجئت به خاليا تماما إلا من علبة واحدة بها [أنشوجة] .. وكنت لم أذق الـ [أنشوجة] من قبل وليس لدى أى فكرة عنها إلا أنها نوع من [السلمون] أو السمك المعلب .. ففتحت العلبة وأكلت مابها وحمدت ربنا ونويت الصيام ، وعدت الى الكتابة حتى انتهيت منها فدخلت لأنام ..

واستيقظت فى الصباح مبكرا جدا عن الموعد الذى كنت أقدره ، لأننى شعرت كأن قطعة كبيرة من الخشب الخشن قد وضعت فى حلقى وأنا نائم !! وأحسست أننى أكاد أختنق وأننى لا أستطيع حتى أن أبتلع ريقى ، فلم يكن هناك ريق أصلا لكى أبتلعه !! ولم أعرف ماذا أفعل ، فاتصلت بالتليفون بصديقى الدكتور « **محمود مراد** »وهو طبيب كبير وأستاذ فى كلية الطب بجامعة [چورچ تاون] ، وحكيت له بصوت متحشرج لا يكاد يخرج من حلقى .. وكان أول سؤال سأله : ماذا أكلت ؟! قلت له : **أنشوجة** » فقال ضاحكا : يامفترى .. حد فى الصيام يتسحر أنشوجة ؟! وأكلت علبة بحالها كمان ؟! .. لازم تفطر ، أو على الأقل تشرب ماء حتى تبرد النار التى فى حلقك وفى جوفك » ..

وظللت أكثر من ٣ ساعات وأنا أقاوم .. لكن مقاومتى انهارت تماما حين شعرت أننى موشك على الاختناق وأننى لن أستطيع أن أصمد ١٠ دقائق أخرى ، فما بالك بعشر ساعات مازالت باقية حتى يحين موعد الإفطار ..

●

ولم أتناول يومها غير الماء فقط .. لكننى من وقتها حتى الآن وأنا لا أقرب [الأنشوجة] لا فى رمضان ولا فى أى شهر آخر من شهور السنة .. وكفى الله المؤمنين شر الإفطار !!


أعطينا
ظهورنا
للشمس
وأفطرنا !!
نبيل



صمت رمضان فى ١٨ دولة ..

فى كل مرة كنت أخرج فيها من مصر فى رحلة صحفية طويلة كنت أخرج وفى ذهنى وفى ترتيبى أن أنهى رحلتى فى وقت مناسب يتيح لى العودة الى الوطن قبل حلول شهر رمضان ، حتى أقضيه وأصومه واحتفل به فى بلدى .. لكن فى كل مرة كان الترتيب يخيب .. وهكذا فقد قدر لى أن أصوم شهر رمضان فى ١٨ دولة أغلبها أوروبية وأقلها عربية ..

صمت وأفطرت رمضانات على موائد متأرجحة مع كل خطوة على سفن شهدت غروب الشمس فى المحيط الأطلنطى وفى بحر البلطيق وفى بحر الشمال وفى القنال الإنجليزى وبحر المانش وفى خليج البسكاى وفى قناة « كيل » الألمانية وفى البحر الأبيض وفى البحر الأحمر .. ست مرات أخرى ماكنت أفطر فى السفر ، لأننى اعتبر الطائرة فى عصرنا هذا ليست سفرا فيه مشقة تضطرنى إلى الإفطار .. منها مرة كنا نطير فى اتجاه عين الشمس فى طريقنا إلى النرويج فى سقف العالم ، وجاء الموعد المفروض للإفطار والشمس مائلة للمغيب لكنها لاتغيب .. وظللنا نحملق فيها وتحملق فينا بعينها الحمراء الوردية ٦ ساعات كاملة حتى نزلنا من الطائرة فى مطار « أوسلو » والشمس لازالت مفنجلة أمامنا .. فأعطينا ظهورنا للشمس ، وأفطرنا !!

على سفن ركاب عربية كبيرة كانت الوجبات اليومية الثلاث تقدم فى مواعيدها المعتادة لأن الركاب الأجانب كانوا أغلبية والمسلمون عددهم قليل .. ثم تنعقد الموائد مرة أخرى لوجبتين إضافيتين : **الإفطار** والسحور : الذى كان يجمع إلى جانب الركاب المسلمين طاقم السفينة وقبطانها وجميعهم مسلمون أيضا .. فلم يتخلف واحد من الركاب الأجانب عن الوجبتين الإضافيتين !!

●

رمضان الحالى هو رمضان رقم ١٨ الذى أصومه فى بريطانيا .. رمضان فى الغربة ، أو لنقل فى **أوروبا** ، يختلف كثيرا عنه فى بلادنا العربية .. فى الوطن نبدأ نشعر برمضان قبل مقدمه بشهر : ليلة أول شعبان ، ليلة النصف من شهر شعبان .. أحياؤنا الشعبية فى مصر تبدأ تلبس زينتها وتضيء أنوارها استعدادا لرمضان .. فوانيس رمضان الملونة تأخذ أماكنها فى واجهات المحلات .. محلات [السمكرية] العمل فيها قائم على قدم وساق ، والقطع الصغيرة تتجمع وتتجمع وتتجمع ليخرج منها فى النهاية فوانيس ملونة كبيرة وصغيرة ومتوسطة ، هى شعار رمضان عند اطفالنا .. وسهرات رمضان حتى الصباح فى الأحياء الشعبية والأهازيج والذكر والدراويش .. وموائد الإفطار والسحور تجمع الأهل والأصدقاء والأحباء والخلان .. والذين لم يلتقوا طوال العام يلتقون فى رمضان .. وتمتلىء المساجد لصلاة العشاء وصلاة التراويح وبينهما تلاوة القرآن الذى هو الوجبة الأساسية للمشاعر والأحاسيس والقلوب العطشى دائما إليه ولا ترتوى منه أبدا ..

رمضان رمضان رمضان .. أين أنت الان منا ياشهر رمضان

وأين نحن منك فى هذه الغربة المثلجة الباردة العواطف والمشاعر ، فى هذه البلاد التى لاتعرف من الشهور غير [چانيورى] و [ماى] و [چون] و [چولاى] و [أوجست] وعمرها ما سمعت عن رمضان ولا كان رمضان يعنى شيئا بالنسبة إليها .. لكنه شهر الشهور بالنسبة إلينا سواء كنا فى الوطن أو فى الغربة ..

●

نهار رمضان فى أوروپا فى فصل الصيف طويل جدا .. هل يعرف أحد أن المسلمين الصائمين فى (جلا سجو) باسكوتلندا أو فى (بلفاست) فى أيرلندا تغيب الشمس عندهم ويفطرون بعد العاشرة مساء بسبع دقائق !؟ .. هل يعرف أحد أن المسلمين الصائمين فى مدينة لندن ومدينتى (برايتون) و(بورتسموث) القريبتين منها ، يحسدهم باقى مسلمى بريطانيا لأنهم يفطرون قبل الجميع : يفطرون فى التاسعة و٢٢ دقيقة مساء ، فى حين يفطر المسلمون الصائمون فى مدن أخرى مثل (دارهام) مثلا أو (نيوكاسل) أو(لانكاستر) فى العاشرة إلا عشر دقائق مساء !!

إمساكية شهر رمضان فى بلادنا العربية تبين عادة مواعيد الإفطار فى عاصمة البلاد القاهرة مثلا ، و « **على المقيمين خارجها** مراعاة فروق التوقيت » .. هل رأى أحد فى مصر أو فى بلادنا العربية الإمساكية الإنجليزية على سبيل المثال ، التى تبين مواعيد الإفطار والسحور والإمساك فى أهم ١٧ مدينة إنجليزية بها جاليات مسلمة لكى تكون الإمساكية التى فى يد المسلم الصائم فى (برمنجهام) هى نفسها التى فى يد المسلم الصائم فى (ليڤرپول)

أو (مانشستر) أو (كاردف) أو (أوكسفورد) أو (بريستول) أو (ليدز) ..

●

كل سنة وأنتم طيبون من لندن ، لكن شهر رمضان القادم على أسنة الرماح سوف أقضيه فى مصر .. **سوف أنصب خيمة فى سيدنا الحسين أو فى حتتى القديمة فى حى السيدة زينب ، و « أعسكر » فيها طوال رمضان القادم .. لكننى لن أقضى رمضانا واحدا فى الغربة بعد الآن !!**

رمضـــــان
فـى الغـربـة
٣٨ يـومـا !!





رمضان هنا فى أوروبا طعمه مختلـف .. المسلمون هنا فى الغربة يبذلون جهداً كبيراً لكى يشعروا أنفسهم برمضان .. بعد الجهد الكبير يجىء طعم رمضان هنا فاترا هادئا تنقصه الحرارة وتنقصه الأصالة وينقصه الدفء وتنقصه « الجغرافيا » .. ينقصه « الموقع » ..

رمضان فى مصر وفى البلاد الإسلامية صاحب بيت ونحن أهله وأسرته وذووه .. رمضان هنا ضيف يرتدى ثيابا إفرنجية أوروبية .. نبذل جهداً كبيرا فى الترحيب به لكنه يظل ضيفا أوروبيا : لاهو صاحب بيت ولانحن فى هذه البلاد أصلاء ، إنما نحن ضيوف مثله تماما .. هو إذن [ضيف على ضيوف] وكلاهما يشعر أنه غريب الدار .. نحرص على أن نلتقى دائما حول مائدة الإفطار ، داعين أو مدعوين .. وقد نسهر سهرة غالبا لاتطول لأن مواعيد العمل هنا فى الصباح التالى لاترحم وليس فيها هزار ، ورمضان ليس عذرا مقبولا هنا .. وبمجرد أن تنتهى السهرة الرمضانية ونخرج من باب البيت الذى جمعنا ، تلسعنا مرة أخرى برودة البلد الأوروبية والشوارع الخالية الساكتة خابية الأضواء التى

تعيدنا إلى واقعنا الأوروبي مرة أخرى .. ومع ذلك فانه هو أصعف الإيمان ان نلتقى نحن المسلمين الصائمين حول موائد الإفطار فى بيوتنا مع الأصدقاء ، أو فى بيوت الأصدقاء .. ذلك هو أضعف الإيمان .. لكن الأصدقاء هنا لىسوا هم الأسره التى بلتئم سملها فى رمضان .. لذا فنحن نصوم هنا بأجسادنا لكن قلوبنا وعيوننا ومشاعرنا بعيدة محلقه فوق أرض الوطن وبيوت الوطن وشوارع الوطن ، والأهل والأحباب والاصحاب والخلان ، والذكريات ، فى الوطن ..

●

وشهر رمضان غالبا مايجىء ٢٩ يوما ، وإذا تم تمامه واكتمل فهو يكون ٣٠ يوما ، ثم يأتى العيد .. فهل سمع واحد منكم أن شهر رمضان قد زاد على ذلك.أبداً !؟ أو أن العيد قد تأخر عن ذلك أبدا !؟ .. أنا قد حدث ذلك معى فى غربتنا المثلجة هذه فى بلاد **الإنجليز : لم يصل العيد إلى باب بيتى إلاَّ بعد ٣٨ يوما من الصيام** دون أن يكون هناك « عدة من أيام أخر » !! ذلك هو حالنا فى ديار الغربة ، حين نشعر دائما أننا غرباء فى بلاد غريبة ، وأن أعيادنا أيضا غريبة فى بلاد غريبة !!

●

الزمان والمكان : لندن ، فى صيف عام ١٩٧٩ ..

كنت لا أكاد أخرج من باب بيتى ، لأننى كنت مستغرقا تماما فى تأليف كتاب جديد .. أحب شهر رمضان وأحب الصيام فيه وأستريح إليه ، صحيا ونفسيا .. ومنذ علمتنى أمى الصيام وأنا فى الثامنة من عمرى لم أفطر فى حياتى كلها إلا يوما واحدا لعلكم قد قرأتم قصته فى فصل سابق .. إنما فى صيف عام ١٩٧٩ كنت

مغلقا باب بيتى على نفسى لكى أنتهى تماما من تأليف الكتاب قبل أن ينتهى رمضان .. لاأزور ولا أزار .. ترك لى الأصدقاء المحيطون بى الوقت لأكتب ، وحين أنتهى من الكتابة سأعاود أنا الاتصال بهم .. كتر خيرهم ..

« **سوزانا روبرتسون** » زميلة صحفية كندية كانت تمر بلندن لليلة واحدة فى طريقها إلى [فرانكفورت] فى ألمانيا ، ولم تكن تعرف أننى « معتكف » فاتصلت بى وجاءت وزارتنى .. ورغم أننا أصدقاء وزملاء منذ أكثر من ١٠ سنوات – وقتها – إلا أنها كانت أول مرة فى حياتها تلتقى بمسلم فى حالة صيام .. كانت مندهشة فى البداية ، ثم أصبحت مبهورة بتلك الفكرة التى تدعو المسلم إلى أن يجوع شهرا فى السنة لكى يحس ويشعر بمشاعر وأحاسيس أولئك الذين تضطرهم ظروف الحياة وتقسيماتها إلى أن « **يجوعوا** » كل شهور السنة !! .. أعجبتها تماما أيضا فكرة [الإمساكية] التى رأتها عندى والتى تبين مواعيد الإفطار والسحور والإمساك .. وحين نزلت « سوزانا روبرتسون » من عندى فى اليوم التالى أخذت معها [الإمساكية] لكى تريها لأصدقائها وأسرتها عند عودتها إلى كندا ، وتحكى لهم ما سمعته منى .. وسافرت « سوزانا » ، وعدت إلى عزلتى واستغراقى فى الكتابة من جديد ..

●

بعد أكثر من أسبوعين ، صديقة صحفية سورية تعيش فى لندن ، اتصلت بى تسألنى عن أخبار كتابى الجديد ، وندردش معا قليلا ثم تدعونى للغداء معها فى اليوم التالى ، فأعتذر لها بأننى

صائم .. أتصور أن سابع جار لها قد سمع شهقتها ثم ضحكاتها المجلجلة وهى تقول لى : « إنت لسه صايم لحد النهاردة !؟ هل تنوى أن تصوم الدهر كله أم هى عدة من أيام أخر !؟ رمضان قد انتهى وفات منذ ثمانية أيام ياصديقى » !!

دكتور حسن
جاء من
ليفربول
ليقابل
عبد الوهاب !





قال الصديق المشترك وهو يقدمه لى خلال ندوة أقامتها جامعة ليڤربول :

ـ الدكتور حسن المعصرانى الطبيب السورى الشهير فى ليڤربول ..

قلت مرحبا :

ـ أهلا وسهلا .. تشرفت بمعرفتك .

قال الصديق المشترك يقدمنى أنا هذه المرة .

ـ الأستاذ حسين قدرى ، الصحفى المصرى .

لم يقل الدكتور « حسن المعصرانى » لا أهلا ولا سهلا ولا أنه تشرف بمعرفتى ولاحاجة أبدا ، لكنه قال بلهفة :

ـ صحفى مصرى ؟ .. بالله عليك تقدر تعرفنى بالموسيقار عبدالوهاب !!

قلت مندهشا :

ـ ممكن طبعا .. لكن ليه ؟ ما الذى تريده من عبدالوهاب ؟.

●

وسهرت ليلتها فى بيت الدكتور « حسن المعصرانى » أشهر

أطباء مدينة ليڤربول الإنجليزية ، وهو يغنى لى بصوته أغنيات عبدالوهاب القديمة وأغنيات أم كلثوم القديمة والحديثة .. وعلى امتداد خمس سنوات بعد ذلك اعتدت أن أقضى عطلة نهاية الأسبوع عدة مرات كل سنة معه فى ليڤربول ، واعتاد هو ألا يأتى إلى لندن دون أن يرانى ، وحديثنا الواحد الدائم الذى لايتغير ولايمله ولايشبع منه هو : محمد عبدالوهاب ..

كان أمل حياة الطبيب « **حسن المعصرانى** » أن يرى ويلتقى شخصيا بالموسيقار « محمد عبدالوهاب » .. ولأنه كان يتصور أن المسائل سهلة إلى هذا الحد ، فقد كان يلح علىّ دائما فى أن أوجه ـ نيابة عنه ـ الدعوة للموسيقار « عبدالوهاب » ليذهب لزيارة الدكتور المعصرانى فى ليڤربول وينزل ضيفا عليه فى بيته !! وكنت دائما أشرح له أن مع « عبدالوهاب » بالذات لاتاتى المسائل هكذا ، فيعدل عن طلبه أويعدل طلبه ، ليلح علىّ أن أقدمه إذن للموسيقار « عبدالوهاب » فأقول له : إن ذلك ممكن لكن على شرط أن يحدث ذلك فى القاهرة ، لأن انجلترا لبست من البلاد التى فى خطة ولامشروعات عبدالوهاب السياحية .. بمعنى أننى استطيع تقديمه وتعريفه بعبد الوهاب فى القاهرة فقط ..

حتى كان الأسبوع الماضى ، حين اتصل الدكتور المعصرانى بالتليفون ليسأل عنى فى بيتى فى لندن ، فعرف أننى موجود فى القاهرة فى أجازة سريعة ، ففوجئت به يتصل بى فى القاهرة **ليقول لى** :

مش أنت وعدتنى بأن تعرفنى بالأستاذ عبدالوهاب عندما تكون فى القاهرة ؟

ـ نعم ، ومازلت عند هذا الوعد .
ـ إذن لو جئت إليك فى القاهرة ستعرفنى به !؟

ظننته يمزح ، فالمسافة بين مصر وانجلترا ولبست بين شبرا والعتبة .. فطلبت منه ـ عزومة مراكبية ـ أن يحضر إلى القاهرة .. وقبل أن تمضى ٤٨ ساعة كان جرس التليفون يدق فى بيتى فى القاهرة ويأتينى من خلال السماعة صوت الدكتور « المعصرانى » يتكلم من فندق على بعد ٣ دقائق من بيتى .. جاء « حسن المعصرانى » من ليڤربول إلى القاهرة فعلا ، لكى يرى محمد عبدالوهاب !!

●

لم ألتق بعبدالوهاب منذ ٤ سنوات كاملة .. آخر مرة التقينا فيها كانت حين أجريت معه حديثا لجريدة « المنار » اللندنية .. كنت أخشى الا يتذكرنى .. لكن على أى حال لم تكن هذه هى المشكلة ، إنما كانت المشكلة هى فى الاتصال به تليفونيا .. تليفونه مشغول باستمرار كل ساعات الليل والنهار .. فلما بحثت ودققت اتضح أنه ليس تليفون « عبدالوهاب » هو المشغول وإنما السنترال الذى يتبعه تليفون بيته والسنترال الذى يتبعه تليفون بيتى هما المتخاصمان وفشل المهندسون فى صلحهما أو إجراء التوفيق بينهما .. واليوم يمر وبعده يوم ثم يوم ويوم ، والدكتور « حسن المعصرانى » القادم من ليڤربول لغاية القاهرة خصيصا لكى يرى « عبدالوهاب » لايستطيع أن يقبل بهذه البساطة مسألة خصام التليفونات فى القاهرة .. وهو لم يقطع ٤٥٠٠ ميل ويكلف نفسه أجازة لمدة عشرة أيام وعدة آلاف من الجنيهات بين سفر وتذكرة طائرة وإقامة فى

فندق ، لكى أخبره فى النهاية بأن التليفونات فى القاهره عطلانه ومخاصمة بعضها فيقول لى « طيب » ثم يلم حقائبه ويعود إلى ليڤربول ، فقد اتفقنا منذ البدايه أن ليڤربول ليست شبرا أو المعادى .. وفى الوقت نفسه ، ولأننى أعرف « عبدالوهاب » جيدا ، فإنني لا استطيع أن أسحب الدكتور « حسن المعصرانى » من يده ونذهب إلى بيت « عبدالوهاب » فى الزمالك دون موعد وندق جرس الباب وأقول : « أصلى مش عارف أتصل بيك فى التليفون » .. « عبدالوهاب » يعرفنى وأعرفه منذ ٢٥ سنة صحيح والعلاقة بيننا دائما متصلة وموجودة ، لكنها ليست العلاقة التى تسمح لى بأن أذهب إليه فى بيته دون مواعيد .. ولا أظن أن « عبدالوهاب » قد عود أحدا على ذلك ..

●

الأيام تمر ، والليلة تجرى ورا الليله ، وكل ليلة يسهر الدكتور « حسن المعصرانى » فى بيتى يغنى لأصدقائى الذين يعلمون بوجودى فى القاهرة ، ثم بوجود « المعصرانى » أيضا عندى ، فيجيئون ليحتفوا بى ، وبه ، ويسمعوه وهو يغنى ما غنته « أم كلثوم » من ألحان « عبدالوهاب » ، ويقولون : « الله ، ياسلام ، صوتك هايل وأداؤك عظيم » .. لكن « المعصرانى » لم يقطع كل هذه المسافة بين ليڤربول ليغنى لصالح وأحمد وإجلال ورمضان ورفاعى وفايز وسامى وفاطمة وغصون وأسامة ونيرة ورضوان ونهاد وحاتم ويوسف الحطاب ويسمع منهم « الله صوتك هايل » .. إنه يريد « عبدالوهاب » ، و « عبدالوهاب » فقط ، ولا أحد إلا « عبدالوهاب » .. وليس سهلا أن تنتهى الفترة التى جاء ليقضيها فى القاهرة ويعود إلى ليڤربول كما جاء ، ومعه خفى حنين ، حتى لو

كان حنين هذا هو « حنين قدرى » !! حتى لم يبق على انتهاء اجازته إلا ٤٨ ساعة فقط .. وبعدين !؟ المسألة بقى شكلها وحش أوى ..

●

على سلم مبنى الإذاعة والتليفزيون ألتقى صدفة بصديقى القديم وزميل دفعتى المهندس « زكريا عامر » .. بالأحضان والقبلات و : « إزيك يا ابوالحسن » .. « إزيك يا ابو الزيك » .. « شاخبارك » .. « شاخبارك » .. « قاعد فى مصر قد ايه المرة دى » ؟ .. « ماتيجى لى ياأبو الزيك بالليل نسهر مع بعض ، كل شلتنا القديمة بتسهر عندى كل ليلة طول ما أنا موجود فى مصر » .. « والنبى مشغول اليومين دول ياأبو الحسن ، باخلص ستديو الساعة ٦ الصبح كل يوم » .. « هاها ، ده مايبقاش ستديو ياأبو الزيك ، الكلام ده تقوله لمراتك مش لىَّ أنا » .. « لا والنبى ياابو الحسن ، كل ليلة لغاية الساعة ٦ الصبح مع الأستاذ عبد الوهاب علشان بنعمل مونتاج غنوة وردة الجديدة « أنده عليك بالحب » .. حتى تعالى وشوف بنفسك » !!

أشوف بنفسى !؟ .. ده أنا فى عرض جدك الأكبر ، هو أنا عارف أتلم على « عبد الوهاب » علشان آجى أشوف بنفسى ؟ ليه وازاى ومين وفين .. وحكيت للمهندس « زكريا عامر » حكاية الدكتور « المعصرانى » القادم من ليڤرپول خصيصا لكى يقابل « عبد الوهاب » وكيف أننى عجزت عن الاتصال بتليفون « عبد الوهاب » كل هذه المدة ..

●

وفى نفس اليوم مساء دق جرس التليفون فى بيتى ، وعلى

الخط من الناحية الأخرى جاء صوت المهندس « زكريا عامر » يقول لى : « حسين ، الأستاذ عبدالوهاب حايكلمك » !!

●

وفى اليوم التالى ظهراً ـ قبل ١٨ ساعة من عودة الدكتور « المعصرانى » إلى ليڤربول ـ كان الموسيقار « عبدالوهاب » يستقبلنا معا فى بيته بالزمالك .. وفى الدقائق التى قضيناها فى غرفة الصالون قبل دخول « عبدالوهاب » علينا خشيت أن يصاب « المعصرانى » بنوبة قلبية ويطب ساكتا قبل أن يحقق حلم حياته الذى عاش ٣٨ سنة يحلم به ويتمناه .. فها هو الآن فى بيت « عبدالوهاب » شخصيا وبعد لحظات سيراه أمامه رأى العين ويصافحه ويلمس يده ويكلمه ويرد « عبدالوهاب » عليه ، وقد يسمح له « عبدالوهاب » بالغناء أمامه .. « المعصرانى » لايستقر فى مقعده ، فهو يجلس ثم يقوم فجأة ويمشى فى الغرفة ثم يعود ليجلس ثم ليقف مرة أخرى وقد امتقع وجهه والعرق يسح منه كأنه قد غسل وجهه ونسى أن ينشفه .. ومن **فرط اضطرابه خشيت** أن تحدث كارثة ويخلص الرجل أمامى ويعود الرجل إلى ليڤربول فى وضع أفقى !!

و ..... **ودخل « عبدالوهاب » ..**

وضاع صوت حسن المعصرانى تماما ، حتى أنه لم يستطع أن يرد على تحية « عبدالوهاب » له ، وجلس أمامه ساكتا مرتبكا مضطربا لاينطق بحرف .. وشعر « عبدالوهاب » بالموقف ـ ولابد أنه قد شعر بمثله عشرات المرات من قبل ـ فبدأ هو يلاطف « المعصرانى » ويلاغيه ويسأله عن أحواله فى ليڤربول ولماذا

فضلها عن غيرها من المدن الإنجليزية وهل هو متزوج أم لا وكم عدد أولاده وما هى أسماؤهم . وهل هو ناجح كطبيب فى ليڤرپول أم أنه مجرد واحد من الأطباء هناك ..

وبدأ الهدوء يعود إلى « المعصرانى » نسبيا ويسترد نفسه ليجيب على أسئلة « عبدالوهاب » ، بأنه لم يختر مدينة ليڤربول لكن ليڤرپول هى التى اختارته ، فقد كانت كلية الطب فيها هى كلية الطب الوحيدة فى انجلترا التى قبلته طالبا بها ليدرس الطب حين جاء إلى بريطانيا منذ ٢٣ سنة .. وبعد أن إنتهى من دراسة الطب رأى أن يبقى سنة أو سنتين أخيرتين لكى يكتسب خبرة ومرانا ، لكن السنة أو السنتين استمرتا حتى اليوم !! وأنه تزوج من أيرلندية شابة حسناء اسمها « أنا » ولديهما الآن ٦ أطفال : ياسمين وقمورة وصلاح الدين وفيصل ونايچيل وأوليڤر .. وحكى له كيف أنه نشأ وشب فى مدينة حلب السورية على صوت أغنيات عبدالوهاب القديمة تتردد على اسطوانات فى أرجاء بيت الأسرة طول الوقت ، وأنه لايذكر متى بدأ هو نفسه يردد أغنيات « عبدالوهاب » ، لكنه منذ أن وعى لنفسه وجد نفسه يغنى لعبدالوهاب ، وأنه جاء إلى مصر مرة من قبل وعمره ١٦ سنة ، وكل أمله فى الحياة أن يرى « عبدالوهاب » ولو من بعيد ، لكن هذا الأمر لم يتحقق له وقتها .. وكيف أنه اشتهر بين زملائه فى جامعة ليفرپول بأنه [مجنون عبدالوهاب] ..

وضحك « **عبدالوهاب** » طويلا وهو يقول له : « كان لازم يسموك عاقل عبدالوهاب مش مجنون عبدالوهاب » .

ثم قال له : « مادام انت بتغنى طيب ماسمعنى صوتك » ! لقد جاءت لحظه الامتحان إذن .. وتصورت أن صوت « المعصرانى » سوف يحتبس فى حلقه وسيرفض الخروج .. لكنه خرج ، وغنى أمام « عبدالوهاب » مقاطع من أغنيات مختلفة ، بعضها من تأليفه وتلحينه - تأليف لابأس به ولحن بدائى على قدر علمه بالموسيقى وبعضها من ألحان « عبدالوهاب » لنفسه وألحانه لأم كلثوم .. أول مرة أحضر وأشهد موقفا كهذا بين « عبدالوهاب » وواحد ممن يعرضون موهبتهم عليه .. « عبدالوهاب » يتحول فى هذه اللحظات إلى (أذن) فقط مستغرق تماما فى الاستماع إلى الصوت الذى يغنى ، فإن رأى « عبدالوهاب»كميزان الذهب فى الصاغة .. ليس كرأيى ورأيك .. لكن رأى « عبدالوهاب » هو شهادة ميلاد أو شهادة وفاة للصوت الذى يغنى أمامه .. و « المعصرانى » يتنقل من أغنية إلى أغنية أخرى وأنا أشجعه و « عبدالوهاب » يطلب منه ، حتى بدأ « عبدالوهاب » يهز رأسه ويقول : « الله الله الله ، كويس ، كويس أوى .. الله دى المسألة بقت جد الظاهر ، ويبدو أن صوت « المعصرانى » فيه شىء بصحيح يجعل « عبدالوهاب » نفسه شخصيا يهز رأسه ويقول : « الله » .. سألت عبدالوهاب أن يترجم « الله الله » هذه إلى كلام يمكن نشره ..

.. فقال :

- « خسارته إنه يبقى دكتور ، هو مكانه الحقيقى أن يكون مطرب ، لأن صوته كويس .. حقيقى صوته كويس .. صوت قوى وقادر وشرقى النبرات .. غريبة أنه عايش فى انجلترا من ٢٣ سنة

ولم تتغير نبراته الشرقية وإحساسه بالغناء العربى ، لأن كل اللى سمعنه منه أغانى نبرنها عربية واحساسها عربى صميم ١٠٠ ٪ .. »

سألت « **عبدالوهاب** » : فى تقديرك لو أن الدكتور « المعصرانى » هجر الطب واحترف الغناء ، هل يصلح كمحترف ؟

ـ بدون شك ، لأنه يمتلك صوتا قادرا مساحته واسعة وليست ضيقة ، وده شيء مهم جدا فى الغناء ، وصوت واضح قوى ونبراته شرقية ، ولو كان قد اتجه إلى الغناء من زمان كان لاشك أصبح مطربا له شأنه ..

- **هل مازالت أمامه فرصه لذلك الآن ؟**

ـ دى مسألة متعلقة بقدر هوايته ، وكمان بعمره ..

- هو قارب الأربعين الآن ..

ـ أربعين يبقى صغير .. يبقى ممكن ..

- **هل يحتاج إلى فترة مران وصقل وتدريب طويلة ؟**

ـ طبعا .. يحتاج إلى خبرة وإلى توجيه من أستاذ ، والى دراسة ، وممكن إن الدراسة تكون على يد نفس الأستاذ لو كان هذا الأستاذ متعلما .. أستاذ يبعده عن الشوائب التى قد تكون موجودة في صوته نتيجة لعدم الخبرة وعدم الممارسة ، ويوجهها نحو الأفضل والأحسن .. وكل هذه حاجات عايزة أستاذ يكون عنده خبرة كافية وضمير فنى ..وكمان يصح إن الدكتور حسن يتعلم العزف على آلة موسيقية ، العود مثلا ، يتعلم إزاى يغنى وإيه هو

اللى بيغنيه ده ، ومن أى نغمة ، وإزاى يتصرف فيها ، وإيه الأشياء اللى جوا هذه النغمة يقدر يستغلها وينتفع بيها .. الموسيقى علم كبير ، وهو طبعا محتاج إنه يعرف هذا العلم ويتعلمه ويدرسه .. مفيش حد طلع كده شيطانى ، كل الفنانين اللى طلعوا دول وراهم مشوار طويل .. كل واحد غنى كان وراه مشوار طويل من الصقل والتدريب والخبرة والممارسة والتعب ..

● واللكنة السورية اللى بتشوب لهجته أحيانا ، هل لها علاج ؟

وأجاب « عبدالوهاب » :

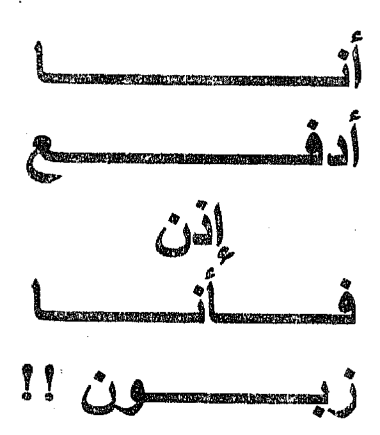
– هى مش مشكلة أصلا علشان تحتاج الى علاج .. هو يحتاج فقط إلى توجيه ، لأنه هو الآن بيغنى بالأذن العفوية ، بالإستماع العفوى والفطرى ، وممكن كل ده يتصلح .. وأنا مش شايف فيه شوائب كتيرة أو نطق غير عادى كتير حتى يكون صعبا علاجه .. اللى فيه حاجات بسيطة جدا .. لكن صوته فيه إحساس وفيه شجاعة وفيه انفعال وليس افتعالا ، ودى حاجات مطلوبة فى المغنى .. وصوته مفيش فيه استكانة ولاتخاذل ، لكن فيه صراخ كأنه بيعبر عن واحد مجروح وموجوع وبيحب بصوت عالى .. مؤكد ييجى منه كتير .. ●

حين خرجنا من بيت « عبدالوهاب » بعد نحو ساعة كاملة قضيناها معه ، كان الدكتور « حسن المعصرانى » ساهما صامتا لايكاد ينطق ، كأنه يخشى أن يفتح فمه فتطير روحه من الفرحة والسعادة .. لكن ربنا فتح عليه بعد ذلك : ركبنا تاكسى فحكى لسائق التاكسى كل تفاصيل لقائه مع « عبدالوهاب » .. تركته امام

باب فندقه وعدت إلى بيتى ولحق بى فى المساء فى اخر سهرة له عندى قبل أن يعود إلى انجلترا فجر اليوم التالى .. بمجرد دخوله عندى قال لى إنه حكى لكل العاملين والعاملات فى الفندق عن لقائه بعبدالوهاب ، وكلما دخل ضيف عندى بدأ يحكى من جديد ماحدث له مع « عبدالوهاب » .. ونزل من عندى فى الفجر متجها إلى المطار ليركب الطائرة عائدا إلى انجلترا .. قطعا حكى لكل مضيفات الطائرة ماحدث له مع « عبدالوهاب »وأنا متأكد أنه سيمر على ركاب الطائرة واحدا واحدا ليحكى لكل منهم قصة لقائه بعبدالوهاب .

●

ترقبوا اسم الطبيب السورى الدكتور « حسن المعصرانى » ، فسوف تقرأون اسمه فى الصحف قريبا ، إما لأنه سوف يهجر كل شيء ويصبح مطربا ، أو لأنه سوف يصاب بلوثة وجنون نتيجة أنه رأى عبدالوهاب وصافح عبدالوهاب **وجلس مع عبدالوهاب وغنى أمام عبدالوهاب واستمع إلى رأى عبدالوهاب فيه ، وحقق أمنية حياته التى عاش يحلم بها أكثر من ٣٠ عاما ..**


أنا
أدفع
إذن
فأنا
زبون !!





القاعدة عندى ـ وعند كل الناس ـ أننى مادمت قد دفعت إذن فأنا مستهلك ، زبون ، حتى لو كنت لم آخذ شيئا أحمله فى يدى وأنا خارج من المحل مقابل مادفعته .. كالذى يذهب إلى السينما أو المسرح أو إلى حديقة الملاهى مثلا .. فهو يدفع ثمن التذكرة على الباب وهو داخل ، لكنه ـ فعليا ـ لايأخذ معه شيئا وهو خارج ..

ويكون الثمن الذى دفعه فى مقابل المتعة الذهنية أو الترويح والإنبساط .. رغم أننى ـ فى هذه الحكاية ـ لم آخذ لامتعة ذهنية ولاترويح ولا انبساط ، بل كنت حاروح فى داهية .. ومع ذلك فسأحكى لكم ـ أعزائى القراء ـ الحكاية كلها ، وإذا رأيتم انها لاتستحق النشر ، فلن أنشرها !!

●

السود فى بريطانيا ـ هكذا تبدأ الحكاية ـ وضعهم يختلف تماما عن وضعهم في أى دولة أخرى من دول العالم ، حتى فى أفريقيا السوداء نفسها .. فى أمريكا يعامل الأمريكيون البيض الأمريكيين السود باحتقار شديد ، يعاملونهم كمواطنين درجة عاشرة أو كخدم

أو حتى كعبيد ، سنى ان معظم المطاعم ترفض أن يدخلها السود ، ومعظم المدارس ترفض أن تقبل فيها تلامذة سود ، وبعض الأماكن تضع على بابها لوحه سكتوبا عليها [ممنوع دخول الكلاب ، والسود] !! ويعانى السود فى أمريكا من التفرقة العنصريه الشديدة ، وتقوم المظاهرات و الإضرابات والإضطرابات فى معظم الو لايات الأمريكية ليطالب السود بالمساواة بينهم وبين البيض .. وينتهز البوليس الأمريكى فرصة المظاهرات والإضطرابات هذه لكى يتعامل مع السود بكل قسوه وعنف وغل .. وتنتهى كل مظاهره عاده بعدد من القتلى والجرحى السود ..

وفى معظم دول أوروبا ـ غربية أو شرقية ـ لاتقابل فى طريقك واحداً أسود ، حتى أننى أتصور أن ألمانيا ـ مثلا ـ لاتمنح تأشيرات دخول للسياح السود .. وقالت لى حسناء ألمانية قريبتى ـ أى والله ، عندى قريبة ألمانية ، وهذه حدوتة أخرى قد أحكيها لكم فى مرة قادمة ـ قالت لى أنها لم تر فى حياتها كلها ـ ٢٤ سنة ـ بنى آدم أسود إلا فى التليفزيون فى الأفلام الأمريكية والإنجليزيه !! .. وفى فرنسا لو قضيت فيها سنة كاملة ورأيت فى خلال هذه السنة أسوداً واحداً فتأكد أنه تايه يا أولاد الحلال ونزل من الطائرة غلط فى فرنسا وهو يظنها دالاس أو تكساس أو نيويورك أو شيكاغو ..

●

السود الإنجليز حالهم مختلف تماما .. السود الإنجليز جاءوا إلى انجلترا لأول مرة بعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية فقط ، عام ١٩٤٥ .. جاءوا مع (الفيلق الأفريقى) الذى حارب فى صفوف

الحلفاء ثم احتفظت به إنجلترا بعد انتهاء الحرب لكي يشتغلوا عمالا يساعدون في إعادة تعمير إنجلترا التي خربتها الحرب ودمرتها قنابل الطائرات الألمانية حتى هلكت بدنها .. وفقدت انجلترا في الحرب العالمية الثانية خمسة ملايين من رجالها وشبابها ونسائها ، إما جنوداً قتلوا في ميدان القتال في الحرب الضارية التي استمرت ٦ سنوات من ١٩٣٩ إلى ١٩٤٥ ، أو مواطنين مدنيين قتلوا نتيجة الغارات الجوية على بريطانيا التي لم يسلم منها حتى ولا قصر باكنجهام ، القصر الملكي البريطاني ..

بقي إذن (الفيلق الأفريقي) في انجلترا بعد الحرب لتساعد في التعمير وإعادة البناء بعد أن فقدت القوى العاملة في بريطانيا أثناء الحرب ١٠ ملايين يد عاملة - باعتبار أن كل عامل له يدان !! - واستوردت انجلترا من مستعمراتها في أفريقيا عشرات ومئات الألوف الآخرين من السود لكي يشتركوا أيضا في إعاده التعمير .. حتى أنها كانت تسمح بدخولهم انجلترا دون تأشيرات دخول ولاجوازات سفر ولاحتى شهادات ميلاد .. وكانت تظن بسذاجة الانجليز -- وهم سذج فعلاً رغم أنهم إستعمروا معظم دول العالم وحكموه قرون عديدة - كانت تظن أن هؤلاء السود سوف يشتركون في إعاده بناء انجلترا ثم يموتون جميعهم بالسكتة القلبية مثلا في يوم واحد ، أو يتعرضون وحدهم ويختفون من الحياة الإنجليزية بعد أن يتم التعمير ..

●

لكن لأن إنجلترا كما حكيت كانت قد فقدت ٥ مليون إنجليزي في الحرب ، لذا فبعد الحرب أصبح تعداد النساء والبنات والإناث

عموما فيها أكثر من عدد الرجال الباقين بعدة ملايين .. وكان البديل الوحيد أو المعادل الوحيد هو هؤلاء السود المتاحين باعتبار إن مفيش غيرهم .. لذا فخلال سنوات قليلة مابعد الحرب كان الأسود قد اختلط بالأبيض - أو بالبيضاء - واختلط الحابل بالنابل .. (النابل) هم السود ، و (الحابل) هن النساء والبنات الانجليزيات (!!) .. وولد جيل جديد معظمه من الأطفال السود ذوى الأمهات الإنجليزيات الشقراوات .. تم تزاوج هذا الجيل الأسود من بعضه .. وجيلا بعد جيل أصبح في إنجلترا نسبة كبيرة من (المواطنين) الانجليز السود .. ولأن السود بطبيعتهم شرسون وعدوانيون وحيوانيون ومجرمون بالسليقة - [**أنا أتكلم عن السود الإنجليز ، والأمريكيين أيضا**] - وحتى فى أفريقيا ، فإن القتل شيء سهل وطبيعي وعادى ووجبة يومية عندهم .. وليس ببعيد عن أذهاننا حكام أفريقيا السود الدمويون أمثال « مويس تشومبى » و « بوكاسا » و « عيدى أمين » وغيرهم .. لذا فقد أصبح السود الإنجليز هم الذين يحكمون الشارع الإنجليزى ، وتاريخهم وحاضرهم الإجرامى أسود من لون بشرتهم .. ومهما تعلموا ودخلوا المدارس والتحقوا بالجامعات - وهم نادرا جدا مايفعلون ذلك هنا فى انجلترا - ففي أول فرصة تتاح لهم يتحولون إلى مجرمين فورا .. وأقرب حادث من هذا النوع حكاية التنى الأسود الذى كان رئيسا لاتحاد طلاب كلية الإقتصاد فى الجامعة التى يدرس فيها ، والذى كان ذاهبا إلى الكلية ذات يوم ليحضر محاضراته اليومية ، فشاهد على الرصيف الآخر ضابط بوليس إنجليزيا انتهت وار دبته وفى طريقه عائدا إلى بيته .. وتعثر الضابط

فى شىء ما على الرصيف فوقع على الأرض منكفئا على وجهه ، فهرع إليه الفتى الأسود من على الرصيف الآخر مسرعا ، لا لكى يعاونه ويساعده على النهوض ، ولكن لكى (يبرك) فوق ظهره ويخرج من بين كتبه سكينا قطع بها رقبة الضابط المسكين المغمى عليه !! .. وقبض على الطالب النجيب الأسود رئيس اتحاد طلاب كلية الاقتصاد ، الذاهب إلى الجامعة وفى حقيبة كتبه سكين ، الشهم النبيل الذى يتطوع لذبح أى بنى آدم أبيض يضعه حظه السيىء فى طريقه .. وحكم عليه بالسجن مدى الحياه .. وقد حكم عليه بالسجن فقط لأنه ليس فى إنجلترا الآن عقوبة الحكم بالإعدام !!

●

الإنجليزى الأسود أو الأسود الإنجليزى يرى أن من حقه عليك إذا كنت أبيض ـ أو من أى لون آخر لكن ليس أسود ـ أن ترهبه وتخشاه وتموت رعبا منه ، وإذا رأيته يمشى على رصيف تحاشيته وابتعدت عن طريقه وانتقلت إلى الرصيف الآخر .. وإذا خطر له ـ من باب التسلية وإزجاء وقت الفراغ ـ أن يتسلى عليك ويهينك ويهزأك ويبعتر كرامتك أو يشتمك ويلعن أبو خاش جد اللى خلفوك أو حتى يضربك أو يسرقك أو يأخذ مافى يدك أو ما معك ، فعليك أن تتقبل ذلك صاغرا خاضعا خانعا لأن حضرتك أبيض بينما هو صاحب الأمر والنهى والسكاكين والمسدسات والقبضات الحديدية والسلاسل والجنازير .. هو أسود وأنت أبيض .. والبوليس الانجليزى نادرا ما يتدخل فى هذه المسائل الصغيرة والخلافات (الشخصية) بين السود والبيض لأن البوليس الإنجليزى عادة مهذب جدا ومتربى جدا وابن ناس ، وعساكر البوليس الانجليز

الذين يتمشون فى الشوارع من باب (التواجد) فقط ، غير مسلحين ولا حتى بمسطرة طولها ٣٠ سنتى .. لأن الدولة فى بريطانيا ترى أن مظهر عسكرى البوليس فى الشارع لو كان مسلحا فذلك ضد الديموقراطية وفيه إرهاب للمواطنين ، ولكن أن يتسلح المواطن ـ الأسود ـ بسكين أو بجنزير أو بمسدس فذلك من حقه مادام لا يمشى فى الشارع شاهراً سكينه .. فإذا أشهر سكينه أو مسدسه وقتل به واحدا وطلع يجرى ولم يقبض عليه ، فهو قليل الأدب ووحش وأهله ما عرفوش يربوه وإخص عليه ، وبس !!

خارجا من بيتى فى لندن ذات يوم ظهرا لأضع خطابا فى صندوق البريد ثم أعود إلى البيت .. مشوار صغير لا يزيد على ١٠ دقائق لكنه كلفنى ١٠٠ جنيه ـ إسترلينى ـ بالتمام والكمال ..

وضعت الخطاب فى صندوق البريد وفى طريق عودتى إلى البيت .. على محطة الأوتوبيس القريبة يقف فتى أسود وفى يده كيس ورق فيه (فيش اند تشيبس) ، سمك وبطاطس مقلى ، يأكل منه بطريقة مقززة جدا ويده وفمه ملوثان بزيت البطاطس والسمك .. اليوم حار نسبيا لذا لم أكن ألبس الـ (بولوفر) لكننى كنت أضعه على كتفى .. أمر فى طريقى بالفتى الأسود الواقف على محطة الاوتوبيس .. عمره لا يزيد على ١٣ أو ١٤ سنة على الأكثر .. يشير لى بإصبعه السبابة ليستوقفنى .. توقفت إلى جواره ظنا منى أنه يريد أن يسألنى عن شىء ما .. لكن الفتى الأسود الظريف كان يريد فقط ان يمسح يديه وفمه من الزيت فى الـ (بولوفر) بتاعى .. وقبل أن أنتبه كان قد فعل ذلك فعلا : مسح يديه ومسح

فمه فى كم الـ (بولوفر) !! وقبل أن ينتبه هو ـ ولا أنا فى الحقيقة ـ كان الولد على الأرض مخرشما والدم يسيل من كل وجهه وفمه وأنفه وأسنانه وأنا أدق رأسه فى أرض الشارع بكل الغيظ والغل والعنف الذى هبط على لحظتها .. وظللت أضرب فيه حتى رفعنى من فوقه ضابطا بوليس إنجليزيان ..

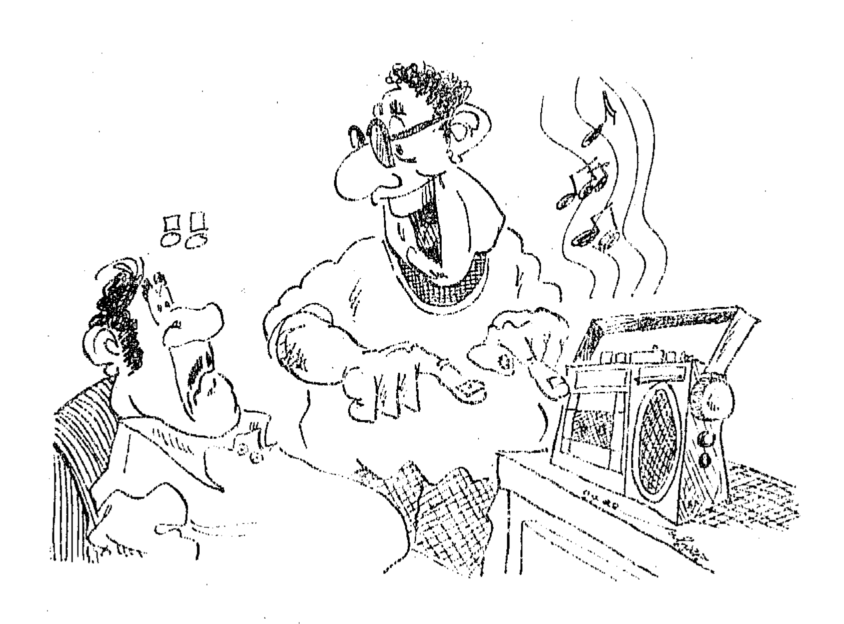
●

وقضيت ليلة فى ضيافة قسم البوليس القريب من بيتى .. وفى اليوم التالى مباشرة عرضت على المحكمة ، وقرأ القاضى التقرير الذى كتبه البوليس ثم سألنى :«مذنب أم غير مذنب يامستر قدرى»؟ ! قلت :«مذنب .. مذنب جدا .. مذنب بشدة .. وسوف ترانى عندك هنا فى المحكمة فى كل مرة يعترض فيها طريقى واحد من هؤلاء المصدفين بطريق الخطأ ضمن البنى آدمين .. سوف أكون زبونا دائما هنا ، وسأصل إلى المحكمة كل يوم قبلك ..

وابتسم القاضى وهو يخفى وجهه فى الأوراق التى أمامه ـ وأنا متأكد أنه كان سعيدا ـ وهو يقول لى : أنا أعذر ثورتك وعصبيتك يا مستر قدرى لكننى لا أستطيع أن أعذر عنفك .. **القانون قانون يا مستر قدرى .. أنت ضربته وهو لم يضربك وحكم على بأخف عقوبة ممكنة .. ودفعت ١٠٠ جنيه غرامة ، وخرجت ..**

أبقى زبون والا مش زبون !؟

أم كلثــــوم فــى فــراش إمـــــرأة متــزوجــة !!





هذه الصورة التى أحكيها لكم الآن من حياتنا فى المهجر تجمعت تفاصيلها أمامى على امتداد أكثر من ١٠ سنوات .. رأيت بدايتها ، ورأيت نهايتها وشاركت فى أجزاء منها .. ولكننى كنت طول الوقت مندهشا ، ولا أزال مندهشا .. وتنبأت بنهايتها من قبل أن تحدث البداية ..

هناك قول سأنور يقول : [لزوم ما لايلزم] .. كأن يستطيع شخص ما أن يعد من ١٠٠٠ إلى ١ ، بالعكس يعنى ، بسرعة ودون أن يتلعثم أو يخطىء .. أو أن يستطيع أن « يبربش » بعينيه لمدة ١٠ دقائق متصلة دون أن يتوقف لحظة واحدة .. أو أن يستطيع أن يأكل طبقا كبيرا من الأرز « رزاية » بعد « رزاية » ، يعنى يضع « رزاية » واحدة فى فمه فى كل مرة ، حتى ينتهى طبق الأرز .. [لزوم ما لا يلزم] هنا معناها ان هذه كلها قد تكون « خبرات » صحيح ، واستغرقت من صاحبها وقتا طويلا حتى تدرب عليها وأجادها صحيح ، لكنها كلها خبرات تافهة وغير مفيدة

على الإطلاق .. لا تفيد صاحبها بأى شىء ولا تجعله يتقدم لوظيفة ما بهذه الخبرات ، ولا تفيد الناس والمجتمع الذى حوله ولا أى مجتمع فى الدنيا ، بأى شىء ..

●

والحكاية تبدأ حين دعتنى زميلة عربية كنا نعمل معا فى مجلة من المجلات العربية التى تصدر فى لندن ، دعتنى للغداء فى بيتها وعرفتنى بأسرتها : أبيها رجل القانون الكبير المتقاعد واللاجىء بأسرته إلى بريطانيا ، وأمها التى كانت مديرة للتعليم فى وطنها قبل أن تهرب منه مع أسرتها ، وزوج الزميلة وهو رجل أعمال وطفلتيها ، و .. أخيها ..

قدمت لى أخاها الأصغر باعتباره يدرس الهندسة فى إحدى جامعات إنجلترا .. لكن الأهم من ذلك أنه عاشق إلى حد الهوس لأم كلثوم .. يحفظ كل كلمات أغانيها ـ مجرد حفظ ، يعنى لا يغنى ـ ولديه مكتبة أشرطة واسطوانات كاملة لكل ما غنته أم كلثوم ، ويعرف كل شىء كل شىء عن أم كلثوم ، من قبل مولدها إلى بعد وفاتها : ماذا كانت تلبس ، وعدد الفساتين والأحذية والشباشب التى عندها ومتى اشترت كل منها ومن أين ، وماذا كانت تأكل فى الصباح وماذا كانت تأكل على الغداء وماذا كانت تأكل فى العشاء وماذا كانت تتناول بين الوجبات وماذا كانت تشرب وكيف كانت تجلس وكيف كانت تقف وكيف كانت تنام وكيف كانت تضحك وأين كانت تتنزه ومن هم أهلها ومن هم أقاربها واسرتها ومن هم أصدقاؤها وكيف كانت تختار أغانيها وكيف كانت تختار الملحنين وشكل علاقاتها بهم وكيف كانت تحفظ الألحان وكيف كانت تغنى

كل أغنية ، وكل أغنية غنتها كم مرة فى كم حفلة ومتى كانت أول مرة غنتها وآخر مرة غنتها ومجموع الساعات والدقائق والثوانى التى غنت فيها كل أغنية ووو ... كل شىء مهما كان تافها كان يعرفه « مصطفى » ، أخو زميلتى العربية !!

وأخذنى « **مصطفى** » ، طالب الهندسة ، معه إلى غرفته ودلق فوق دماغى طناً من المعلومات عن أم كلثوم كنت أعرف معظمه ، والجزء الذى لم أكن أعرفه لم يكن يهمنى أصلا أن أعرفه .. وقلت لمصطفى يومها ـ منذ ١٢ سنة ـ : « لكن هذه يا مصطفى كلها معلومات موجودة فى الكتب التى نشرت عن أم كلثوم فى حياتها وبعد وفاتها ، وفى الصحف والمجلات التى كتبت عن أم كلثوم .. فما الجديد فى الموضوع إذن !؟ » فأجاب « مصطفى »فخورا وهو يشير إلى رأسه : « الجديد أنها كلها مجتمعة فى رأسى أنا هنا .. أنا موسوعة وإنسيكلوبيديا حية عن أم كلثوم !! » [لزوم مالا يلزم] هنا ..

●

وتصورت أن هذه الحدوتة كلها نزوة مراهقة عند طالب الهندسة الشاب ، سوف تتوارى وتضمحل وتختفى بمجرد أن يتخرج فى الجامعة ويبدأ حياته العملية فينشغل بعمله ووظيفته وبما هو أهم ، ثم يتزوج وينجب ويصبح بنى آدم عاديا مثل كل الناس ورب أسرة مثل كل الناس ، وينسى حكاية أم كلثوم هذه .. وقد يتذكرها فى يوم من الأيام بعد ١٠ سنوات فيضحك لها وتضحك لها أسرته ويقولون له مداعبين : « فاكر يا مصطفى أيام ما كنت مهووس بأم كلثوم .. هاهاهاها » ويضحك ويضحكون ...

●

وباعدت الأيام بينى وبين الزميلة العربية ١٠ سنوات كاملة ، خصوصا وأن كلاً منا قد ترك المجلة التى كنا نعمل فيها معا .. حتى أخبارها لم نعد تصلنى فظننت أنها ربما تكون قد عادت وأسرتها إلى وطنها .. حتى كنت فى مصر فى أجازة منذ عامين حين رن جرس التليفون فى بيتى رنة مكالمة خارجية ، وأتانى صوت يتكلم بلكنة عربية : « **أنا الدكتور مصطفى باكلمك من لندن** » ويتضح أنه شقيق زميلتى العربية القديمة بعد أن تخرج فى كلية الهندسة ثم حصل على الدكتوراه فى هندسة الكمبيوتر ، وكان قد احتفظ بأرقام تليفونى فى مصر منذ المرة الوحيدة التى التقينا فيها فى لندن منذ ١٠ سنوات .. « مبروك يا دكتور مصطفى .. وماذا تعمل **الآن !؟** » .. وكانت المفاجأة التى لم أكن أتوقعها : الدكتور « مصطفى » هو مدير مركز تراث أم كلثوم فى بريطانيا (!!) .. وهل لأم كلثوم مركز تراث فى بريطانيا !؟ وأم كلثوم مصرية وأنا مصرى ، وصحفى ، وما اعرفش !؟

•

وانتهت أجازتى وعدت إلى لندن ، واستقبلنى الدكتور « مصطفى » فى المطار ليوصلنى إلى بيتى .. وفى الطريق حكى لى فى دقيقة ونصف أخباره وأخبار أسرته : أسرته كلهم كويسين .: الكبار صحتهم كويسة والصغيرين كبروا .. هو تزوج من بنت خاله ـ وهى مهندسة أيضا لكنها تخرجت فى الجامعة فى وطنها ـ وأنجبا طفلتين و ..وبس .. كل الوقت بعد ذلك طول الطريق من مطار هيثرو إلى بيتى ، ثم فى بيتى حتى العاشرة ليلا ـ من الرابعة عصرا ـ و« مصطفى » يتكلم بلا انقطاع عن : أم كلثوم !! .. ولولا أننى كنت مرهقا وتعبانا من السفر وأريد أن

أرتب أمورى بعد عودتى من الأجازة ، لفضى « مصطفى » الليلة عندى يحدثنى عن أم كلثوم

« **مصطفى** » **يتصل بى ٢٠ مرة فى اليوم** ، ويزورنى مرتين أو ٣ مرات في الأسبوع ليقضى معي عدة ساعات ، وحديثه الواحد الوحيد هو عن أم كلثوم.وأنا أحب أم كلثوم صحيح كما يحبها كل الناس لكن ليس إلى حد أن أتكلم عنها وأسمع عنها ٦ ساعات فى اليوم ٣ مرات فى الأسبوع + ٣ ساعات فى التليفون كل يوم بقية أيام الأسبوع !!

ودعانى « **مصطفى** » **إلى العشاء فى بيته** .. أول مرة أرى زوجته وطفلتيه وأنا أحب الأطفال كثيرا وأحب ان ألاعبهم وألعب معهم .. لكن الدكتور « مصطفى » شغال [فول أو توماتيك] ٢٤ ساعة فى اليوم لا يكل ولا يمل ولا يهدأ ولا يهمد. من الكلام عن أم كلثوم .. قلت لمصطفى يومها مداعبا جاداً : « ندى أم كلثوم أجازة النهاردة يا مصطفى .. حلبنى اتعرف على نضال زوجتك وألعب مع آمنة وساره طفلتيك .. زهقتنى من أم كلثوم وخليتنى قربت أكرهها .. ده أنا لو أكلت ٥ كيلو مانجو فى يوم واحد سأكره المانجو طول عمرى بعد كده » .. وكأننى دست على « زر » عند زوجته « نضال » دون أن آخذ بالى .. فقد انفجرت « نضال » فجأة باكية وهى تصرخ بخليط من الانجليزية والعربية باللهجة العراقية واللهجة المصرية ، تستغيث بى من أم كلثوم التى تعاشرها فى بيتها منذ أن تزوجت « مصطفى » من ٨ سنوات ولا حديث له فى البيت أو فى الغيط أو فى أى مجتمع أو زيارة يذهبان إليها معا غير عن

أم كلثوم ، وأغنيات أم كلثوم وأفلام أم كلثوم وأشرطة واسطوانات أم كلثوم شغالة فى البيت ٢٤ ساعة فى اليوم ، « ومصطفى » لا يريد أن ينطق أحد فى البيت بكلمة أو يتنفس مادامت أم كلثوم تغنى، وهى تغنى على طول وإذا غنت أم كلتوم فاستمعوا لها وأنصتوا ..!! أم كلثوم تشاركنى فى بيتى وفى حياتى ولا أشاركها فى زوجى لأنه لها لوحدها .. مصطفى بتاع أم كلثوم وليس بتاع أى حد آخر .. أم كلثوم معى فى غرفة نومى والله أعلم كيف أنجبنا الطفلنين .. مركز تراث أم كلثوم الذى يديره مصطفى هو غرفة فى البيت هنا لا يدخلها إلا مصطفى فيها كل شىء عن أم كلثوم .. كيف حصل مصطفى على دكتوراه الهندسة التى يقول أنه يحملها إذا كان لا يعرف أى شىء فى الدنيا إلا أم كلثوم .. مصطفى لا يعمل وليس موظفا لأنه متفرغ تماما لأم كلثوم .. والذى ينفق على بيتنا وأولادنا هو أبوه وأمه اللذان استسلما تماما للداء المصاب به إبنهما الوحيد ، داء أم كلثوم ، واعتبره نوعا من [الصرع] لا علاج له إلا أن يشفيه الله وحده فى يوم من الأيام لكن حين يجىء هذا اليوم ، إذا جاء ، سأكون أنا قد أصبت بانهيار عصبى وأموت شهيدة أم كلثوم .. زهقت ، طهقت ، وسأهرب من هذه العيشة كلها فى يوم من الأيام لن يكون بعيدا جدا ...

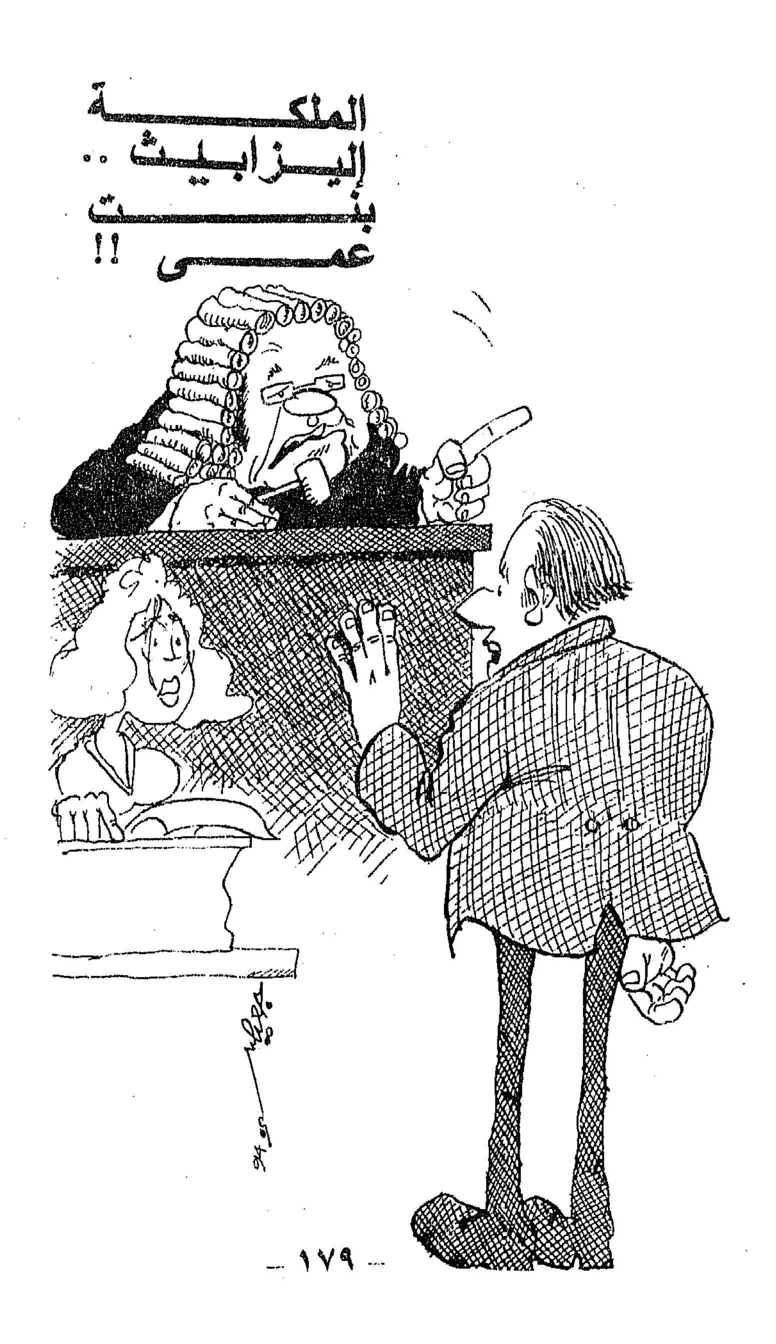
●

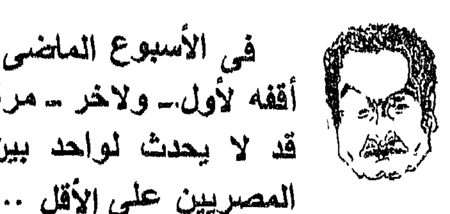
سافرت فى مهمة عمل وعدت إلى لندن بعد ٣ شهور .. وجاء الدكتور « مصطفى » ليزورنى لكى يستمر فى حديثه عن أم كلثوم ..

فى وسط الحديث سألته : « كيف حال نضال !؟ » فقال

مندهشا : « نضال مين !؟ » قلت وأنا أكثر اندهاشا : « مش عارف نضال مين !؟ نضال زوجتك » ..

قال ببساطة :« آه .. نضال هربت وتركت البيت والبنتين منذ ٣ شهور ، وطلبت الطلاق وحصلت عليه ، ولا أعرف عنها شيئا بعد ذلك .. نرجع لأم كلثوم ....


الملكة
إليزابيث ..
بنت
عمى !!



فى الأسبوع الماضى ، فى لندن ، وقفت موقفا أقفه لأول ـ ولاخر ـ مرة فى حياتى .. وهو موقف قد لا يحدث لواحد بين كل مليون واحد ، من المصريين على الأقل ..

بمناسبة حصولى على الجنسية الإنجليزية بعد ٦ سنوات من الإقامة والعمل فى إنجلترا،كان علىّ أن أؤدى أو أقسم يمين الولاء والإخلاص للملكة « إليزابيث » ملكة بريطانيا .. فوقفت أمام قاض خاص إسمه ، لقب وظيفته أقصد Justice of Peace،وكان أول سؤال سأله لى القاضى : « مستر قدرى .. أنت مسلم .. أليس كذلك !؟ » .. فلما أجبته بالإيجاب، فتح درج مكتبه وأخرج منه مصحفا كبيرا وسألنى : « هل هذا هو الكتاب الذى تؤمن به !؟ » فقلت، وأنا شديد الدهشة : « نعم » وقد تصورت أن القاضى الإنجليزى قد فهم خطأ أننى أريد أن أشهر إسلامى،لكنه أخرجنى من حيرتى بأن قال لى : « بما أنك مسلم فإن عليك أن تقسم على القرآن أن تكون مخلصا للملكة « إليزابيث » ملكة بريطانيا » ..وبدأ هو يردد صيغة القسم وأنا أكرره وراءه وأنا مخضوض جدا .. فكيف أقسم على الولاء والإخلاص لإمرأة غير زوجتى !؟ وكيف

أقسم علي الولاء والإخلاص للملكة « إليزابيث » وهي سيدة متزوجة !؟ وماذا سيكون موقفي لو أردت أن أتزوج مرة أخرى مثلا !؟ وحاودى وشي فين من البرنس « فيليب » زوج الملكة لو عرف بطريقة ما أنني قد أقسمت أن أكون مخلصا لزوجته !؟

وبعد أن انتهت مراسم أداء اليمين جلست قليلا مع القاضي وسكرتيرته الحسناء التي كانت تسجل كتابة « إجراءات القَسَمْ » فقلت لهما فجأة وأنا جاد جدا : « أليس غريبا أن أكون أنا والملكة إليزابيث أبناء عم وننحدر من نفس الجد ، دون أن نلتقي شخصيا ولا مرة حتى الآن !؟ » .. فسألني القاضي مخضوضا من أن يكون قد أعطى الجنسية الانجليزية لمجنون خطر : « انت والملكة إليزابيث أبناء عم !؟ وهل تعرف هي ذلك !؟ » .. قلت مؤكدا وأنا اتكلم بمنتهى الإتزان والتعقل حتى أزيل من ذهن القاضي أنني مجنون : قطعا هي تعرف ذلك .. فمثل هذا الأمر لا يخفى !!

وبعد حوار سريع كانت السكرتيرة الحسناء خلاله مبهورة الأنفاس محمرة الوجنتين من شدة الانفعال ؛ قام القاضي إلى مكتبته فأخرج منها كتابا ضخما فتحه علي صفحتين متقابلتين مطبوعتين بالعرض ، فيهما رسم لتسلسل شجرة العائلة الملكية البريطانية منذ عهد الملك « ويليام الأول » أو « ويليام الفاتح » عام ١٠٦٦ حتى الآن وقال لي : « أرني الجد المشترك بينك وبين الملكة إليزابيث » .. فوضعت إصبعي قبل الملك « ويليام الأول » ، بمعنى أن الجد المشترك بيني وبين الملكة « إليزابيث » كان قبل الملك « ويليام الأول » أو قبل عام ١٠٦٦ !!

فنظر القاضى إلىّ مذعورا وقد أيقن أننى مجنون فعلا، وأشار لسكرتيرته بأن تتوقف عن الكتابة .. فضحكت وأنا أقول له: بل فى الحقيقة قبل ذلك بكثير جدا .. بعدة ملايين من السنين .. فإن الجد المشترك بينى وبين الملكة إليزابيث هو « آدم » شخصيا .. ألسنا جميعا أبناء وأحفاد آدم وحواء !؟ .. وذلك معناه – ياسيدى القاضى – أننى أنا وأنت أبناء عمومة كذلك !!

بهت القاضى للحظة ، لكن حين ضحكت سكرتيرته بدأ هو أيضا يضحك ويضحك ويضحك حتى دمعت عيناه .. وقال لى وهو لا يزال يضحك : « مستر قدرى .. أنت قطعا طلبت الجنسية الإنجليزية لأنهم نفوك وطردوك من مصر .. لكننى سوف أحكى لزوجتى الليلة هذه الحكاية ، وأعتقد أنها سوف تسر منها كثيرا » ..

لكننى رجوته أن يرسل وثيقة قسم اليمين بتاعتى إلى وزارة الداخلية الإنجليزية قبل أن يحكى لزوجته هذه الحكاية ، لأننى لست متأكدا من أن زوجته سوف تتقبلها كما تقبلها هو .. ولا أريده أن يصب غضبه على نتيجة خلافات عائلية قد تحدث بينه وبين زوجته !! **فعاد الرجل يضحك من جديد وهو يقول لى : « مستر قدرى ، أرجوك أن تنصرف الآن .. هناك آخرون فى انتظار دورهم بعدك » ..**

فانصرفت .....

الحلق
والسودان
وحكاية مسز
إيڤيلين دينهى !!





لا أعرف إن كانت هذه الحكاية ممكن أن ينطبق عليها المثل المصرى (يعطى الحلق للى بلا ودان) أم لا .. فالأصل فى هذا المثل هو أن تحصل على شىء ما لا تستطيع استخدامه .. كأن تعزل إلى شقة جديدة ـ مثلا يعنى ـ فتجد أن الساكن السابق قد ترك لك فيها مكتبة كبيرة فيها ٢٠٠٠ كتاب باللغة الإنجليزية ، بينما أنت تقرأ اللغة العربية أصلا بصعوبة ..

أو أن تكون السيدة حرمكم ـ رغم ظروفكما المادية التى لا تستطيع الإنفاق على طفل واحد ـ تتحفك كل سنة بمولود جديد رغم أنكما قد جربتما كل وسائل منع الحمل بما فى ذلك أنكما تعيشان فى بلدين مختلفين منذ ٥ سنوات .. فيحسدك جارك فى الشقة المجاورة لك ، وهو ثرى أمثل من كبار رجال الإستيراد فى البلد : يستورد المخدرات من تركيا ، لأنه هو وزوجته يلفان على كل الأطباء منذ زواجهما من ٦٦ سنة لكى ينجبا طفلا واحدا يضيف إلى حياتهما « نفساً » جديدا .. فيكون هذا المثل (يعطى الحلق للى بلا ودان) بمعنى أن الله يعطيك ما لست فى حاجة إليه ، أو أنه يعطيك شيئا عندك منه الكثير ولست فى حاجة إلى مزيد ..

فإذا كان المثل صحيحا هكذا فإليكم هذه الحكاية ..

حين هاجر صاحبنا من مصر إلى إنجلترا كان شابا ناجحاً وحيداً أعزباً ، قرر أن يأخذ نجاحه ووحدته وعزوبيته معه إلى بلاد المهجر .. وفى المهجر استطاع أن يحافظ على الثلاثة معا : نجاحه ، ووحدته ، وعزوبيته ..

فى المهجر الإنجليزى إزداد نجاحا .. والنجاح فى دول المهجر ترجمته أموال أكثر وفلوس أكثر .. وظل أعزبا لأن هناك مثل إنجليزى قليل الأدب يقول : Why buying a cow when milk is every where أو (لماذا تزحم بيتك ببقرة بحالها إذا كان اللبن متوفرا فى السوق) .. مثل قليل الأدب ووقح كما قلت لكم ، لكنه حقيقى ويعبر عن واقع الحال فى إنجلترا وفى أوروبا كلها .. فاحتياجات الشاب الأعزب هنا متوفرة جداً و ـ على رأى المسرحية ـ « المقررات » هنا سهلة جداً وعلى قفا من يشيل .. فلا يحتاج الأعزب أن يفكر فى الزواج إلا إذا كان غاوى هم ونكد ووجع قلب ومناهدة ..

وتمر الأيام والسنوات على صاحبنا الشاب الناجح الأعزب فى المهجر ، وهو فى كل يوم يزداد نجاحا ويزداد ثراء ، ويزداد عزوبية .. حتى أصبحت مشكلته مشكلة ظريفة جداً : لمن سوف يترك ثروته هذه كلها إذا وافاه الأجل المحتوم يوما ما فى المهجر ، ولكل أجل كتاب ، فماذا يفعل !؟ لا شىء .. وبرضه لن يتزوج حتى لو أضطر فى النهاية إلى أن يكتب فى وصيته أسماء كل الحسناوات الإنجليزيات من سن ١٦ وطالع ..

هذا هو الجزء الأول من حكايتنا .. نيجى للجزء الثانى :

سكن صديقنا الناجح الأعزب فى بيت فى حى من أحياء لندن الهادئة الراقية .. شقة صغيرة ظريفة محندقة فى الطابق الثانى .. جارته فى الطابق الأول شابة إنجليزية حسناء عمرها ٨٦ سنة ، شهدت عصر الملكة ڤيكتوريا وكانت فى شبابها - الجارة وليست الملكة ڤيكتوريا - وصيفة الأميرة مارجريت شقيقة الملكة إليزابيث ملكة إنجلترا ..

هذه الجارة سيدة وحيدة ومقطوعة من شجرة ، لم يبق لها أهل وليس لها أصدقاء ولا أحد يسأل عنها .. صديقنا المصرى الناجح الأعزب إنسان طيب ودمث ومهذب ولسانه حلو مع كل الناس ، وعنده نقطة ضعف شديدة بالنسبة للستات الكبار .. فلأنه أحب أمه حبا شديداً وفقدها وهو فى مطلع شبابه ، فقد اعتبر كل (ست كبيرة) تصادفه فى أى مكان ، وكأنها أمه .. وجاءت جارته فى الطابق الأول - مسز « إيڤيلين دينهى » - لكى تلعب هذا الدور فى حياته طيلة السنوات الخمس التى سكن فيها فى ذلك البيت .. كان يسأل عنها كل يوم ، وبين حين وآخر يدعوها للعشاء معه فى شقته الصغيرة وتسهر عنده تتفرج على التليڤزيون الملون ، فقد كان تليڤزيونها أسود وأبيض .. وكلما سافر إلى مصر أحضر لها معه عند عودته هدية تذكارية صغيرة .. بل وتأبط ذراعها مرتين أو ثلاثا ودعاها للعشاء فى ذلك المطعم الصينى القريب من البيت .. عشاء لا يكلفه أكثر من عشرة جنيهات كان سيصرفها على أى حال

حتى لو تعشى وحده .. لكن ذلك كان يسعد كثيرا السيدة العجوز التى ترملت منذ ٤٠ سنة .. وعرف تاريخ ميلادها ـ اليوم والشهر فقط ، فهى لم تذكر له السنة أبدا ـ فكان يحتفل به معها بتورتاية صغيرة لا تكلفه أكثر من جنيه واحد ، يضع لها فيها شمعة واحدة بمعنى أن سنة جديدة من عمرها قد بدأت .. وحين دخلت المستشفى قبل ليلة رأس السنة بأيام ذهب إليها فى المستشفى فى ليلة رأس السنة ومعه هدية لها وأصر على أن يقضى الأمسية كلها إلى جوارها حتى أطفئت الأنوار فى منتصف الليل إعلانا ببدء العام الجديد ، فقبلها فى جبينها وخديها وتمنى لها عاما جديدا سعيدا ..

●

ومرت السنوات ، واشترى صاحبنا شقة ظريفة صغيرة فى حى آخر بعيد من أحياء لندن الجديدة ، إنتقل إليها .. ومع ذلك فقد ظل على الود باقياً مع جارته العجوز مسز « إيفيلين دينهى » ، لا ينسى عيد ميلادها ، ويحضر لها معه هدية تذكارية صغيرة كلما سافر إلى مصر وعاد ، ويسأل عنها بالتليفون بين حين وآخر .. حتى عدة شهور مضت حين توقفت مسز « إيفيلين دينهى » عن الرد على التليفون فى بيتها ، فظن أنها ربما تكون قد دخلت المستشفى مرة أخرى ، فاتصل بصاحب البيت تليفونيا الذى أبلغه بأنها قد ماتت ..

●

هل إنتهت قصة مسز « إيفيلين دينهى » من حياة صاحبنا !؟
ليس بعـــد ..

بعد عدة أسابيع إتصل به محام إنجليزى ليبلغه خبرا صاعقا .. (الحلق للى بلا ودان) حدث هنا : ماتت السيدة العجوز وتركت وراءها ثروة قدرت بـ ١٢ مليون جنيه إسترلينى ، وكان الإسم الوحيد فى وصية مسز « إيڤيلين دينهى » هو إسم صاحبنا !! وفى يوم وليلة زادت ثروته ١٢ مليون جنيه إسترلينى ، أو حوالى ٧٥ مليون جنيه مصرى !! .

اللهم لا حسد ، ولكن .. ما أنا طول عمرى كنت كويس مع الستات الكبار !!!! .

المهندس الإنجليزى الذى بنى هرم خوفو !!





مارجريت توملين MARGARET TOMLIN
صديقة إنجليزية عزيزة ، فنانة تشكيلية ، رسامة درست الفنون الجميلة فى لندن وعملت فى أستراليا وإنجلترا وأمريكا وايطاليا .. عرفتها منذ نحو ثلاثة أعوام ، ومن وقتها وقد أصبحنا صديقين حميمين متلازمين لا نكاد نفترق ..

كان بيننا شىء مشترك هو أكثر ما جذبنى إليها هو احترامها وحبها الشديد لأبيها المرحوم وحديثها الدائم عنه وعن ذكرياتها وحكاياتها معه .. ولأننى أحببت أبى وأمى حبا شديدا ومات كلاهما مبكرا فلم أستطع أن أوفيهما حقهما من الحب والتكريم والولاء لذا فأنا شديد الضعف أمام حب واحترام الأبناء لآبائهم وحب الآباء لأبنائهم ..

فى أول يوم تعارفنا فيه أنا و«مارجريت توملين» منذ نحو ٣ سنوات وبمجرد أن عرفت هى أننى مصرى قالت لى على الفور : أنت اذن الذى ستحقق أمنية أبى التى طالما تمناها قبل أن يموت ..

وكانت هذه القصة ..

●

كانوا خمسة أشقاء أوسطهم، إدوين أوسكار توملن EDWIN OSCAR TOMLIN الذى ولد فى(تشينجفورد CHINGFORD) إحدى ضواحى شمال لندن فى ٨ أغسطس عام ١٩٠١ .. وورث مع شقيقه شركة أبيهما لصناعة الأحذية ، ثم تخصص فى تصميم الأحذية .. تزوج فى سن مبكرة وأنجب أربعة أبناء : ٣ بنات وولد واحد : إدنا EDNA ، كيث KEITH ، مارجريت MARGARET ، و"چيل JILL".. لكن مارجريت كانت أحبهم جميعا إلى قلب أبيها، ومادام هو فى البيت فهى قابعة فى حجره أو جالسة على ركبتيه ، وهى المسرعة دائما إلى تلبية كل طلباته ، فإذا ذهب إلى الـ (پوب PUB) أو حانة الضاحية فى مساء الجمعة كل أسبوع إصطحب معه اثنين فقط من أفراد الأسرة : طفلته الأثيرة « مارجريت »، وكلبه ..ولما كان غير مسموح للأطفال حتى سن الثامنة عشرة بدخول البار أو الحانة من الداخل،فقد كانت « مارجريت » الصغيره تجلس مع كلبها إلى مائدة خشبية صغيرة توضع لها خصيصا على باب الحانه من الخارج ويحضر لها.أبوها قدحا كبيرا من عصير الليمون أو البرتقال تجلس لترتشفه فى هدوء حتى ينتهى أبوها من سهرته مع أصدقائه .. لكن كان يكفيها سعادة أنه يصطفيها هى بالذات ليأخذها معه مساء كل جمعة إلى حانة الضاحية ، وإلى أى مكان يذهب إليه ..

●

ومضت الحياة بـ « مارجريت » هادئة ناعمة بحبها لأبيها وحب أبيها لها حتى التاسعة من عمرها ، حين تفرقت الأسرة بانفصال الأب والأم فعاشت مع أمها وزوج أمها ، لكنها كانت فى مساء كل

يوم جمعة تسرع إلى البيت الذى يعيش فيه أبوها لتقضى معه عطلة نهاية الأسبوع كما اعتادت دائما .. حتى انتهت من دراستها و تخرجت فى كلية الفنون الجميلة وحصلت على عمل كرسامة،فكان أول ما فعلته أن جمعت ملابسها وحاجياتها وذهبت على الفور لتستأجر غرفة فى البيت المجاور للبيت الذى يعيش فيه أبوها،لتكون جارته وتعود فتقضى كل وقت فراغها معه من جديد .. ولم تسكن مع أبيها فى نفس البيت لسبب بسيط جدا،هو أن مستر « توملين » كان يسكن فى غرفة واحدة من ذلك البيت،ولم تكن هذه الغرفة الواحدة لتتسع له ولابنته « مارجريت » معا ..

●

وكانت « **مارجريت** » ـ وما زالت ـ جميلة مشرقة باسمة مرحة ضحوكا .. لذا فإن وقتا طويلا لم يمض بعد تخرجها حتى كانت قد تزوجت ورحلت إلى استراليا لتقضى فيها ١١ عاما متصلة لم تعد خلالها إلى إنجلترا ولا مرة،لكنها كانت تكتب إلى أبيها دائما ويكتب إليها دائما .. حتى عادت إلى إنجلترا مرة أخرى بعد ١١ سنة من الغيبة والبعد فى استراليا ، لكن مستر « توملين » ـ الذى كان قد أصبح فى السادسة والستين من عمره الآن ـ كان قد تقاعد عن العمل وذهب ليعيش مع صديقة له « بيتى » فى مثل عمره بعد أن ترملت واحتاجت فى وحدتها إلى أنيس ترتاح إليه ، وكان صديقها القديم « إدوين أوسكار توملين » هو أقرب الناس إلى قلبها ، فدعته ليعيش معها فى بيتها الكبير فى مقاطعة (جلوستر شير) ..

وذهبت « **مارجريت** » لتزور أباها فى (جلوستر شير) بعد عودتها من استراليا ، وقضت معه أسبوعين قبل أن تعود إلى لندن لتعمل وتعيش مع أسرتها الصغيرة،فقد أصبحت أما لطفلتين

جميلتين : ربيكاREBECCA وإستير ESTHER .. ثم ترحل الأسرة بعد ذلك بحكم عمل زوجها إلى إيطاليا ثم إلى أمريكا حيث قضت عدة سنوات ، قبل أن تنفصل « مارجريت » عن زوجها وتعود مع طفلتيها إلى انجلترا .. لكن الوقت لم يتسع أمامها لترى أباها مرة أخرى ، فإنها قبل أن تستقر فى بيتها الجديد فى لندن كان قد بلغها نبأ وفاة مستر « توملين » الأب ..

●

كان مستر « **إدوين اوسكار توملين** » طول عمره يعتقد فى تناسخ الأرواح ، وأن كل « روح » تحيا مرتين فقط .. وأن حياته هذه كمصمم أحذية إنجليزى ولد فى عام ١٩٠١ هى حياته الثانية .. أما حياته الأولى فكانت قبل ذلك بعدة آلاف من السنين ، وفى مكان بعيد تماما عن إنجلترا ، بل لعل إنجلترا نفسها لم تكن موجودة فى ذلك الوقت حين عاش مستر « توملين » حياته الأولى ، أو على الأقل لم تكن مأهولة أو معروفة ..

كان مستر « **توملين** » يعتقد أنه قد عاش حياته السابقة فى : مصر الفرعونية .. وأنه كان مهندسا للعمارة فى ذلك العهد القديم ، وواحد من المهندسين الذين صمموا وأقاموا هرم خوفوا الكبير .. وأنه كان سعيداً فى حياته الأولى كمهندس مصرى قديم عن حياته الحالية كمهندس إنجليزى الان .. لذا فقد كانت وصيته الاخيرة هى أن يحرق جثمانه بعد وفاته وأن يقسم رماده على أبنائه الأربعة ، فمن المحتمل أن تتاح لواحد منهم فرصة أو إمكانية دفن رماد أبيه فى الصحراء المحيطة بسفح هرم خوفو فى مصر ، ليعود إلى أصله وإلى وطنه الأول القديم ، فقد عاش«إدوين أوسكار توملين» طول حياته يحلم بذلك ..

●

أبناؤه الأربعة الآن فى أماكن متفرقة من العالم : الإبنة الكبرى «إدنا»هى كبيرة ممرضات مستشفى ملبورن الرئيسى فى أستراليا ، « كيث » أصبح رساما ثم ممثلا كوميديا ورحل إلى هونج كونج وتزوج من صينية ثم انقطعت أخباره تماما،حتى أن « مارجريت » فى رحلة من رحلاتها وضعت هونج كونج فى خط سيرها لكى تبحث عن أخيها فى آخر عنوان له عندها ، لكنها لم تعثر له على أثر .. « چيل » الابنة الصغرى تزوجت وعمرها ١٥ سنة وعاشت حياتها بعيدة عن الأسرة كلها التى لم تكن راضية عن زواجها فى هذه السن المبكرة وهى أقرب إلى طفلة منها إلى فتاة ، ولم تر أباها من يومها .. لذا فحين نقلت إليها وصيته فى أن يحتفظ أبناؤه برماد أبيهم لم تتحمس لهذه الفكرة،فكرة أن تحتفظ في دولابها أو فى غرفة الإستقبال فى بيتها بإناء أو علبة فيها رماد أبيها .. وكذلك فعلت « إدنا » الابنة الكبرى ، و« كيث » الابن الوحيد مجهول العنوان .. و .. أصبح رماد مستر « توملين » جميعه من نصيب الإبنة التى أحبت أباها حيا وميتا : « مارجريت » ..

●

واحتفظت مارجريت برماد أبيها فى دولابها ١٠ سنوات كاملة ، سافر معها خلالها إلى أمريكا وإيطاليا وسويسرا ثم عاد معها إلى إنجلترا مرة أخرى ، وهى مصممة أنه لابد وأن يأتى اليوم الذى سوف تحقق فيه وصية أبيها الأخيرة ..

وجاء ذلك اليوم حين عرفتنى وعرفت أننى مصرى فقالت لى على الفور : أنت الذى ستحقق أمنية أبى ووصيته الأخيرة ..

وحدث ذلك فعلا ....

فبعد فترة من تعارفنا جاءت « مارجريت » تزورني وهي تحمل حقيبة يد كبيرة نوعا ما ، فتحتها وأخرجت منها علبة كبيرة مستديرة من البلاستيك وضعتها أمامى .. سألتها مندهشا : ما هذا ؟ فقالت بهدوء: هذا أبى !!

كان ذلك هو الرماد الناتج عن حرق جثمان مستر « إدوين أوسكار توملين » احتفظت به ابنته مارجريت على أمل أن يأتى ذلك اليوم الذى تستطيع أن تنفذ فيه وصية أبيها بدفن رماده فى صحراء الجيزة تحت سفح هرم خوفو فى مصر ..

وظل المرحوم « توملين » موضوعا على الرف العلوى فى مكتبتى فى بيتى فى لندن بين عدد من الأبليكات والتماثيل الصغيرة .. ظل فى مكانه هذا ما يقرب من تسعة شهور حتى حان موعد أجازتى التى أقضيها فى القاهرة كل عام ، فوضعت المستر « توملين » فى حقيبتى وأخذته معى إلى مصر ..

وتوالت الأحداث بعد ذلك : غريبة أحيانا ، مفاجئة أحيانا ، مرحة أحيانا ، مثيرة للدهشة أحيانا ..

●

وصلت إلى بيتى فى القاهرة بعد منتصف الليل مرهقا مكدودا ، فقد كنت لم أنم لعدة ليال قبل سفرى إلى مصر .. الأيام الأخيرة قبل السفر دائما تكون مزدحمة بعشرات الأمور والمسائل والترتيبات التى لابد أن تنتهى قبل بدء الأجازة .. دخلت لأنام بمجرد وصولى وتركت مسألة تفريغ حقائبى حتى الصباح .. فى الصباح جاءت ابنة أختى « فاطمة » المحاسبة فى أحد البنوك

الكبرى فى القاهرة ، وهى التى ترعانى وتتولى كل أمورى فى مصر خلال غيابى عنها .. جاءت لتطمئن إلى وصولى ولتعد البيت لاستقبال ضيوفى الذين أسعد بهم خلال فترة أجازتى فى مصر .. ولأنها هى همزة الوصل بينى فى لندن وبين باقى الأسرة فى القاهرة فهى لا تبلغ الأسرة بوجودى فى مصر إلا بعد أن ترانى أمام عينيها فعلا ، فكثيرا ما أبلغها بمواعيد لعودتى ثم أتخلف عن السفر إلى مصر لأسباب تطرأ فى آخر لحظة ..

●

جاءت « فاطمة » فى الصباح إذن وبدأنا معا نفرغ حقائبى وأنا أضع الهدايا جانبا : هذه الهدية لفاطمة وهذه الهدية لماما فردوس ، وهذه الهدايا لأختها نعمة وأولادها وهذه الهدية لصديقى وجارى محمد الرفاعى، وهذه الهدية لأستاذى وصديقى «عز الدين رضوان».... حتى طلعت فى يدى من الحقيبة علبة كبيرة مستديرة من البلاستيك وضعتها بحرص شديد على الرف العلوى فى مكتبتى دون أن أذكر لـ « فاطمة » شيئا عنها .. فسألتنى هى بفضول :

ـ إيه دى يا خالو !؟

فأجبتها ببساطة :

ـ ده المستر توملين ..

ـ مستر إيه !؟

ـ توملين ..

ـ يعنى جايبها معاك للمستر توملين والا من المستر توملين !؟

ـ ولا كده ولا كده ... ده المستر توملين شخصيا ..

فنظرت إلى فى شك وقالت :

ـ مش فاهمة ..

حكيت لها حكاية « **مارجريت توملين** » وأبيها المرحوم المستر « نوملين » من البدايه حتى اللحظة التى نحن فيها الآن .. فقالت « فاطمه » وقد امتقع وجهها :

ـ يعنى عايز نقول إن حوا العلبة دى واحد راجل ميت !! ؟

ـ مش بالضبط . لكن واحد راجل مات وجثته أحرقت وده رماده ..

●

بعد أن أفاقت « **فاطمة** » من إغمائها كان قرارها ألا تبلغ الأسرة بعودتى إلى مصر فى الوقت الحالى حتى نتخلص من مسألة المرحوم المستر « نوملين » ، لأن فى الأسرة عددا من مرضى القلب الذين لن تتحمل قلوبهم قطعا مسألة التواجد فى مكان واحد مع رجل ميت منذ ١١ سنه وقابع فى علبة پلاستيك يطل عليهم من الرف العلوى للمكتبة ..

وظلت « **فاطمة** » بعد ذلك لمدة ١٢ يوما لا تقترب من غرفة مكتبى ولا تدخلها على الإطلاق ..

●

لما كانت هذه هى أول تجربة من نوعها فى حياتى ، أن أدفن رماد رجل ميت ، فقد رأيت أن أؤديها على أفضل وجه ممكن ..

ولما كان المرحوم « توملين » فى آخر عهده بالحياة إنجليزيا ،فقد قدرت أنه لابد كان مسيحيا ، فأردت أن تتم مراسم دفنه كرجل مسيحى .. ولابد فى هذه الحالة من الانصال بأحد القساوسة ليتولى إجراء هذه المراسم .. لا أعرف أحداً من القساوسة شخصيا ، لكن جيرانى المسيحيين فى العماره التى أسكنها كثيرون ، منهم واحد من أقرب أصدقائى إلى نفسى وأقدمهم فى الوقت نفسه ، فقد لعبنا لفريق كرة السلة بالنادى الأهلى ونحن تلامذة فى ثانوى ، المحاسب « سامى سلامة ميلاد » ، أحد مديرى البنك المركزى ، وشقته تحت شقتى مباشرة ..

جاء « سامى يزورنى فجلسنا - كالمعتاد دائما - فى غرفة مكتبى ، وحكيت له موضوع مستر « توملين » فاستوعبه « سامى » جيدا وهو مفتوح العينين على آخرهما وقلبه يدق بعنف حتى أكاد أسمع دقاته من مقعده المقابل لى على اتساع الغرفة .. وسألنى بصوت متهدج وأنفاس متحشرجة وهو يتلفت حوله بعينين زائغتين من فرط الرعب :

- والمرحوم مستر توملين فين دلوقتى !!

قلت ببساطة وأنا أشير إلى المكتبة وراء ظهره :

وراك آهه على الرف العلوى فى المكتبة ..

وقف « سامى » فى مكانه واقفا وهرع وهو يكاد يجرى إلى باب الشقة وهو يقول أنه سوف يتصل بالقسيس الذى يعرفه ثم يرد علىّ بعد ساعة .. وحين تأخر « سامى » فى الإتصال بى

إتصلت به أنا بعد عدة ساعات ، فرد علّى فى صوت خافت محتقن لا يكاد يبين بأنه قد تذكر أن القسيس الذى يعرفه قد مات منذ ٩ سنوات ولا يعرف قسيسا غيره .. وأضاف أنه - أى « سامى » - مسافر غدا صباحا بدرى إلى مرسى مطروح لمدة ٩٤ شهرا منتدبا لفرع البنك فيها .. فسألته مندهشا :

- هو البنك المركزى له فروع يا سامى !؟ أمال إسمه (المركزى) لبه ؟

لكن « **سامى** » وضع السماعة دون أن يرد ، ولم أره بعدها طوال تلك الأجازة !!

وجدت حلا : أن أتولىّ دفن رماد المرحوم مستر « توملين » ليس على أساس أنه المهندس الإنجليزى ، فلم تكن هذه هى وصيته ، وإنما على أساس حياته السابقة كمهندس مصرى من عصر الفراعنة .. ولما كانت الأديان لم تظهر بعد فى العصور الفرعونيه لمصر القديمة أيام بناة الأهرامات ، إذن فالمستر « توملين » لم يكن مسيحيا ولا مسلما فى حياته الأولى ، وبالتالى فنستطيع أن ندفن رماده فى احتفال ليس له صبغة دينية ..

وشرحت الموضوع لعدد من الأصدقاء واقترحت عليهم المشاركة ، بالحضور ، فى الاحتفال بدفن رماد المستر « توملين » فى سفح الهرم .. وفى الموعد المحدد لم يحضر من ١٢ صديقا وجهت إليهم الدعوة إلا ثلاثة أصدقاء فقط : إبنة أختى المحاسبة « فاطمة » بدافع الخوف من أن تبقى وحدها فى البيت حتى نعود ، ورجل القانون « محمد عبد العزيز الرفاعى » أستاذ القانون الدولى

بالكلية الحربية بدافع الفضول والإثارة ، والصحفى « حاتم نصر فريد » المحرر العلمى لمجلة أكتوبر المصرية بدافع الفضول العلمى إلى مشاهدة شكل الرماد المتخلف عن حرق إنسان ....

وتحرك الموكب الصغير فى سيارة واحدة فى طريقنا إلى الهرم ظهر يوم الجمعة ١١ يوليو .. وفى الطريق أفتى رجل القانون أنه بما أن المشاركين فى تشييع مستر « توملين » إلى مقره الأخير **جميعا** مسلمون ، وعلى اعتبار ان الأعمال بالنيات وأننا نعمل عملاً خيراً بتحقيق وصية وأمنية رجل ميت ، فحتى لو لم يكن هذا الرجل مسلماً فلا بأس من أن نصلى عليه قبل دفنه ونقرأ الفاتحة على روحه .. ووافقنا جميعا على ذلك ، فتوقفنا عند مسجد صغير تابع لجمعية تحسين الصحة تحت سفح الهرم مباشرة ، وأدينا صلاة الجمعة ثم قرأنا الفاتحة ووهبناها لروح المستر « توملين » .. ثم عاد الموكب يستكمل صعوده إلى سفح الهرم ، حيث اخترنا بقعة مناسبة تبدو من خلفها الأهرامات الثلاثة عن بعد ، حتى تظهر فى خلفية الصور التى رأيت أن نلتقطها أثناء دفن رماد المرحوم **« توملين » ، لكى أهديها إلى ابنته الوفية المخلصة المحبة لأبيها** ، دليلا على أننا قمنا بتنفيذ وصيته على الوجه الأكمل ، وحتى تحتفظ بهذه الصور ضمن التذكارات العائلية التي ستجلس فى ليالى شتاء لندن الباردة بعد عشرات السنين لتحكي لأحفادها كيف ساعدها الله على أن تحقق لأبيها أمنيته ووصيته الأخيرة بدفنه فى سفح الهرم الذى مات وهو يعتقد أنه ساهم فى بنائه ..

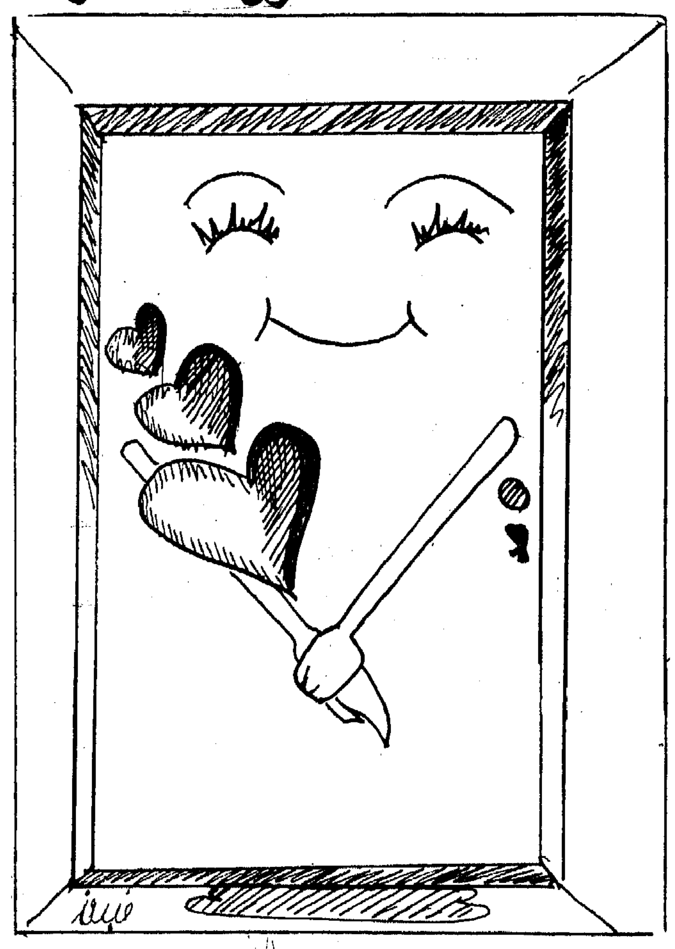
وحفرنا فى الرمال حفرة صغيرة وضعنا فيها رماد مستر « توملين » ، ثم أهلنا الرمال فوق الرماد ونحن نقرأ الفاتحة وعدداً

من قصار سور القرآن الكريم .. ورغم أن واحدا منا نحن الأربعة لم ير مستر « توملين » فى حياته ، إلا أننا شعرنا جميعا بأننا نودع صديقا عزيزا إلى مثواه الأخير ، و .. أجهشت « فاطمة » فجأة بالبكاء ، فبكينا جميعا ....

●

عدنا إلى بيتى بعد أن وارينا مستر « توملين » التراب - للمرة الثالثة فى « حياتيه » - وبمجرد دخولى إلى البيت رن جرس التليفون رنينا متواصلا دليلا على أنها مكالمة خارجية .. رفعت السماعة فأتانى صوت « مارجريت » تتكلم من لندن بصوت مختنق تقول لى : « كنت أشعر منذ أمس ليلا أنك سوف تقوم بدفن أبى اليوم بالذات » .. **قلت لها إننا عائدون لتونا الآن فى هذه اللحظة ، فقالت وهى تبكى جملة باللغة العربية تعلمتها منى : « الهمدو لله » ثم أضافت : « هل تعرف أن اليوم ، ١١ يوليو ، هو نفس اليوم الذى مات فيه أبى منذ ١١ سنة بالضبط » !!**

كولومبيا
پوينت ..
والحب من
أول نظرة !





واحدة من مشاكلى - وهى كثيرة - أننى إنسان متفائل بطبعى مستبشر بطبعى وسعيد بطبعى وقلبى ملىء بالحب للحياة وللدنيا ولكل شىء ، وأرى فى أى مصيبة تحدث مهما كان شكلها وحجمها - كالزواج مثلا - جانباً حسناً يضفى على الحياة بهجة وسعادة مهما كان وقت هذه السعادة قليلا - ٣ أيام قبل شهر العسل - لكنها سعادة وخلاص ..

فأنا أبدأ كل شىء بالحب لحين حدوث تغيير ما ، فألقى بالأمر كله وراء ظهرى وأنساه وأبدأ ألتفت حولى من جديد لكى أحب شيئا آخر أسعد به - أو بها - لفترة قد تطول وقد تقصر .. لكن الحب عندى يأتى أولا ، وثانيا ، وثالثا .. وإذا فاض مكان بعد ذلك فهو للحب أيضا .. طبيعى هكذا ، مولود هكذا ، ربنا خلقنى هكذا ، وأنا سعيد جدا بكونى هكذا ..

●

والحب فى قلبى ليس للبشر فقط ، لكننى أحب كل شىء حولى حتى لو كان « جماداً » ، وأجعل لكل شىء حولى ذكريات وحواديت وكأنها ذكريات قصة حب قديمة متجددة مستمرة .. وقد كنت وأنا صغير أحتفل بعيد ميلاد قطتى ، فلما كبرت شوية ، وفهمت ،

احتفلت بعيد ميلاد جارتى الحسناء التى أهدتنى تلك القطة .. ويبدو أن السنة وقتها كانت صغيرة جدا ، فقد كنا نحتفل بعيد ميلادها كل يوم خميس !!

●

● **ومن بين** « **الأشياء** » التى بينى وبينها قصة حب قديمة مستمرة منذ ١١ سنة حتى الآن : شقتى اللندنية .. واقرأوا ما كتبته فى مذكراتى يوم ١٧ فبراير الماضى :

● **شقتى فى مبنى [كولومبيا پوينت]** .. ما أسرع ما تمر الأيام ، والسنين .. اليوم مرت ١١ سنة على ذلك اليوم من عام ١٩٨٣ الذى رأيت فيه هذه الشقة لأول مرة ، فوقعت فى حبها من النظرة الأولى وهى على البلاط تماما .. لكن موقع الشقة وكونها فى الدور الـ ١٢ مثل شقتى فى القاهرة ، والمنظر الرائع شديد الروعة لمدينة لندن الذى تطل عليه الشقة فترى [پانوراما] عريضه رائعة للندن بكل معالمها الشهيرة ، إبتداء من نهر « التيمس » وكوبرى « تاور بريدج » وكاندرائية « سانت پول » وساعة الـ « بج بن » الشهيرة نفسها ، وأيضا المنظر الخلفى الذى تطل عليه العمارة بالبحيرة الصناعية الكبيرة الرائعه والغدير الطويل الذى يصل بين البحيرة ونهر « التيمس » ، وناطحة السحاب الوحيدة فى أوروپا كلها « كنارى وورف » التى هى على مرمى البصر تبهج النظر بالنهار بتصميمها الهندسى المعمارى البديع ، وتتلألأ أضواؤها شامخة في الليل .. والـ [**شوپنج سنتر**] الكبير الفاخر الرائع الشيك جدا الأنيق جدا الذى تطل عليه الشقة من نوافذها الخلفية على بعد دقيقة واحدة سيرا على الأقدام ،

وحديقة [ساذرك پارك] الكبيرة الواسعة جدا التى هى ثالث أكبر حديقة فى لندن كلها من ناحية المساحة ، بعد حديقتى [هايد پارك] و [ريچنت بارك] ..

●

و - **أهم من ذلك كله** - أن الشقة ليست فقط تنسيقا من الداخل تفى باحتياجاتى تماما : غرفة نوم واسعة كبيرة وغرفة معيشة أوسع وأكبر وغرفة مكتب صغيرة محندقة ، لكنها أيضا رخيصة جدا فى إيجارها الذى يعتبر ملاليم بالنسبة إلى إيجارات الشقق فى مدينة لندن عاصمة إنجلترا .. فقد بدأتها بـ ٢٣ جنيها فى الأسبوع ، زادت فى خلال ١١ سنة إلى ٥٤ جنيها فقط ، وهو مبلغ لا يستأجر غرفة واحدة تحت السلم فى بيت متواضع فى حى شعبى من أحياء لندن الفقيرة ، بينما شقتى فى عمارة فاخرة فى واحد من أرقى وأهدأ أحياء لندن الذى يشبه حى المعادى زمان فى القاهرة أيام كانت المعادى معادى ولم تكن قد تحولت إلى حى شعبى كعابدين والسيدة عائشة والقلعة والمغربلين كما هى الآن ..

●

وقد بلغ من حبى لشقتى هذه أننى ، رغم عادة سيئة فى هى أننى لا أحب أن « أتملك » أى شىء - إلا الكتب والتليفونات والكاميرات وألبومات الصور وأفلام الفيديو « **المؤدبة** » - أننى بعد مرور ٣ سنوات على سكناى فيها تملكت هذه الشقة ودفعت فيها ثمنا لا يشترى غرفة واحدة فى حوارى شارع الملك فيصل الآن .. ذلك لأن نظام الإسكان فى إنجلترا يجعلك تشترى الشقة إذا سكنتها لمدة ٣ سنوات فأكثر أن تدفع ثلثى ثمنها فقط ، وكلما زادت المدة التى سكنت فيها الشقة تدفع فيها ثمنا أقل .. وفى خلال الـ ٨ سنوات

التى مضت مند اشتريتها ارتفع سعرها فى السوق إلى ١١ ضعف المبلغ الذى دفعته فيها .. الأهم من ذلك أيضا ـ وكلها أشياء « أهم » من بعضها ـ أننى تسلمتها على البلاط تماما ثم أثثتها وفرشتها على مزاج مزاج مزاجى قطعة قطعة وسنتى سنتى ومللى مللى ، حتى أصبحت بهجة ومتعة لى أن أقضى يوما كاملا فيها دون أن أحتاج إلى الخروج منها . وحتى أصبحت هى الشىء الوحيد الذى أفتقده فى لندن ـ بعد الأميرة « دايانا » طبعا – خلال غيابى عن لندن فى مصر أو فى مهمة صحفية .. وإذا غبت عنها أياما قليلة فإننى أعود إليها بلهفة واشتياق كما لو أننى عائد إلى أمى مثلا – الله يرحمها – ولا أستطيع أن أقول وكأننى عائد إلى زوجتى لأننى – أولا – لست متزوجا ، و – ثانيا – لأنه لا أحد يشتاق إلى زوجته بعد الأسبوع الأول من الزواج ، وأنا أشتاق إلى شقتى اللندنية بعد ١١ سنة من كونها « على ذمتى » !!

وكل سنة وأنا طيب ..

هـــاللـــو
يـــااللـــى
فـــوق !!





عندنا فى مصر شيخ الأزهر هو أكبر منصب دينى بالنسبة للإسلام .. والأزهر هو أزهر واحد وليس هناك أى جامع آخر يستطيع أن يقول أنه يلى الأزهر فى الأهمية وبالتالى يكون شيخ هذا الجامع هو الشيخ التالى فى الأهمية بعد شيخ الأزهر ..

الوضع فى إنجلترا مختلف .. والكلام عن الكنسة الإنجليزية طبعا فهم ليس عندهم [أزهر] .. الملكة « إلبزابيث » هى رئيسة الكنيسة الإنجليزية بحكم وضعها [الملكى] .. لأن [الملكة] أو [الملك] فى إنجلترا هو رئيس الكنيسة الإنجليزية التى ابتدعها الملك المزواج « هنرى الثامن » على مزاجه لكى تكون له كنيسه الخاصة التى تنفذ له كل رغباته ونزواته بعيدا عن سلطان وسلطات الفاتيكان وبابا الفاتيكان ..

لكن الرئاسة الاسمية للملكة « إليزابيث » للكنيسه لا يعنى أن الملكة تستطيع أو من حقها أن تفتى فى الشئون الدينية .. إنما المنصب فى الكنيسة الإنجليرية الذى يعادل منصب شيخ الأزهر عندنا هو منصب [اسقف كنتربرى] .. والذى يشغل هذا المنصب يظل يشغله حتى يموت أو حتى يتقاعد هو برغبته ومن تلقاء نفسه ، لكنه لا يحال إلى المعاش مهما بلغت سنه ما دام قادرا ، ويريد أن

يظل فى موقعه .. لا الملكة ولا رئيس الوزراء يستطيع واحد منهما أن يحيل الأسقف إلى المعاش ..

●

لكن هناك [**أسقفاً**] آخر فى إنجلترا يعتبر التالى فى الأهمية بعد [أسقف كنتربرى] ، هو [أسقف كنيسة دارام] .. ليس وكيلا ولا نائبا لأسقف [كنتربرى] ، لكنه أسقف وحده يفعل ما يشاء ويفتى بما يشاء دون أن تكون عليه سلطه أو رئاسة - أو رقابة - من [أسقف كنتربرى] .. بل إنه يكاد يكون معادلاً لأسقف [كنتربرى] فى كل شىء .. فأسقف [كنتربرى] يلقى كلمة للعالم المسيحى الإنجليزى فى الكريسماس أو عيد ميلاد المسيح تذاع فى كل أجهزة الإعلام : الصحافه والراديو والتليفزيون .. وأسقف [دارام] يفعل نفس الشىء تماما ..

●

لكن فى السنوات الأخيرة اصبح دكتور « ديفيد چينكينز » أسقف [دارام] مصدر إزعاج وقلق كبيرين للكنيسة **الإنجليزية** ، وفى الوقت نفسه مصدر سعادة وسرور لأجهزة الإعلام الإنجليزية اللى عايزة جنازة وتشبع فيها لطم .. فأصبحت تجرى وراء أسقف [دارام] فى كل مناسبة دينية لتشاكسه وتنكشه حتى تستخرج منه فتوى جديده فى أمور المسيحية .. وهو من ناحيته لا يتأخر ولا يقصر ، فهو كل سنه يطلع بفتوى جديدة تلبش الكنيسة الإنجليزية وتفرد لها أجهزة الإعلام الإنجليزية صفحاتها الأولى وقنواتها وموجاتها .. وله فى كل كريسماس حدوتة جديدة أسقف [دارام] النشيط دكتور « چينكينز » هذا ..

فى عيد الكريسماس منذ ٣ سنوات أفتى أسقف [دارام] بأنه

غير صحيح أن المسيح بعد صلبه قد صعد إلى السماء ثم عاد مرة أخرى إلى الأرض لعدة أيام رآه خلالها عدد من حوارييه ومن شعبه المسيحى .. وقال إن المسيح مات وخلاص ، لم يصعد ولم ينزل ، لكنه مات وانتهى ومفيش حاجة إسمها رجع تانى .. مات وخلاص .. فاهمين !؟

وفى الكريسماس التالى عاد أسقف [دارام] ليزيد فتواه السابقة وضوحاً وتأكيداً .. فأفتى هذه المرة بأن المسيح كان رجلاً عادياً مثله مثل أى رجل فى الدنيا ، ولم يكن لا الله نفسه ولا إبن الله ولا روح قدس ولا حاجة .. رجل عادى نزل إليه تكليف بأن يكون رسولاً للسلام والخير فى الأرض .. وقد كان .. لكنه رجل عادى مثلى ومثلك ومثل أى رجل آخر .. فاهمين !؟

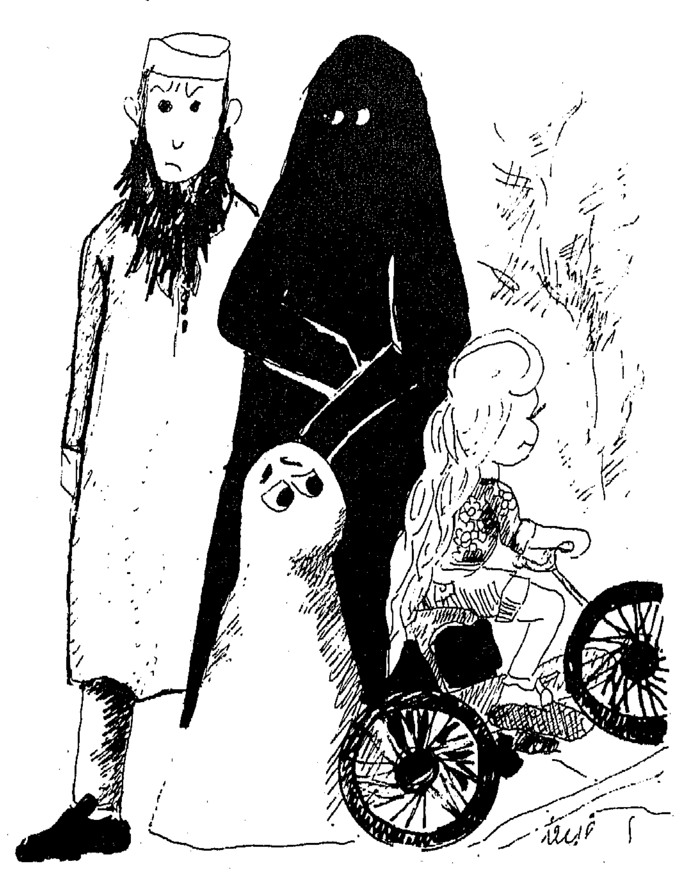
ويجرى الصحفيون إلى أسقف [كنتربرى] - رئيس الكنيسة الرسمى - يسألونه عما يقوله أسقف [دارام] .. فيقول لهم أسقف [كنتربرى] إن أسقف [دارام] رجل دين مثله تماما وهو يعرف ما يقوله ومسئول عن كلامه ، فإذا كان يرى ذلك فهو رأيه الشخصى وهو حر فيه » !! - [وفى الحقيقة أن أسقف « دارام » كان أكبر سناً من أسقف « كنتربرى »] ..

وفى الكريسماس الماضى فجر أسقف [دارام] قنبلته الأخيرة : مريم حملت فى المسيح بطريقة طبيعية تماما نتيجة معاشرة جنسية طبيعية تماما مع رجل .. وبالتالى فهى لم تعد عذراء ولا يجب أن نظل نقول عنها حتى الآن « العذراء مريم » أو « السيدة العذراء » لأنه لا يمكن أن تكون « سيدة » و « عذراء »

فى نفس الوقت ، وليس حتى منطقيا أن تحمل وتلد ثم تظل عذراء !!

أسقف [دارام] العجوز دكتور « چينكينز » - ٦٩ سنة - يعتزل منصبه فى شهر يوليو ويعود إلى بيته ليقضي سنواته الأخيرة .. وتتنفس الكنيسة الإنجليزية الصعداء أخيراً بعد أن خلصت من الأسقف المشاكس وفتاواه التى تثير المشاكل .. حتى أن **جريدة الـ [صن]** - (THE SUN) - **التى توزع خمسة ملايين نسخة** يوميا فى انجلترا وحدها ، نشرت صورة ظريفة جدا لأسقف [**كنتربرى**] وهو يتجه بوجهه إلى السماء ويضع يده إلى جوار فمه وكأنه ينادى ، **وكتبت تحتها تعليقا معناه أن أسقف** [**كنتربرى**] **يعتذر** « **للى فوق** » **عن فتاوى أسقف** [**دارام**] **القديم** ، **ويبشره بأن أسقف** [دارام] **الجديد** « **مايكل تورنبول** » **يؤمن بالله** » !!

٤٢ مطـــــارا
و٨٨ ميـــناء ..
والبــاب يفــوت
١٠٠٠ جمــل !!





الذى يهاجر من وطنه إلى بلد آخر ، فهو لا يذهب إلى ذلك البلد غازياً ولا فاتحاً ولا منتصرا لكى يفرض شروطه ورغباته ومزاجه الخاص على البلد الذى يهاجر إليه ، بل إن العكس هو الصحيح ..

فالإنسان يهاجر من وطنه إذا لم يجد فيه سبل الحياة ميسرة ، إذا لم يجد عملا يناسب مؤهلاته وإمكانياته ، أو إذا لم يجد عملا على الإطلاق ، أو إذا كان بلده فقيراً جداً والأفواه فيه كثيرة جداً والأقوات شحيحة .. وهناك بلاد كثيرة ينطبق عليها هذا الوصف ، خصوصا فى إفريقيا وأغلب دول آسيا ومعظم دول شبه القارة الهندية وأمريكا اللاتينية .. ولو نظرنا إلى المهاجرين من أوطانهم إلى أوطان أخرى فسنجد أن ٩٩ ٪ منهم كانوا تحت مستوى حد الفقر فى بلادهم وكانت الهجرة إلى وطن آخر ممكن أن يجدوا فيه لقمة عيش ، أفضل من الموت جوعاً ومرضاً فى أوطانهم الأصلية .. والـ ١ ٪ **الباقون** هم الذين نستطيع أن نصنفهم تحت بند [الباحثين عن فرصة عمل أفضل] ، مثل الدكاترة والمهندسين والصحفيين والعلماء عموما .. وهؤلاء غالبا قد طفشوا من أوطانهم

الأصلية بعد أن نكد عليهم فيها الموظفون الإداريون البيروقراطيون المتمترسون وراء مكاتبهم يعطلون المراكب السايرة ويلعبكون الأمور ، **أعضاء [إدارة مكافحة المواهب] و [الادارة العامة للتعقيدات]** .. وقد حكى الدكتور « مجدى يعقوب » أنه طفش من مصر لهذا السبب بالذات ، وفى بريطانيا التى هاجر إليها أنعمت عليه الملكة « إليزابيث » بلقب [سير] ، وهو لقب لو تعلمون عظيم .. وحكى الدكتور « **فاروق الباز** » أنه أيضاً قد هاجر من مصر لنفس السبب ، وفى أمريكا استطاع أن يكون واحدا من أبرز وألمع علماء الفضاء ..

لكن الباقين من المهاجرين ليسوا « يعقوب » أو « باز » .. بل معظمهم كانوا مش لاقين ياكلوا فى أوطانهم الأصليه .. وبمجرد أن يستقر بهم المقام فى أوطانهم الجديدة ويجدون عملا ويجدون سقفاً ويجدون ٣ وجبات كل يوم ، فهم يبدأون فورا فى التمردة والتبطروتصوروا انهم جاءوا إلى هذا الوطن الجديد لكى يصلحوا من شأنه ويجعلونه مثل وطنهم الذى هاجروا منه (!!) فاذا كانوا بوذيين ـ مثلا ـ فإنك تقابل المسيرات البوذية تدق الطبول فى شوارع لندن كل يوم ، يدعون للديانة التى جاءوا بها معهم من وطنهم القديم ، وإذا كانوا يهوداً تعاملوا مع أهل الوطن الجديد باحتقار وتعال وحاولوا أن يسيطروا عليه من الداخل ، وإذا كانوا مسلمين ملأوا الدنيا ضوضاء وكفروا كل الناس وحاولوا أن يرغموا النساء والبنات الإنجليزيات على الحجاب والنقاب والرجال الإنجليز على إطلاق الذقون على الصدور ولبس الجلاليب البيضاء والصنادل ، وجادلوا ولجوا مع أجهزة الدولة طالبين السماح بإذاعة

الأذان للصلاة من مكبرات الصوت خمس مرات فى اليوم من عشرات المساجد الصغيرة والزوايا التى ينتشرونها فى كل مكان .. فإذا قيل لهم أن إنجلترا دولة مسيحيه ومع ذلك فغير مسموح لكنائسها بإذاعة التراتيل عبر مكبرات الصوت ، فاوحوا واتراذلوا وقالوا : لأن المسيحية ليس فيها آذان للصلاة ، لكن الإسلام فيه » !! .. وحين حدثت أزمه الكاتب « سلمان رشدى » الشهيرة بسبب روايته - الرائعة - [آيات شيطانيه] صرح واحد من كبار المتحدثين باسم الاسلام فى بريطانيا لصحيفة الـ [دايلى ميرور] بأنه لو قابل « سلمان رشدى » فى الشارع فسوف يطلق عليه النار !! هكذا .. فكان نتيجة ذلك أنه فى اليوم التالى مباشرة أدلى وزير الداخلية الإنجليزى بحديث إلى نفس الصحيفه قال فيه أن على المسلمين الذين يعيشون بيننا فى بريطانيا أن يفهموا جيدا أنهم ضيوف عندنا فى بلدنا ، وأن قانوننا نحن الذى يسرى على الجميع يسرى عليهم هم أيضا .. فإذا لم يعجبهم ذلك فبريطانيا جزيرة صحيح لكن فيها ٤٢ مطاراً و ٨٨ ميناء والباب يفوت ١٠٠٠ جمل ، فليتفضلوا مع ألف سلامة يعودوا الى بلادهم التى جاءوا منها يتنطوا فيها هناك زى ما هم عايزين .. هذه هى آخر مرة أسمع فيها هلوسة وجعجعة من هذا النوع .. وفى أى مرة أخرى أسمع فيها مثل هذه الهلوسة سأضع صاحبها على أول طائره تغادر مطارات إنجلترا فجراً .. فاهمين » !؟ .. فانخرسوا جميعا ولم يظهر لهم صوت بعد ذلك ..

كل هذه المقدمة كتبتها بسبب خبر أذاعه التليفزيون الإنجليزى اليوم ـ ٥ رمضان ـ .. قال الخبر أن صاحب عمل فى مدينة [ليدز] الإنجليزية قد رفد من مصنعه ١٣ عاملا مسلما آسيويا ـ هنودا وباكستانيين وبنجلاديشس وأفغان ـ لانهم أصرو على أن يحصلوا على أجازة فى أول يوم من شهر رمضان باعتبار أنه [عيد دينى] عندهم ، وحين رفض صاحب العمل أن يعطيهم أجازة فى ذلك اليوم لم يذهبوا جميعا إلى العمل يوم أول رمضان ووضعوا صاحب العمل أمام الأمر الواقع ، فرفدهم صاحب العمل فورا .. وكان مبرره فى ذلك الرفد الفورى هو أن غياب ١٣ عاملا مرة واحدة عن العمل أضر بالعمل وعطل الإنتاج وجعله يخسر فى ذلك اليوم بدلا من أن يكسب ، وهو يدفع لهم أجورهم عن الإنتاج وليس عن « عدم الإنتاج » ، كما أنه لو كان قد سمح لهم بأجازة فى ذلك اليوم باعتباره [عيداً دينياً] لفتح على نفسه فتحة لا أول لها ولا آخر ، لأنه ـ أولا ـ نعرف أن أعياد المسلمين الدينية كثيره جدا ، وثانيا لأنه لو سمح بذلك اليوم فسيكون قد سمح بالمبدأ نفسه وسوف يصبح حصولهم على أجازة فى كل عيد دينى لهم كمسلمين حقا مكتسبا لا يستطيع الإعتراض عليه مادام قد وافق عليه أول مرة ، وثالثا أن زملاءهم من العمال المسيحيين واليهود والبوذيين والصينيين واليابانيين وأصحاب ١٢٠ ديانة أخرى سوف يطالبون بأن يعاملوا بالمثل وان يحصلوا على أجازات فى أعيادهم الدينية هم أيضا .. وذلك المبدأ ليس معمولا به فى أى مكان فى العالم ، لأنه لا دخل للدين بالعمل ، ورابعا ـ وهو أهم ما استند إليه صاحب العمل فى قراره برفدهم ودافع به أمام المحكمة ـ هو أن [أول

رمضان] لا يعتبر عبدا دينيًا يحصل فيه المسلمون على أجازة فى أى بلد عربى أو إسلامى .. **فكيف يريد هؤلاء العمال المسلمون أن يحصلوا على أجازة وهم يعملون فى بلد مسيحى ، لا يحصلون عليها حين يعملون فى بلدهم الإسلامى !؟**

هل عرفتم - والسؤال للقراء - لماذا يكره الغرب المسلمين !؟

أصبحت مليونيرا بسبب مقال نشرته ..!





يصلنى فى غربتى فى لندن من أصدقائى فى مصر ما بين ٢٠ ـ ٢٥ رسالة كل شهر .. فأنا رجل كثير الأصدقاء كثير المعارف ، وبينى وبين الأصدقاء خيوط وخطوط مودة لا تنقطع إلا بانتقال واحد منهم إلى رحمة الله ، أو إلى رحمة واحدة ست ، كأن يتزوج مثلا فتصبح عنده همومه الخاصة التى تمنعه عن الإتصال بأى حد إلا بمحررى أبواب مشاكل القراء فى الصحف ، ثم بالمحامين الشرعيين بعد ذلك فى مرحلة لاحقة ..

بعض الأصدقاء يكتب لى مرتين فى الشهر ، وبعضهم يكتب لى ٧ ـ ٨ مرات فى السنة كلما إتسع وقته وسمحت ظروفه .. وأنا أرد على كل رسائل الأصدقاء والمعارف ـ والقراء ـ التى تصلنى فى لندن ، وأجد فى ذلك متعتين : متعة أن الأصدقاء فى مصر لا ينسونى رغم البعد ، ومتعة أن أخبار مصر تجد طريقها إلىّ دائما عبر هذه الخطابات والرسائل ..

●

فى شهر ديسمبر الماضى لاحظت ملاحظة غريبة .. فقد قفز بريدى من القاهرة ، ولنقل من مصر ، من ٢٠ ـ ٢٥ رساله فى

الشهر إلى - فجأة - ما يقرب من ٣٠٠ رسالة .. معظمها من أصدقاء إختفوا من حياتى منذ سنوات بعيدة ، ومعارف درجة رابعة ، بعنى أن العلاقة بيننا لم نزد فى بوم من الأيام عن : « أهلا ، إزيك ، إزى الصحة والأحوال ، سلامو علبكم » .. ومن أقارب لم يزورونى فى بيتى مرة واحدة من قبل ، بل وأكاد أعرف أنهم أقارب [**سماعى**] ، يعنى أسمع أن تفيدة بنت بنت بنت خاله عمة جده أمى ، عندها ولد إسمه « **محمد** » ، فيكتب لى « محمد تفيدة » هذا فى شهر ديسمبر الماضى خطابا كله موده وحب وحرص على اسمرار وتأكيد « الروابط والأواصر العائلية » - التى عمرها ما كانت موجودة أصلا - ويلح فى أن أتصل بهم فى رقم تليفون البقال اللى تحت بيتهم بمجرد وصولى إلى مصر ، حتى يحضروا جميعاً رجالاً ونساءً وأطفالاً وعيالاً لزيارة قريبهم العزيز المهم - اللى هو أنا - « بعد فترة طويلة لم يرونى فيها » ، وهم لم يرونى طول عمرهم ولم أرهم فى حياتى!

●

فجأة وجدتنى قد أصبحت مهماً عند ناس كثيرين لم أكن من قبل مهماً عندهم ، وفجأة تذكرنى كل الأصدقاء القدامى الذين كانوا قد شطبوا إسمى من نوتة تليفوناتهم بمجرد هجرتى من مصر - وكأنهم ما صدقوا خلصوا منى .. وفجأة تذكرنى الـ ١٨٩ واحدا الذين تخرجوا معى فى نفس دفعتى ، فكتبوا لى - بعد أن حصلوا على عنوانى فى لندن ما اعرفش منين - يعتذرون عن عدم كتابتهم لى قبل ذلك خلال الـ ٤٠ سنة الماضية منذ تخرجنا بأن « الدنيا تلاهى والظروف الصعبة ومشاغل الحياة » ويعدون - كل منهم على حدة - بأنهم من الآن فصاعدا سوف يظلون على اتصال دائم بى

وسيسعدهم أن يحتفوا بى ويعزمونى فى بيوتهم عند عودتى إلى مصر فى أجازتى القادمة .. وبكتب لى كل واحد منهم ١٠ أرقام تليفونات فى مكتبه وفى بيته وبيوت الجيران والأهل والأقارب حتى لا يكون لى أى عذر فى عدم الاتصال بى عند عودتى إلى مصر فى المرة القادمة !!

إيه الحكاية بالضبط !؟ ده أنا لو مت مش حايمشى فى جنازتى إلا ١٠ أو ١٥ صديقا على الأكثر ، وسوف يفرح أقاربى وأهلى فى مصر حين يقرأون أسماءهم مطبوعة فى النعى الذى سينشر عنى فى جريدة الأهرام - الذى دفعت ثمنه مقدما من جيبى الشخصى فى العام الماضى - لكن أحدا منهم لن يكلف نفسه عناء الذهاب إلى جامع عمر مكرم بالليل لتقبل العزاء فىَّ ، مدعيا - وعلى رأسهم شقيقى الأكبر منى - بأنه يعرفنى مجرد معرفة سطحية وأنه لم يرنى طول حياته منذ أن ولدنا - فى ستين سنة مثالبين - غير مرة واحدة أو مرتين .. وسوف تستأجر أسرتى فى مصر صف كراسى واحد **على باب جامع عمر مكرم من الخارج لكى يستقبلوا فيه المعزين ،** وسوف يعملون [قُرعة] على الواحد الذى **سيتحمل** عبء الذهاب إلى عمر مكرم ليلا لتسقبل المعزين ، وغالبا سوف يحجز هذا الواحد له ولزوجته - إن وجدت - تذكرتين فى سينما قصر النيل لكى يحضرا حفلة السوارية من ٩ لـ ١٢ بعد انتهاء العزاء ، الذى قطعا لن يستمر أكثر من نصف وصلة من المقرئ الذى سوف يختم بـ « صدق الله العظيم » وهو فى منتصف السورة التى يقرأها حتى ولو كانت [قل هو الله أحد] ويلم جيبه ويمشى بعد أن يجد

أنه يقرأ لنفسه .ولا أحد يستمع إليه فى صف الكراسى ولا حتى الكراسى نفسها ..

ما الذى جعلنى فجأة مهماً إلى هذا الحد !؟ ٣٠٠ رسالة فى شهر واحد !؟ ليه !؟ ما الذى جد !؟ ما الذى حدث !؟ إلا إذا كانت الناس فى مصر إتجننت ومش لاقيين حاجة يعملوها فكتبوا إلىّ من باب التسلية وإزجاء وقت الفراغ ، ولكن .. ثمانين قرشا ثمن طابع البريد على كل خطاب إلىّ فى لندن هى قطعا تضحية كبيره لا يقدم عليها إلا من فى نفسه غرض أو فى قلبه هوى .. فايه الحكاية بالضبط !؟

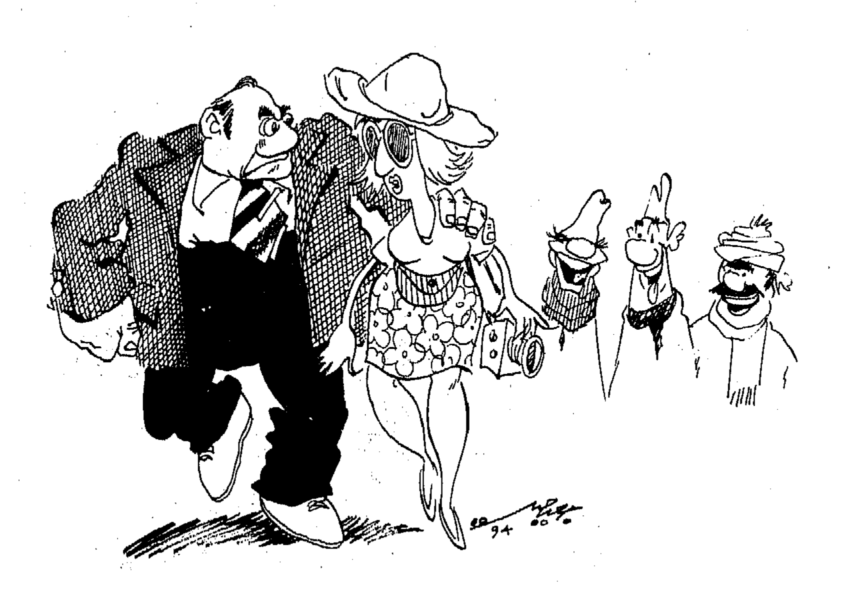
●

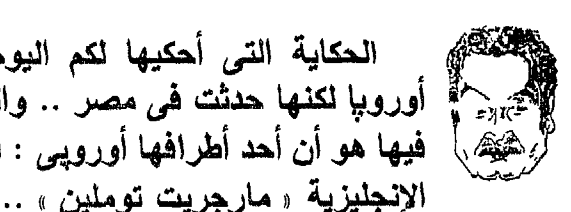
وحين حيرتنى هذه المسألة طويلا ، فضفضت بها إلى صديقى الأثير القريب إلى نفسى ، الصحفى المصرى « أنيس الجوهرى جارى فى السكن فى لندن ، والذى نلتقى كل يوم تقريبا طيلة ال ١٤ سنة الماضية طالما أنا فى لندن .. فضحك « أنيس » طويلا وقال لى : « كنت أظنك نبيها وستفهم هذا الذى جد بعد قراءتك لأول خطاب » .. قلت له مندهشا : « معلش ، المرة دى طلعت مش نبيه ، فنبهنى أنت » .. فقال : « إنه ذلك المقال الذى نشرته فى شهر نوفمبر الماضى ، الذى حكيت فيه عن ذلك الشاب المصرى المهاجر إلى لندن الذى كان عطوفا على جارته الإنجليزية العجوز مسز « إيفيلين دينهى » ، فكتبت السيدة العجوز فى وصيتها كل ثروتها له ، فأصبح الآن مليونيرا يمتلك ٧٥ مليون جنيه مصرى .. فيبدو أن القراء قد تصوروا بعد قراءة المقال أنك أنت شخصيا هذا الشاب المحظوظ الذى أصبح فى يوم وليلة مليونيرا .. فكتب اليك

٣٠٠ من الأهل والأصدقاء والمعارف يذكرونك بأنفسهم علشان ينوبهم من الطيب نصيب .. وبالمناسبة - [**وأخرج « أنيس » من جيبه مظروفا مغلقا عليه اسمى وعنوانى اللندنى ، وناوله لى] - فخذ هذا الخطاب منى أنا شخصيا لكى يصبحوا ٣٠١ .. وقد فضلت أن أسلمه لك باليد حتى أوفر ثمن طابع البريد » !!**

دمياطى « أنيس » ، وحا يفضل طول عمره دمياطى !!

هـل السفـر إلـى الإسكنـدريـة حـرام شـرعـاً !؟





الحكاية التى أحكيها لكم اليوم لم تحدث فى أوروبا لكنها حدثت فى مصر .. والشيء الأوروبى فيها هو أن أحد أطرافها أوروبى : الفنانة التشكيلية الإنجليزية « مارجريت توملين » ..

« **مارجريت توملين** » صديقة إنجليزية حميمة قديمة عرفتها فى أمريكا حين تجاورنا فى السكن خلال الفترة التى عمل فيها كل منا فى أمريكا ، ثم توطدت صلتنا أكثر بعد أن إنتقل كل منا للعمل فى إنجلترا .. وللدقة فأنا (إنتقلت) للعمل فى إنجلترا ، وهى (عادت) إلى وطنها إنجلترا بعد سنوات طويلة من الإغتراب بين أستراليا وسويسرا وإيطاليا وأمريكا ..

●

فى صيف عام ١٩٩٠ دعوت « مارجريت توملين » لتقضى شهرا فى ضيافتى فى مصر .. ولم تكن دعوتى لها خالصة لوجه الصداقة القديمة والإعزاز والمودة التى أكنها لها ، لكن كانت دعوتى بغرض أن أكتب عن إنطباعاتها عن مصر وعن المصريين وعن الحياة المصرية خلال هذه الزيارة .. وبالفعل نشرت عددا من الموضوعات عن زيارة « مارجريت » لمصر فى مجلة (نصف الدنيا) بعنوان (مذكرات سائح مصرى فى مصر) ، ثم نشرت

كاملة فى كتاب بنفس العنوان صدر فى سلسلة (إقرأ) فى العام التالى ..

لكن الحكاية التى أحكيها لكم اليوم لم تنشر لا فى الحلقات التى نشرت فى مجلة (نصف الدنيا) ، ولم تنشر أيضا فى الكتاب الذى صدر فى سلسلة (إقرأ) .. لماذا !؟ هذه قصة أخرى سأحكيها لكم فى فصل قادم .. لأنها بالفعل قصة تستحق أن تروى ..

وإليكم الآن حكاية اليوم ، نقلا عن دفتر يومياتى وقتها :

• الإثنين ٩ يوليو ١٩٩٠ •

وجاء يوم السفر إلى الإسكندرية .. وكانت بدايته سيئة .. سيئة جدا .. كانت « مارجريت » معى أول أمس حين ذهبت إلى محطة السكة الحديد الرئيسية فى ميدان رمسيس فى القاهرة ، لأحجز تذاكر فى القطار التربينى لنسافر اليوم - الإثنين - إلى الإسكندرية .. حين وصلنا إلى شباك التذاكر وجدنا الشباك مفتوحا وطابورا طويلا ينتظر أمامه ، لكن الموظف لم يكن فى الشباك .. وحين طالت وقفتنا ربع ساعة دون أن يظهر الموظف سألت أنا : « فين الموظف اللى فى الشباك !؟ » .. فأشار لى بعض الواقفين فى الطابور إليه واقفا فى ركن الغرفة : بيصلى الظهر !! .. وسألتنى « مارجريت » عما يحدث فذكرته لها .. فذلك هو الغرض من رحلتها بالضبط : أن ترى كل ما يمكن أن يراه السائح العادى ويصادفه ويتعامل معه ، ويعلق عليه .. إتشالت « مارجريت » واتهبدت : « بيصلى !؟ الآن !؟ فى ذروة وقت العمل ؟! الناس فى أوروبا تذهب إلى الكنيسة فى يوم أجازتها ، يوم الأحد .. وأنتم هنا أجازتكم

يوم الجمعة ، واللى عايز يصلى يصلى فى يوم أجازته .. لكننى لا أتصور أبداً أن موظفا يترك مكتبه ويترك عمله ويترك الناس ملطوعة فى انتظاره ، لكى يصلى .. إننا واقفان هنا منذ ربع ساعة وهو لسه بيصلى ولم ينته بعد ، فهل يفعل ذلك ٥ مرات فى اليوم أيضا !؟ وهل الدولة تدفع له أجر هذا الوقت الذى يستقطعه من ساعات عمله ليصلى فيه أم تخصم من مرتبه قيمة هذا الوقت !؟ .. أراهنك على أنها لو كانت تخصم منه دقيقة واحدة من مرتبه لكان قد أجل الصلاة إلى أجازته السنوية وليس إلى يوم الجمعة فقط .. المفروض أن يصلى فى وقته هو وليس على حساب وقت الناس .. وإذا لم تعاقبه الدولة التى تستخدمه لكى يؤدى عمله على أكمل وجه ، فهل يظن أن الله سوف يقبل منه صلاته هذه وهو يعطل مصالح الناس هكذا !؟ .. لقد قرأت فيما قرأت عن الإسلام أن (العمل عبادة) ، فهل العمل فى شباك تذاكر السكة الحديد بالذات مستثنى من ذلك !؟ أو لعل السفر إلى الإسكندرية حرام شرعاً لذا يحاول موظف الشباك أن يضع فى سبيله العقبات لكى يصرف الناس عنه ، من باب الجهاد فى سبيل الله !!

●

وجاء أخيرا موظف الشباك ، وحجزنا التذاكر وانصرفنا دون أن أتكلم معه كلمة واحدة .. أولا لأن رئيسه يجلس فى نفس الغرفة ويرى ما يحدث أمامه ولا يحرك ساكنا .. إذن فالذى يسأل ويحاسب عن ذلك هو رئيسه قبل أن يحاسب الموظف نفسه . وثانيا لأننى أعمل هذا الموضوع كسائح وليس كصحفى .. والسائح

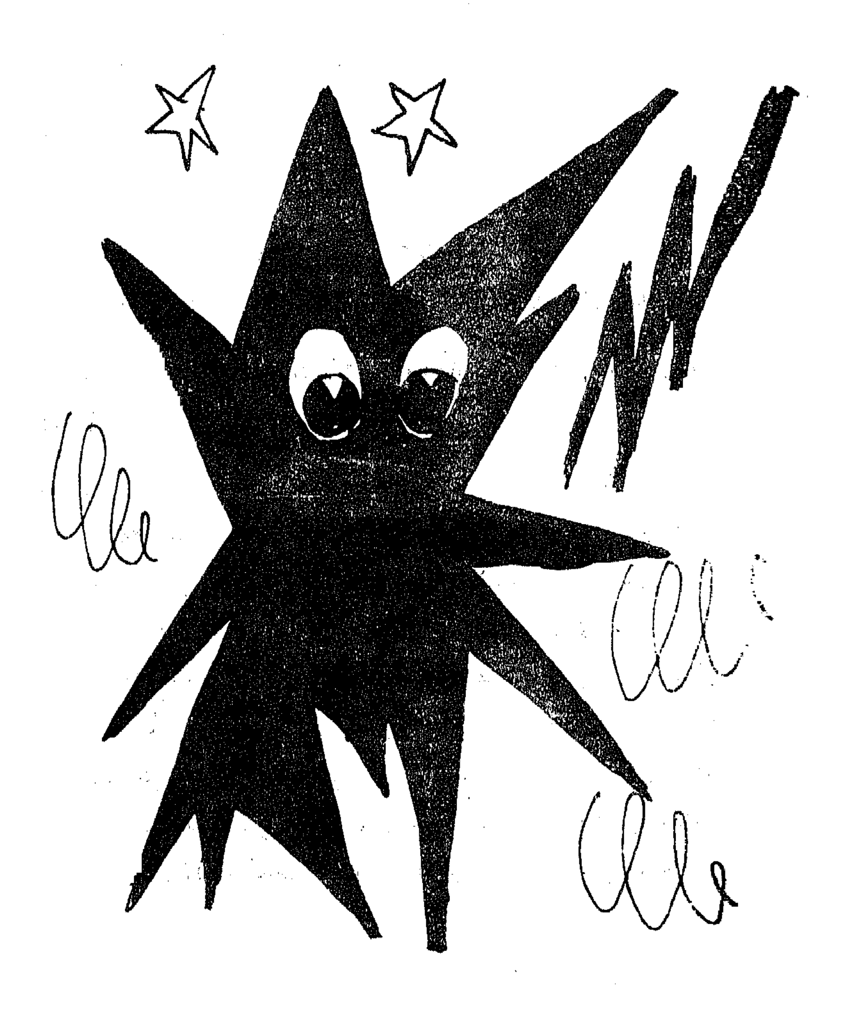
يرى ويشاهد ويتألم لكنه يسكت ويلم لسانه ، لأنه غريب وأجنبى عن البلد ويخشى البهدلة لو فتح فمه بكلمة .. كما أنه ليس مكلفا بإصلاح الكون المصرى .. لكن المؤكد أنه سوف ينقل أى صورة سيئة يراها إلى كل أسرته وأهله وأصدقائه عندما يعود إلى وطنه ..

●

وما حدث بعد ذلك كان ألعن .. فاليوم وأنا أضع التذاكر فى الشنطة التى سآخذها معى إلى الإسكندرية إكتشفت أن فضيلة مولانا موظف الشباك التقى الورع المصلى الذى يريد أن يدخل الجنة على حسابى وعلى حساب بقية المواطنين الذين كانوا واقفين فى الطابور ينتظرون حتى ينتهى فضيلته من صلاته ولم يصطفوا للصلاة وراءه ، إكتشفت أنه لم يعطنى لا رقم عربة القطار التى سنركب فيها ولا أرقام مقاعدنا المحجوزة فى العربة !! .. ثم إكتشفت « مارجريت » شيئا أسوأ كثيرا : تذاكرنا محجوزة ليوم الخميس وليس لليوم : الإثنين !! **(إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه)** و **(من غش أمتى فليس منى)** ..

واضطررت فى محطة السكة الحديد أن أظهر بطاقتى الصحفية - التى تكرهها « مارجريت » كثيرا - لرئيس مكتب الحجز ، الذى بادر على الفور باستبدال تذاكرنا بتذاكر أخرى لليوم ، ولحقنا بالقطار فى آخر لحظة قبل تحركه ..

إنفجــــــــار!!





- **الزمان : صيف عام ١٩٧٦ ..**
- **المكان : مدينة (ڤيزمار)-ألمانيا الشرقية ..**

حدث لى اليوم موقف يعتبر أحرج موقف صادفنى فى حياتى الصحفية كلها ، حتى الآن ..

دخلنا ، « سلمى » و « خيرى » وأنا ، محل (كوفهاوس ماجنيت Koofhause Magnet) أكبر محلات المدينة الصغيرة .. وهو من عدة طوابق بنظام المحلات الكبيرة الشهيرة فى أوروبا ، ومثل محلات شيكوريل وشملا وصيدناوى وعمر أفندى وجاتينيو عندنا فى مصر .. وبعد أن طالت جولتنا فى طوابقه المتعددة أكثر من ساعة ، نزلنا مرة أخرى إلى الطابق الأرضى لنغادر المحل .. وفى طريقنا إلى باب الخروج لفت نظر « سلمى » زجاجة (پارفان) ظريفة جدا على شكل جبل جليد عائم ، فوقه فى مكان الغطاء يقف تمثال للدب القطبى شعار روسيا .. وطلبت « سلمى » أن تشترى الزجاجة ..

ولما كانت الزجاجة موضوعة فى ڤاترينة زجاجية مغلقة فقد أريتها أنا للبائعة الألمانية الصغيرة الحسناء لكى تحضر لنا واحدة

مثلها ـ مثل زجاجة البارفان وليس مثل البائعة الحسناء طبعا ـ لكن يبدو أن هذه الزجاجة كانت الأخيرة عندهم فى المحل ، لذا فقد بدأت البائعة الحسناء تزيح الضلفة الزجاجية من مكانها بيديها الإثنتين لكى يخرج لى الزجاجة من الڤاترينة ، وأنا واقف إلى جوارها أرقبها وأنا شديدالإشفاق عليها وهى تحمل بيديها الرقيقتين الناعمتين ذلك اللوح الزجاجى الواضح أنه ثقيل جدا فعلا .. لذا فما أن أزاحته ـ بعد مجهود ـ من مكانه ، حتى أردت أن أتصرف أنا كـ « جنتلمان » وأساعدها حتى لا أحملها عناء ركن اللوح الزجاجى الكبير على الأرض وسنده على جدار الڤاترينة ريثما تمد يدها إلى داخل الڤاترينة لتحضر لى الزجاجة من مكانها .. أردت أن أوفر عليها هذا كله فمددت أنا يدى بسرعة إلى داخل الڤاترينة والتقطت زجاجة الـ (پارفان) ورفعتها من مكانها .. وكأننى دست على زر أطلق شحنة من المفرقعات تكفى لنسف المدينة كلها : تدربكت الدنيا فى لحظة واحدة فى داخل الڤاترينة وانهارت كل زجاجات البارفان والعطور والكولونيا من مكانها داخل الڤاترينة على الأرض فى فرقعة وقرقعة شديدة مدوية وسقطت الرفوف الزجاجية على بلاط الأرض لترتطم به بعنف فى أعلى صوت رنين وصليل وجلجلة ممكن أن تتخيلها فى مكان هادىء جدا يدور كل شىء فيه همساً ...

ونزل علىّ سهم الله وأنا أرى نفسى فجأة وقد هدمت المحل والزجاج المفرقع المتطاير المتناثر حولى فى كل مكان .. والفتاة البائعة المسكينة راكعة على ركبتيها أمامى على الأرض متشبثة باللوح الزجاجى الكبير الذى بين يديها كأنها تحتمى به وهى لا تعرف بالضبط ـ ولا أنا ـ ما الذى حدث !! وكل الناس الذين فـ

المتجر يهرعون برعب وهلع شديدين فى اتجاهنا وكأن قنبلة زمنية شديدة الانفجار قد فرقعت فى المحل .. وأنا واقف فى مكانى متصلبا متخشبا متلبشا كطفل صغير ضبط متلبساً بذنب لا يعرفه ، وقد أوشكت أن ألقى بنفسى على الأرض منبطحا على الأرض لأحتمى من الانفجار الذى تصورته .. وكان المنظر على بعضه يؤكد أن شيئا رهيبا قد حدث .. ولو كان ذلك قد حدث فى متجر فى نيويورك مثلا لأخرج حراس المحل مسدساتهم وأطلقوها علىّ فورا قبل أن يسألوا عما حدث !!

●

وانتهت فرقعات الزجاج والبللور بعد أن إستقر كل شيء على الأرض فى كومة كبيرة واسعة من حطام زجاجات البارفان والكولونيات والعطور وعلب وأدوات الماكياج وشظايا الزجاج المهشم المكسور ... ونهضت البائعة من ركعتها بهدوء شديد بعد أن أسندت اللوح الزجاجى الذى كان لا يزال فى يديها على جدار الفاترينة ، وهى تبتسم لى لتطمئننى وتهدئنى بعد أن رأت شحوب وجهى ومقدار إحساسى بهول مافعلت .. وبدأ الناس الذين كانوا قد تجمعوا حولنا على صوت الإنفجار العظيم وهم يتمتمون بكلمات وعبارات باللغة الألمانية لم أفهم منها حرفا واحدا طبعا ، بدأوا ينحسرون ليعودوا إلى ما كانوا فيه .. وبدأت أنا أسترد أنفاسى قليلا وأنا فى شدة الخجل والكسوف وأنا لا أدرى ماذا أفعل ولا كيف أتصرف فى هذه المصيبة .. كل ما استطعت أن أفعله هو أن أعتذر بخجل شديد للبائعة الحسناء وأبدى استعدادى لدفع قيمة كل الخسائر التى تسببت فيها . **وابتسمت لى ابتسامة رقيقة** مهدئة واستأذنتنى

وغابت عنى أقل من نصف دقيقة فى غرفة جانبية صغيرة ، ثم عادت لتأخذ زجاجة الـ (**پارفان**) من يدى وتلفها لى ، وتأخذ من يدى ثمنها فقط وتدق على الماكينة الحاسبة أمامها ، وأعطتنى الفاتورة كأن شيئاً لم يكن **فسألتها** وأنا مندهش : « والخسائر التى أحدثتها !؟ » فنجيبنى وابتسامة عذبة تضىء على شفتيها الجميلتين : « لا تشغل بالك بما حدث .. إنساه .. وسوف يسعدنا أن نراك دائما عندنا » ...

●

ونحن فى طريقنا إلى خارج المتجر بعد أقل من ٥ دقائق كان كل شىء فى الڤاترينة قد عاد إلى مكانه تماما ، والرفوف الزجاجية وزجاجات البارفان التى تحطمت قد حلت محلها رفوف جديدة وزجاجات جديدة وليست هناك شظية زجاج واحدة فى الأرض ، وكأن شيئا لم يحدث على الإطلاق ، وكأن حسين قدرى لم يمر من هنا ..

●

ونحن نضع أقدامنا على بداية سلم السفينة توقفت « سلمى » لحظة وقد بدا عليها أنها تفكر فى شىء .. وتوقفت أنا أيضا والتفتت إليها متسائلا .. قالت متفكرة : « تعرف .. قزازة البارفان مش عاجبانى أوى .. تعالى نروح نرجعها وناخد ثمنها !!! ..



ما الذى نريده
مــــــــــن
الأهــــــــرام
الـــدولـــــى!؟





لسنوات طويلة طويلة طويلة فى مصر ، قبل أن نجىء إلى غربتنا المثلجة هذه فى المهجر ، كان « الأهرام » دائما بالنسبة إلى الكثيرين منا يمثل جزءا من شاى الصباح ، وغالبا قبله .. وحين كانت ابنتى نهلة طفلة صغيرة فى الثالثة أو الرابعة من عمرها ، ولأنها شاهدت الأهرامات على الطبيعة فى الجيزة فقد ميزت شكلها كخلفية لإسم « الأهرام » الجريدة ..

ولأنها كانت تستيقظ قبلى فقد كانت تسرع إلى خلف باب الشقة ثم تجىء لتوقظنى وهى تحمل بين ذراعيها الصغيرين كومة من الصحف والمجلات و : « بابا إصحى ، الأهرام جه » .. فقد ظلت سنوات عديدة وهى تعتقد أن كل الصحف والمجلات هى جميعها « الأهرام » إنما فى أشكال مختلفة .. وأحيانا كانت تقول لى : « الأهرام فيه صورة حلوة خالص لسعاد حسنى » ولا أكون قد لاحظت أن هناك صورة ما لسعاد حسنى فى « الأهرام » ذلك

اليوم ، فأطلب منها أن ترينى هذه الصورة ، فتشير لى على صورة لسعاد حسنى فى مجلة « الكواكب » مثلاً ، فكل الصحف عند ابنتى « أهرام » !

كان « **الأهرام** » إذن جزءا مكملاً للصباح نفسه ونحن فى مصر قبل مجيئنا إلى الغربة أو إلى المهجر ، نفتح أعيننا عليه فى الصباح كأنه النافذة التى نطل منها على الحياة اليومية فى مصر قبل نزولنا إليها من بيوتنا ، فنعرف منه أخبار مصر التى نعيش فيها وأخبار العالم البعيد عنا أو الذى نحن بعيدين عنه ..

●

الآن ، هنا فى الغربة وفى المهجر ، تغيرنا نحن كثيرا وتغير شكل حياتنا كثيرا بحكم الظروف المحيطة بنا والجو الجديد الذى وجدنا أنفسنا فيه .. تغيرنا نحن ولم يتغير « الأهرام » ، ولم نكن نريده أن يتغير .. بقى « الأهرام » تماما كما كان : النافذة التى نطل منها على الحياة اليومية فى مصر ونحن بعيدين عنها ، ونعرف من خلالها أخبار مصر وما يدور فى مصر يوما بيوم ، تماما كما كنا نعرفها ونحن فى مصر .. ولم نعد نذهب إلى مصر فى أجازتنا السنوية كسياح أو كغرباء لكى نفاجأ بها وقد تغيرت من سنة إلى سنة ، بل نحن ننزل إلى مصر الآن فى أجازاتنا ونحن نعرف تماما كل ما يدور ويحدث ويجرى فيها .. والمصريون الذين ذهبوا إلى مصر فى أحازاتهم الصيفية فى سبتمبر عام ١٩٨٠ ذهبوا وهم يعرفون أنهم لن يأكلوا اللحم فى مصر فى تلك الأجازة لأنه كان ممنوعا فى ذلك الوقت لمدة شهر كامل .. والذين ينزلون إلى مصر الآن يعرفون تماما ماهم « مقبلون عليه » من ازمة التاكسيات وزحمة

الأونوبيسات والشوارع المحفورة والأرصفة المبقورة ومشاكل الجمعيات الاستهلاكية والأمن الغذائى و(الجهاز المركزى للفول والطعمية) وتوفيق عبد الحى ورشاد عثمان وعصمت السادات والكفراوى وباختصار كل ما يحدث فى مصر نعرفه هنا ولسنا منفصلين عنه ولا بعيدين عنه .. بفضل « الأهرام » وباقى الصحف المصرية التى تصلنا هنا الآن بانتظام ، ونعرف من مات - ومن لم يمت بعد - من خلال صفحة أو صفحات الوفيات ، ونشارك فى العزاء ببرقيات وخطابات التعزية والمواساة من هنا إذا توفى صديق أو قريب ..

●

أذكر أننى قبل أن أستقر تماما هنا ، كنت قد قضيت بضعة شهور فى لندن أيضا عام ١٩٧٣ فى مهمة صحفية ، ولم تكن الصحف المصرية فى ذلك الوقت تصل إلى لندن ، فكنا نعيش فى عزلة رهيبة عن أخبار مصر منقطعين عنها تماما .. ويابخت من كان له صديق فى السفارة المصرية فيحصل منه بين حين وآخر على بعض الصحف المصرية متأخرة كثيرا عن موعدها ، ويابخت من كان له صديق فى مكتب مصر للطيران هنا فيحصل منه ، ليس دائما ، على نسخة من صحيفة مصرية من تلك النى نصل على طائرة مصر للطيران .. وكانت الهدية الثمينة حقيقة التى يحضرها لنا الأصدقاء القادمون من مصر هى مجموعة من الصحف والمجلات المصرية .. وحين وقعت حرب أكتوبر ١٩٧٣ فى مصر وتوقف الطيران بين مصر وكل دول العالم نتيجة إغلاق مطار القاهرة لظروف الحرب إنقطعت الصلة بيننا فى انجلترا

وبين الوطن تماما ولم نعد نعرف أخبار مصر إلا من خلال الصحف الإنجليزية والتليفزيون الإنجليزى ..

●

لكن الوضع الآن قد تغير ، والصحف المصرية تصل إلى لندن بالطائرة فى نفس يوم صدورها فى مصر فعلا ، لكن لأنها تصل متأخرة جدا تبعا لمواعيد الطائرة ، فإنها لا تظهر عند باعة الصحف الإنجليز إلا فى صباح اليوم التالى .. وبقى « الأهرام » ـ وباقى الصحف المصرية ـ هو النافذة التى نطل منها على مصر وعلى أخبار أهلنا فيها ، تماما كما كنا نفعل عندما كنا نعيش فى مصر .. بفارق بسيط جدا ، هو أن اهتمامنا الآن أصبح مركزا على قراءة الأخبار المحلية أو الأخبار الداخلية فقط ، ولم نعد نهتم بقراءة أخبار العالم الخارجى ، لأن هذه الأخبار نكون قد عرفناها قبل وصول « الأهرام » إلى أيدينا بيومين كاملين على الأقل .. إنما كل ما يهمنا الآن فى « الأهرام » وباقى الصحف المصرية التى تصل إلى هنا ــ هو أخبار مصر وماذا فى مصر وماذا عن مصر ..

●

وإذا كانت « **الأهرام** » وباقى الصحف والمجلات المصرية الأخرى الآن ، إبتداء من الصحف القومية والصحف الحزبية إلى صحف الأهلى والزمالك والاهلوية ، توزع فى لندن فى اليوم التالى لصدورها فى مصر ، فإن ذلك فى الحقيقة ليس شيئا خطيرا ولا أمراً جللا ولا يقدم ولا يؤخر فى شىء على الإطلاق .. لأننا ـ المصريون هنا فى المهجر ـ نقرأ الصحف المصرية الآن من باب إبقاء الصلة متصلة ودائمة بالوطن الأم مصر ، ولكى تظل صورة ما يحدث فى الوطن واضحة أمام أعيننا ..بمعنى أنه ليس هناك

(سبق) ما فى أن نقرأها فى نفس اليوم أو اليوم التالى أو حتى بعد أسبوع .. وأنا شخصيا تصلنى مجموعة الصحف والمجلات المصرية كاملة يوم الأربعاء من كل أسبوع ، فأقرؤها كلها فى أمسية واحدة وفى قعدة واحدة دون أن أشعر أننىفقدت عنصر المتابعة اليومية ودون أن أشعر أننى قد فقدت شيئا كثيرا ولا قليلا بعدم قراءتى لها يوما بيوم أو فى نفس يوم صدورها .. وكثيرون غيرى يشترون « الأهرام » أو غيره من الصحف المصرية كل يوم على مدار الأسبوع ، ثم « يركنونها » على جنب حتى يقرأوها على مهل فى عطلة نهاية الأسبوع - يومى السبت والأحد - حين يتسع الوقت للقراءة المتأنية وعلى المهل .. ذلك لأن كل ما يهمنا فى الصحف المصرية الآن - كما سبق أن ذكرت - هو صفحات الأخبار المحلية والداخلية والأدب والفنون والثقافة والأعمدة الصحفية والمقالات ، وصفحة الوفيات بالطبع .. وهناك طبعا مصريون آخرون هنا فى الغربة قد تهمهم صفحات أخرى غير ذلك ، كصفحات الرياضة والاقتصاد وغيرها ، لكننا جميعا نشترك فى أن الصفحات التى لم نقرأها أو نهتم بها هى : صفحات أخبار العالم أو الأخبار الخارجية ..

لماذا ؟

لأننا ، كما ذكرت قبلا أيضا ، نعرف أخبار العالم الخارجى الذى نعيش فيه الآن قبل أن تعرفها الصحف المصرية نفسها بيومين كاملين ، وقبل أن تصل إلى مصر أصلا عن طريق وكالات الأنباء ، بل وقبل أن تنشرها الصحف الإنجليزية التى تصدر فى

إنجلترا نفسها بيوم كامل . !

ذلك لأن التليفزيون الإنجليزى هنا بقنواته الأربع : BBC.I BBC. 2 + CHANNEL 4+ ITV كل منها تذيع عددا من نشرات الأخبار يوميا ، وكل قناة تذيع نشرات أخبارها فى مواعيد مختلفة طبعا عن مواعيد نشرات الأخبار فى القنوات الأخرى ، بحيث إنه فى أى وقت تفتح فيه التليفزيون الإنجليزى سوف تجد نشرة أخبار ما تذيعها قناة ما .. ليس ذلك فقط ، بل إن هناك أيضا ذلك الاختراع الجديد الذى لم نسمع عنه فى مصر بعد ، وهو الـ (سى فاكس) على قناتى التليفزيون الحكوميتين (بى . بى . سى . واحد) و(بى . بى . سى . إثنين) ، والـ (تليتكسيت) على قناتى التليفزيون المستقلتين أو التجاريتين (آى . تى . فى) و(القناة الرابعة) .. وهو عبارة عن نشرة أخبار « مكتوبة » على شاشة التليفزيون ومستمرة ٢٤ ساعة فى اليوم ومتجددة دائما ومتغيرة دائما حسب تطورات الأخبار لحظة بلحظة .. وممكن بواسطة جهاز صغير فى حجم كف اليد أن نستقبلها على شاشة تليفزيونك فى أى وقت من أوقات الليل أو النهار ..

●

وليس المهم فى التليفزيون الإنجليزى هو تعدد وكثرة نشرات أخباره ، بل الكيفية التى يغطون بها نشرات الأخبار هذه .. ونحن - أنا وزملائى الصحفيون المصريون هنا فى لندن - نجلس أمام نشرات أخبار التليفزيون الإنجليزى مبهورين كتلامذة فى مدرسة ابتدائية يشاهدون لأول مرة فى حياتهم مناقشة رسالة دكتوراه .. فإن عملية التغطية التليفزيونية هنا للأخبار والأحداث شئ عظيم تماما ومبهر تماما ودرس فى فنون التغطية الإخبارية .. بحيث

يجعلنى فى كثير من الأحيان أتصور أن التليفزيون الإنجليزى يعلم بالأحداث قبل وقوعها ، حتى العادية جدا منها ، ويغطيها تغطية شاملة من كل النواحى وبكم هائل من المراسلين المنتشرين فى كل شبر من أرجاء الكرة الأرضية ، على قدر وافر من الخبرة والدراية والمعلومات عن الحدث الذى يقدمونه وعن البلد الذى يقدمون الحدث منه .. بل إنهم عندما يقدمون أخبارا ما عن مصر ، بلدنا الذى نعرفه جيدا ، يدهشنا ما يذكرونه من تفاصيل التفاصيل التى لانظن أن التليفزيون المصرى ولا الصحف المصرية قد أذاعتها أو نشرتها أو اهتمت بها ، ولا أقول توصلت إليها . !

الذى يتابع نشرات الأخبار فى التليفزيون الإنجليزى إذن ، لن يهمه كثيرا أن يقرأ الـ (تايمز) أو الـ (جارديان) أو الـ (دايلى ميل) أو الـ (إيفننج ستاندارد) أو غيرها من الصحف الإنجليزية نفسها ، إلا إذا كان يبحث عن المقالات والتعليقات السياسية ووجهات النظر الصحفية فى الأحداث الجارية .. فما بالك بمتابعة الأخبار العالمية من الصحف المصرية !!

●

نعود الآن إلى السؤال الذى كان بداية هذا المقال : ما الذى نريده ونتوقعه من (الأهرام الدولى) أو (الطبعة الدولية من الأهرام) !؟

إن « الأهرام » وباقى الصحف المصرية هى النافذة التى نطل منها ونحن فى الغربة هنا على أخبار الوطن الأم مصر . ونعرف ما يدور فيها يوما بيوم ، فلا تنقطع صلتنا بالوطن أولا ، ولا نفاجأ بما كنا لا نعرفه حين ننزل إلى مصر فى أجازات .. ونحن مكتفون تماما بشكل « الأهرام » الحالى الذى نتصور أنه الآن فى أقصى

درجات عطائه الصحفى .. وكلماينشر فيه من الأخبار المحلية والداخلية يهمنا ويرضينا كما وكيفاً ، إبتداء من صفحات جلسات مجلس الشعب إلى صفحات الأخبار الداخلية إلى الثقافة والأدب والفنون والإسلاميات والرياضة والحوادث ، وحتى صفخة - أو صفحات-الوفيات .. لكن هذه النافذة التى بيننا وبين الوطن هى فى الحقيقة وللأسف ، نافذة مصنوعة من الزجاج (الفيميه) الغامق الذى ترى من خلاله من ناحية واحدة ، وإذا نظرت فيه من الناحية الأخرى لا ترى شيئا على الإطلاق .. نحن هنا نرى مصر جيدا من خلال « الأهرام » العادى الذى يصلنا الآن ، لكن مصر لاترانا ولا نشعر بنا ولا تحس بمتاعبنا ومشاكلنا ولا شكل حياتنا هنا .. نحن نرى الأهل والأصدقاء والشارع المصرى وشكل الحياة فى مصر على صفحات « الأهرام » لكن الأهل فى مصر لا يروننا إلا من خلال الخطابات السريعة القصيرة المتباعدة التى نرسلها لهم بين الحين والحين كلما اتسع الوقت ، ولا تتعدى فى الغالب السلامات والتحيات والسؤال عن الصحة والأحوال .. وحين يجلسون أمام التليفزيون فى مصر ويجىء خبر فى نشرة الأخبار عن إنجلترا فهو إما عن البرد الشديد فى إنجلترا ، أو انفجار قنبلة أيرلندية ما فى مكان ما فى لندن أو فى إحدى المدن الإنجليزية .. ويفزع الأهل والأصدقاء فى مصر .. فإذا أذاع التليفزيون أن مواطنا قد تجمد ومات من شدة البرد فى إنجلترا فلابد أن هذا المرحوم المتجمد هو ابنهم قد مات برداً فى الغربة ، وإذا أذاع أن قنبلة قد انفجرت وقتلت واحدا وأصابت ثلاثة فلابد أن هذا القتيل هو ابنهم دون غيره ، أو على الأقل فهو الثلاثة المصابون معا !

فإذا اختفت من التليفزيون المصرى وفى الصحف المصرية أخبار البرد وأخبار القنابل ، انقطع قلق الأهل علينا هنا ، لكى تطل برأسها الصورة التقليدية للمغترب أو المهاجر كما كانت لدينا نحن أنفسنا ونحن فى مصر قبل أن نجىء إلى هنا ونحمل لقب (مهاجر) : صورة المهاجر الذى بعد سنة واحدة فى المهجر أصبح يركب الـ (رولز رويس) ويدخن السيجار ويدير ١٠ شركات فى وقت واحد من مكتبه الفاخر فى حى المال ولديه مئات الموظفين الإنجليز ، ويقضى وقت فراغه - القليل - فى ترتيب وتنظيم ورص أكداس رزم البنكنوت فى خزائنه السرية المختفية خلف التابلوهات الكبيرة فى غرفة الصالون الشاسعة فى قصره الفخم ! .. ويصبح عنوان (المهاجر) فى لندن ، مثلا، فى أيدى كثيرين ممن يعرفهم ومن لا يعرفهم ، إبتداء من أفراد الأسرة والأصدقاء والجيران والمعارف ، إلى معارف الأصدقاء وأصدقاء المعارف وجيران الإثنين معا .. ويفاجأ الواحد منا هنا ، كما حدث معى أكثر من مرة ومع الكثيرين هنا مرات لاتعد ، بأن يعود إلى بيته فى لندن يوما ليجد على باب البيت شابا يجلس فوق حقيبة سفره ينتظر عودته .. وقد يكون لم ير هذا « الشاب » منذ أن كان طفلا ، أو لعله لم يره فى حياته من قبل على الإطلاق ، لكن الأهل والأصدقاء فى مصر وضعوا فى يده عنوان « المهاجر » وقالوا له : « روح له إنت بس وما تحملش هم حاجة أبدا .. ده بيته مفتوح لكل المصريين » !! .. ويجىء الضيف المصرى - الذى غالبا لا تعرفه - وهو يتوقع أن تستقبله فى المطار سيارتك الرولز رويس ، بسائقها الإنجليزى ذى اليونيفورم ، وأن تستضيفه فى « قصرك »

أو على الأقل « ڤيللتك » ، ويتوقع أن تكون متفرغا له تماما لكى تكون له مرشدا سياحيا تفسحه فى لندن وفى إنجلترا وتصحبه طول اليوم فى اللف والدوران على المحلات فى جولاته الشرائية !! كأن لا عمل لك فى إنجلترا إلا إنتظار تشريفه ووضع نفسك فى خدمته ورهن إشارته طوال فترة وجوده فى لندن ..

●

هذا من ناحية الضيوف العابرين .. أما الذين « يطبون » عليك وينتظرون منك أن تبحث لهم عن أعمال ووظائف ، وأما العرايس اللى جايين ليتجهزوا من لندن ، وأما العرايس والعرسان معا اللى جايين ليقضوا شهر العسل فى لندن ، وأما الذين يوفدهم الأهل لكى تتولى أنت إلحاقهم بالمدارس والجامعات فى إنجلترا لأنهم فشلوا فى الحصول على الإعدادية فى مصر أو لأنهم لم يحصلوا على مجموع يؤهلهم لدخول الجامعات المصرية ، وأما الشباب المنطوون على أنفسهم الذين يرسلهم الأهل والأصدقاء اليك لكى « تلحلحهم شوية » ـ وذلك حدث معى ٣ مرات حتى الآن ـ ولن يستطيع أحد أن يتخيل ماذا كان مطلوبا منى أن أفعله « بالتحديد » لكى أجعل هذا الشاب الخجول فى مصر « يتلحلح شوية » فى إنجلترا !! .. وأما وأما وأما فتلك حواديت وقصص لاتنتهى ، وذلك كله بسبب أن الناس فى مصر ليست لديها أى فكرة عن شكل حياتنا هنا فى الغربة وفى المهجر ..

●

وأتصور أن تكون هذه هى مهمة « الأهرام الدولى » أو « الطبعة الدولية من الأهرام » .. وأتصور أن ذلك نفسه هو الغرض الذى من أجله أنشئت وزارة (شئون الهجرة والمصريين فى الخارج)

فى مصر .. إن فى « الأهرام » الحالى - غير الدولى - عن مصر مافيه الكفاية ويزيد .. وإذا كان « الأهرام الدولى » ينوى أن يخصص عددا من صفحاته للمصريين فى الغربة أو فى المهجر فلتكن لإعطاء صورة عن حياتهم ومشاكلهم ومتاعبهم مع المجتمع الجديد الذى وجدوا أنفسهم فيه .. صورة حقيقية صادقة غير مزيفة ولا مزوقة ولا مفبركة .. صورة تبين أن من بين المصريين فى الغربة من هم الدكتور « **مجدى يعقوب** » والعالم « **فاروق الباز** » ومديرى بنوك وشركات ورؤساء تحرير ، وأيضا من بينهم « حسام » الذى يغسل الأطباق و « كمال » الجرسون فى مطعم و « عبد الحميد » الطباخ و « مرتضى » السائق و « عبد الرزاق » الساعى و « مصطفى » الذى لم يجد عملا حتى الآن بعد ٣ سنوات فى لندن .. ليس كل من فى الغربة علماء ودكاترة ولاهم أيضا جرسونات وطباخين .. إنما هو مجتمع مصرى متكامل انتقل بكل حياته إلى المهجر ليصبح قِطَعاً من مصر مبعثرة فى كل مكان فى أوروبا وأمريكا ..

●

ويتبقى شىء هام ألفت النظر إليه من الآن .. هو ألا تصبح تلك الصفحات التى سوف يخصصها « الأهرام الدولى » للمصريين فى الغربه أو المهجر كصفحات الصحف الإقليميه فى مصر ، مخصصة لأخبار وتحركات وتنقلات وحفلات واستقبالات ومقابلات السيد الوزير المحافظ ثم السيد نائب المحافظ والسيد سكرتير عام المحافظة والسيد السكرتير العام المساعد والسيد مدير الأمن ، نزولا إلى السيد مدير التربية والتعليم والسيد مدير الشئون الصحية

والسيد مدير التموين .. فإنه إذا تصدرت صفحات المغتربين فى « الأهرام الدولى » كل أسبوع صورة السيد السفير وصورة السيد الوزير المفوض وصورة السيد القنصل العام والسيد القنصل العام المساعد والمستشار التجارى والمستشار الثقافى ووو .. إلى آخره .. فإن المواطن المصرى فى الغربة سوف يغلق صفحات « الأهرام » ـ الدولى وغير الدولى ـ كلها ، ويعود ليجلس أمام التليفزيون الإنجليزى أرحم ..

وأنا أتكلم عن انجلترا فقط لأننى أعيش فى إنجلترا .. وقد يتساءل البعض : وماذا عن المصريين فى بقية دول المهجر ؟ فى أمريكا وكندا وأستراليا وفرنسا وألمانيا واليونان وهولندا وغيرها من دول العالم التى بها جاليات وتجمعات مصرية مهاجرة ؟ أين مكان هذه الجاليات المصرية على صفحات « الأهرام » الدولى ؟

والإجابة ببساطة هى أن « الأهرام » يصدر سبعة أيام فى الأسبوع .. فلو خصصنا يوما واحدا كل أسبوع للمهاجرين المصريين فى دولة واحدة فإننى أتصور أن التغطية سوف تكون وافية وشاملة بإذن الله ..

أما مسألة التحرير والمادة الصحفية فهذه هى مهمة « الأهرام » ، بمكاتبه ومراسليه واتصالاته بأندية الجاليات المصرية فى الخارج ، وبمئات الصحفيين المصريين الذين أصبحوا الآن منتشرين فى كل مكان فى أوروبا وفى أمريكا ، والذين قطعا لن

يترددوا لحظة واحدة فى التعاون مع « الأهرام الدولى » فى سبيل ذلك .. **لأنه - كما قلت فى البداية - جزء من حياتنا ومن ذكرياتنا فى الوطن الأم مصر ، وتعودنا عليه تعودنا على شاى الصباح ..**

لماذا لا نستطيع فى المهجر أن نغنى «المصريين آهمه»!؟





لماذا ليس للمهاجرين المصريين أى تأثير أو نفوذ فى الدول التى هاجروا إليها : أمريكا وبريطانيا وأستراليا وألمانيا والنمسا وبقية الدول الأوروبية ؟! مع أن لكل الأقليات فى دول المهجر تأثيرا ونفوذا وكلمة مسموعة ، أو على الأقل صوتا مسموعا ، ولهم صحافتهم وإذاعاتهم وتليفزيوناتهم ، وتهتم بهم وترعاهم صحافات وإذاعات وتليفزيونات هذه الدول وتخصص لهم جانبا من وقتها .. ما عدا الجالية المصرية ..

الإنسان حين يهاجر من وطنه الأصلى إلى وطن آخر ، فلأنه قطعا لم يجد فى وطنه الأصلى أسباب العيش ميسرة وسهلة بالشكل الذى يريده أو يرجوه ، أو لأن طموحاته وإمكانياته أكبر من أن تستوعبها ظروف وطنه الأصلى فى الوقت الحالى .. فيأخذ معه آماله وأحلامه وطموحاته ويهاجر بها إلى وطن آخر جديد يستطيع

فيه ببعض الجهد - قليل أو كثير - أن يصل إلى ما يتمنى ويحقق كل أحلامه أو بعضها ..

وعلى الرغم من أن عددا من الأسماء المصرية قد لمعت في دول المهجر - وأنا أتكلم عن إنجلترا بالذات التي أعرفها وعشت فيها مهاجرا سنوات طويلة - لمعت أسماء مثل الطبيبين « مجدى يعقوب » و « محمد ذهني فراج » وقبلهما « حمدى السيد » ، والعديد من الأطباء الآخرين .. لمع فيها أساتذة جامعة أمثال بروفسور « عبد المحسن بكير » (جامعة كمبريدج) و « مصطفى بدوى » (جامعة أوكسفورد) و « محمد ملوخية » و « أناة ملوخية » (جامعة ليڤربول) .. ولمع فيها مهندسون ورجال بنوك وصحفيون وكتاب وكثيرون من أصحاب المهن الأخرى .. إلا أنه يظل - مع ذلك - ليس لهم أى ثقل مؤثر لا في السياسة ولا في المجتمع الأوروبى الذى انتقلوا إليه .. لسبب بسيط جدا وغريب جدا ، هو أنهم قلة جدا .. هؤلاء المهاجرون اللامعون قلة جدا ، وغير مترابطين ولا متحدين ، ولا حتى متصلين ببعضهم البعض على الإطلاق .. بينما الأغلبية من المهاجرين المصريين الآخرين هم من الصيع والشبيحة والزلنطحية والأفاقين المصريين الذين تركوا « التلطع » على النواصي وعلى المقاهي في مصر وهاجروا إلى بريطانيا ، بعد أن وضعوا نفس أخلاقهم ونفس سوءاتهم وتشبيحهم في حقيبتهم التي أخذوها معهم إلى دول المهجر .. فتصرفوا في المهجر بنفس الطريقة التي كانوا يتصرفون بها في مصر .. وبدلا من أن يبذلوا جهداً لكى يصلوا إلى شيء ما أو وضع

ما في الوطن الجديد الذى هاجروا إليه ، كانت أسهل طريقة أمامهم - يمكن لأنها الطريقة الوحيدة التي يعرفونها - هى أن يتعاملوا بنفس الطريقة التى كانوا يتعاملون بها في مصر ، مع بعضهم بعضا هنا .. حتى أصبحت القاعدة هنا - في إنجلترا التى أتكلم عنها ، ولا أظنها تختلف كثيرا عن غيرها من دول المهجر - هو أن المصريين يحاربون بعضهم بعضا ويغتابون بعضهم بعضا ويدسون لبعضهم بعضا وينقضون على بعضهم بعضا ..

●

● **زميل صحفى مصرى هاجر إلى إنجلترا فى أواخر السبعينات** .. وفى أوائل الثمانينات عين رئيسا لتحرير مجلة للأطفال قررت مؤسسة صحفية عربية أن تصدرها في لندن .. بمجرد تعيينه إتصل به رسام مصرى كان يعرفه منذ زمان بعيد ، بل وحتى بلدياته من نفس المدينة فى مصر ، وشكا إليه ظروفه السيئة وأنه لا يعمل منذ فترة وأنه خلاص موشك أن يموت جوعا هو وأسرته !! ولما كان رساما ممتازا بالفعل فقد فتح له رئيس التحرير ، بلدياته ، الباب وعينه فورا مديرا فنيا للمجلة الجديدة ..

بعد أسبوع واحد استغنت المؤسسة الصحفية العربية عن خدمات رئيس التحرير بعد أن استطاع الرسام - بلدياته - أن يصل إلى أصحاب المؤسسة ويقنعهم بأن رئيس التحرير الذى عينوه لا علاقة له بمجلات الأطفال ولا يفهم فى الكتابة للأطفال ، وأن الرسام - الذى كان موشكا أن يموت جوعا منذ أسبوع واحد - هو وحده الخبير بمجلات الأطفال ومستعد أن يقبل وظيفة رئيس تحرير المجلة الجديدة بنصف المرتب الذى يتقاضاه صديقه وبلدياته الذى

أنقذه من الموت جوعا !! فرفد أصحاب المؤسسة الصحفية رئيس التحرير وعينوا الرسام بدلا منه .. وبعد أسبوع واحد آخر رفدوا الرسام أيضا بعد أن ظهرت أخلاقه على حقيقتها وحاول أن يهيمن على المؤسسة كلها .. وتوقف مشروع مجلة الأطفال كله ولم تقم له قائمة بعدها .. وأصبحت سمعة المصريين سيئة فى المؤسسة كلها التى بدأت تستغنى عن خدمات المصريين فيها واحدا بعد الآخر .. حتى إنه فى وقت ما كان فى هذه المؤسسة بالذات ٤ رؤساء تحرير لـ ٤ مجلات تصدرها المؤسسة ، والآن ليس فيها رئيس تحرير مصرى واحد !!

● **المركز الثقافى المصرى فى لندن** ، لأنه أكثر المراكز الثقافية العربية فى بريطانيا احتراماً وانضباطاً وبعداً عن لعبة السياسة والتجمعات والتكتلات السياسية ، فقد فتح أبوابه لكل المثقفين العرب وأصبح يحاضر فيه محاضرون من أى جنسية عربية ..

أقام المركز الثقافى المصرى معرضا لرسامة سورية شابة ، وطبع الدعوات لافتتاح هذا المعرض فى مطبعة صغيرة يملكها مصرى أراد المركز الثقافى « المصرى » تشجيعه .. بالفتاكة والفهلوة المصرية المعتادة طبعت المطبعة (المصرية) الدعوات وفيها خطأ كبير ملحوظ يهدم فكرة المعرض من أساسها ، خصوصا أن عددا كبيرا من هذه الدعوات سيرسل إلى الصحف والمجلات ووسائل الإعلام البريطانية .. وحين طلب المركز الثقافى (المصرى) من المطبعة (المصرية) إعادة طبع الدعوات

من جديد بصورتها الصحيحة ، رفضت المطبعة أن تصحح خطأها إلا إذا دفع المركز الثقافى المصرى ٥٠٠ جنيه أخرى تكلفة طبع الدعوات الصحيحة .. ولما كان الوقت الباقى على افتتاح المعرض لا يسمح بالدخول فى مشاكل مع المطبعة (المصرية) ممكن أن تصل إلى القضاء ولا يقام المعرض نفسه ، فقد سلم المركز الثقافى المصرى أمره لله ووزع الدعوات المطبوعة خطأ ، على أن تقوم الإتصالات التليفونية بكل المدعوين لحفل افتتاح المعرض لتنبيههم إلى الخطأ المطبوع فى الدعوات .. لكن توبة من التعامل مع هذه المطبعة (المصرية) مرة أخرى ..

وغيره وغيره وغيره ، والنماذج كثيرة والمساحة المتاحة لى هنا قليلة ومحدودة .. لكننى قد أعود إلى هذا الموضوع مرة أخرى ..

هل عرفتم الآن لماذا لا نستطيع نحن المصريين المهاجرين أن نغنى ونحن فى دول المهجر : (المصريين أهمه) ؟!

رأيت التاريخ وهو يُكتب ..!





أنقل لكم من دفتر مذكراتى فى لندن :

□ ١٥ يوليو عام ١٩٩٣ □

فى مثل هذه الأيام ، الوسطى من شهر يوليو ، منذ ٢٠ سنة بالضبط ، عام ١٩٧٣ ، جئت إلى لندن لكى أعمل تحقيقا صحفيا عن الطلبة المصريين الذين يجيئون ليعملوا فى لندن خلال أجازات الصيف .. وكنت مقدرا أننى سوف أبقى أسبوعا واحدا وأكتب تحقيقا واحدا ، أو على الأكثر تحقيقين .. لكن الذى حدث هو أننى بدلا من أن أبقى أسبوعاً واحداً بقيت أربعة شهور ، وبدلا من أن أكتب موضوعا واحدا أو موضوعين كتبت ١٨ تحقيقا صحفيا كبيرا نشرت تباعا فى مجلة [**الإذاعة والتليفزيون**] فى أوائل عام ١٩٧٤ ، ثم نشرت فى كتاب صدر فى يوليو من نفس العام ليكون أشهر كتبى على الإطلاق حتى الآن [**مذكرات شاب مصرى يغسل الأطباق فى لندن**] ، الذى كان أول عدد فى تاريخ سلسلة [إقرأ] يكتب

عليه [عدد ممتاز] ويصدر فى ٣٢٠ صفحة هى ضعف عدد صفحات الكتاب العادى فى [إقرأ] وقتها وحتى الآن - ١٦٠ صفحة - وطبع منه طبعة ثانية فى العام التالى مباشرة ، ثم توالت طبعاته بعد ذلك ، وصدر منه طبعتان مختلفتان باللغة الانجليزية ، واحدة فى أمريكا وواحدة فى انجلترا .. ومازالت الناس تتذكرنى به وتذكرنى به حتى الآن وكأنه كتابى الوحيد ، مع أنه قد صدرت لى بعده ٨ كتب أخرى ..

وكانت نتيجة زيارتى للندن عام ١٩٧٣ وإقامتى لأربعة شهور كاملة ، إننى أحببت لندن كثيرا وشعرت بالألفة معها كثيرا . حتى أننى أصبحت أضعها فى برنامج سفرياتى ورحلاتى الصحفية بعد ذلك فى كل مرة أخرج فيها من مصر إلى أى دولة ، فزرت لندن ١٦ مرة فى خلال الـ ٤ سنوات التالية .. حتى جئت إليها فى عام ١٩٧٧ فى طريق عودتى من أمريكا وفى نيتى أن أقضى فيها أسبوعا واحدا .. لكن ما حدث فى عام ١٩٧٣ تكرر مرة أخرى فى عام ١٩٧٧ على أكثر كثيرا وبصورة لم تكن على البال ولا الخاطر .. فقد طال هذا الأسبوع الواحد إلى ١٦ سنة حتى الآن .. ونتج عن هذا الأسبوع الواحد أننى أصبحت الآن مواطنا إنجليزيا أحمل الجنسية الإنجليزية وجواز سفر إنجليزى - إلى جانب الجنسية المصرية وجواز السفر المصرى طبعا - لكن تظل البداية كلها هى زيارتى الطويلة الأولى للندن فى مثل هذه الأيام من ٢٠ سنة ، عام ١٩٧٣ ..

□ **٢ يونيو ١٩٩٣** □

اليوم هو العيد الـ ٤٠ لذكرى تتويج الملكة « إليزابيث الثانية » على عرش بريطانيا فى مثل هذا اليوم من عام ١٩٥٣ .. فأذاع التليفزيون الإنجليزى بقنواته الأربع برامج رائعة فى ذكرى التتويج ، سجلت أنا بعضاً منها لأحتفظ بها فى مكتبتى للذكرى والتاريخ ..

وقد حضرت مناسبات تاريخية كثيرة طوال السنوات الماضية التى مرت علىّ هنا فى إنجلترا .. منها ٣ احتفالات بذكرى تتويج الملكة [١٩٧٣ - ١٩٨٣ - ١٩٩٣] ، فهم يحتفلون بهذه الذكرى مرة كل ١٠ سنوات وليس مرة كل سنة .. حضرت زواج الأميره « آن » إبنة الملكة « إليزابيث » من الكابتن « مارك فيليپس » فى عام ١٩٧٣ ، ثم حضرت طلاقها منه بعد أن تبادلا الإتهامات بالخيانة الزوجية – وكان كلاهما صادقاً (!!) – ثم حضرت زواج « آن » مرة أخرى من الضابط البحرى « تيموثى » الذى كانت قد أحبته وهى مازالت زوجة لـ « مارك فيليپس » .. حضرت احتفالات زواج الأمير « تشارلز » الابن الأكبر للملكة وولى عهد بريطانيا من العصفورة الرقيقة الرشيقة « ليدى دايانا سبنسر » فى عام ١٩٨١ ، ثم حضرت أيضا انفصالهما عام ١٩٩٢ ، وها هما الان على وشك الطلاق ، وسوف أحضره أيضا !! .. حضرت احتفالات زواج الأمير « أندرو » الابن الأوسط للملكة من الشمحطجية الشبيحة « سارة فيرجسون » ، وكنت الوحيد فى الذين حولى الذى تنبأت بفشل هذا الزواج وبأنه لن يستمر طويلا ، وقد كان ،

فحضرت أيضا طلاقهما بعد فضيحة مدوية لـ « سارة فيرجسون » أكدت وجهة نظرى فى أن [اللى فيه طبع ما بيغيروش] وإن [الهلاس هلاس وعمره ما بيتوب] .. حضرت مصرع لورد « مونتباتن » نائب الملك فى الهند وأحب أعضاء الأسرة الملكية للشعب البريطانى ، كما حضرت ٤ حوادث اعتداء على أعضاء الأسرة الملكية : نسف سيارة الأميرة « آن » ، إطلاق الرصاص على الملكة « إليزابيث » أثناء عرض عسكرى ، إطلاق الرصاص على الأمير « تشارلز » أثناء إلقائه خطابا فى حفل عام فى استراليا ، وعلى الأميرة « دايانا » خلال إحدى الزيارات التى كانت تقوم بها .. حضرت ٤ اعتداءات على « حرمة » قصر باكنجهام الملكى : الأولى من الشابين الألمانيين اللذين قفزا من فوق السور العالى للقصر وناما ليلتهما فى حديقة القصر ظناً منهما - أو هكذا قالا - أنها حديقة [هايدبارك] الشهيرة ! والثانية من ذلك الشاب الظريف « مايكل فاجان » الذى - قيل عنه بعد ذلك إنه مجنون - الذى استيقظت الملكة ذات ليلة فوجدته جالسا على حافة سريرها بعد أن استطاع أن يقفز من فوق السور ويتسلل إلى داخل القصر ويتمشى فيه على مهله حتى يصل إلى غرفة الملكة بالذات فى أعماق القصر !! وذلك الشاب الأمريكى الذى جاء من أمريكا خصيصا لكى يقفز بالبراشوت فوق سطح قصر باكنجهام فى عز النهار ويخلع ملابسه عاريا تماما ويظل يتحنجل ويتراقص ويلوح للمارة بيديه حتى جاء الحراس وقبضوا عليه ، واقتحام جناح الأمير « تشارلز » فى قصر الملكة الأم القريب من قصر باكنجهام وسرقته ، كما يحدث لأى بيت عادى من بيوت لندن .. حضرت

٤ انتخابات عامة فى بريطانيا شاركت فى ثلاثة منها بصوتى الإنجليزى .. حضرت صعود « مارجريت تاتشر » كأول امرأة ترأس الوزارة فى بريطانيا ، كما حضرت خروجها مطرودة طرداً بشعاً من رئاسة الوزراة من حزبها هى شخصيا .. حضرت حرب الـ [**فولكلاند**] بين بريطانيا والأرچنتين ، حضرت حرب الإرهاب الأيرلندية التى تتصاعد ببشاعة ولا يبدو أنها سوف تنتهى هذا القرن ، حضرت الإعصار الرهيب الذى اجتاح بريطانيا بليل فى شتاء عام ١٩٨٧ وكاد يقتلع عمارتى - ٢٠ طابقا - من أساسها ، لأنها عاملة زى زعزوعة القصب فى وسط الڤيللات التى حولها التى لا تزيد أعلاها على طابقين .. حضرت محاولة إغتيال « مارجريت تاتشر » بنسف الفندق الذى كانت تقيم فيه فى مدينة « برايتون » أثناء انعقاد مؤتمر لحزب المحافظين .. حضرت تعمير وبناء منطقة الـ [دوكلاندز] فى جنوب شرقى لندن لتكون هى [لندن الجديدة] وبناء أول ناطحة سحاب فى أوروپا كلها فى هذه المنطقة : [كنارى وورف] .. حضرت بناء سد عال على نهر الـ [تيمس] فى لندن : [لندن باريارز] لكى يحمى مدينة لندن من فيضان النهر الذى كان يهددها دائما حين يحدث كل عام بدرجة أو بأخرى ، حتى إنه فى عام ١٩٢٨ وصل ارتفاع المياه فى شوارع لندن حتى غطى السيارات العادية وإلى نصف ارتفاع الأوتوبيسات .. حضرت افتتاح القناة التليفزيونية الرابعة (Channel 4) وبعدها كل القنوات التليفزيونية الفضائية .. حضرت احتفال إنجلترا بمضى ٥٠ عاما على نزول قوات الحلفاء إلى

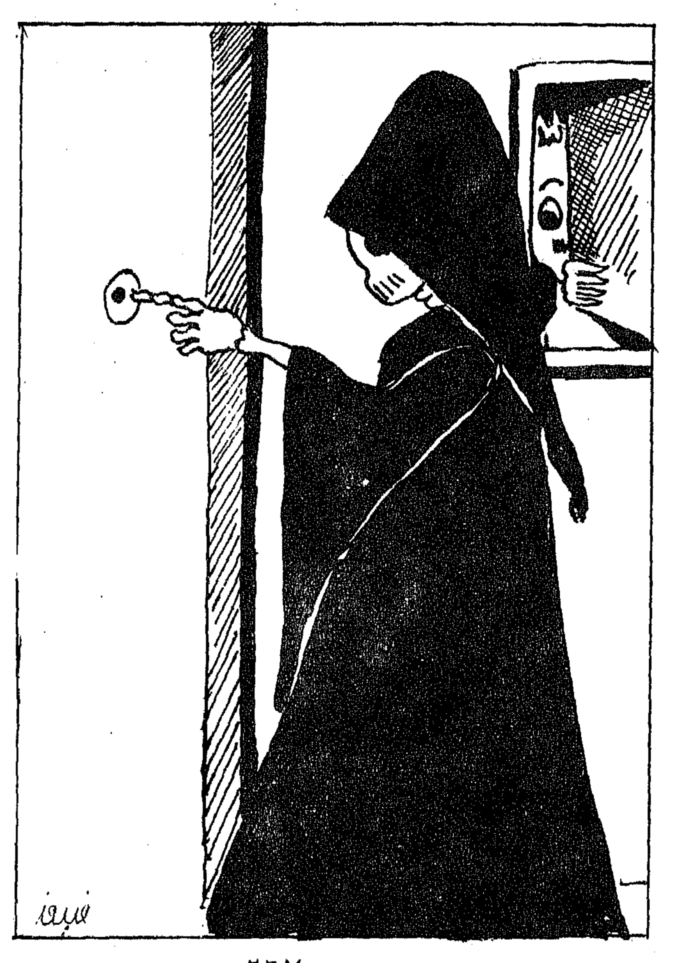
شاطىء [نورماندى] فى فرنسا فى ٦ يونيو عام ١٩٤٤ لبدء تحرير أوربا من الغزو الألمانى ..

•

أتصور أننى قد حضرت فى انجلترا ١٧ سنة كلها مهمة فى تاريخ بريطانيا وتاريخ الشعب الإنجليزى ، ورأيت التاريخ وهو يكتب أمامى في هذه السنوات الحافلة ..

وكل سنة وأنا طيب ..

الموت
فى
الغربة ..!





في أواخر السبعينيات حدثت هجمة إعلامية مصرية على لندن .. العديد من الصحف العربية ، يومية وأسبوعية ، والعديد من المجلات العربية ، أسبوعية ونصف شهرية وشهرية بدأت تصدر من لندن .. إما صحفا جديدة تصدر لأول مرة بأسماء جديدة على الساحة تماما ، أو صحفا مهاجرة كانت تصدر في أوطانها الأصلية ثم لظروف جدت على الوطن ـ كالحرب الأهلية في بيروت مثلا ـ هاجرت هذه الصحف إلى لندن .. أو كانت تصدر في أماكن أخرى خارج أوطانها ثم انتقلت إلى لندن لأن لندن تظل ، رغم كل شيء من أرخص العواصم الأوروبية ..

ولأن المصريين هم الأساتذة وهم الفراودة وهم الكباتن في عالم الصحافة العربية ولا تقوم للصحافة العربية قائمة بغير الصحفيين المصريين .. رغم الـ ١٤٩ هيكل والـ ٦١٦ تابعي والـ ١٤٢٨ مصطفى وعلى أمين من الأسماء غير المصرية التي تملأ هذه الصحف طنطنة وجعجعة وقعقعة وهلضمة ، ويظنون أنفسهم أساتذة أكابر وهم ليسوا إلا محافظ مليئة بالفلوس وقدرة على

الوصول إلي الحكام فى المنطقة العربية وتسولهم أحيانا وابتزازهم فى أغلب الأحيان .. لكن يتبقى بعد ذلك أن المصريين هم الأساتذة وهم المعلمون – بضم الميم الأولى أو بكسرها ، سيان – إذا تعلق الأمر بالصحافة كصحافة .. ولا كل من ركب الحصان خيال ولا كل من مسك الربابة شاعر ولا كل من عنده قلم حبر باركر كاتب ولا كل من كان عضوا فى نقابة الصحفيين فى بلده صحفى .. واسحب الأسماء المصرية من أى صحيفة عربية فلن يقرأها أحد ولا حتى عمال المطبعة التى تطبعها .. أعرف أن ذلك تعصب وعنصرية ، لكنه هو الحقيقة ولو كره الكارهون ..

●

المهم .. جاء إلى لندن مع هذه الهجمة الصحفية العربية فى أوائل السبعينات ما يقرب من ١٠٠ صحفى وكاتب مصرى ، لكى تقوم الصحافة العربية فى إنجلترا على أكتافهم .. لعل أبرزهم – حتى لا أكتب أسماء الـ ١٠٠ جميعهم – محمود السعدنى وألفريد فرج وأحمد عباس صالح و .. على شلش .. « الدكتور » على شلش فيما بعد ..

على شلش زاملنى منذ بداية خطواتنا الصحفية معا فى مجلة [التحرير] فى أواخر الخمسينيات .. ثم جمعت بيننا مرة أخرى مجلة [الإذاعة والتليفزيون] فى أواسط الستينيات حتى استقال هو منها فى منتصف الثمانينيات لأنه كان قد استقر تماما فى إنجلترا وأصبح له بيت إنجليزى وزوجة أمريكية وطفلتان ، ولم يجد مبررا فى أن يستمر فى [أجازة بدون مرتب] من المجلة مادام لن يعود إليها ، فأخرج نفسه معاشاً مبكراً لكى يتفرغ للكتابة فى لندن ..

وكنا نلتقى كثيرا أنا و « على » .. والمدهش أننا كنا نلتقى فى مصر أكثر مما نلتقى فى لندن .. لأن كلا منا مشغول على الآخر فى لندن لكننا كنا نجىء إلى مصر بـ [روح الأجازة] .. لذا فوقتنا فى مصر أكثر براحا واتساعا وإمكانية اللقاء .. وكنا - ولا نزال - نجىء إلى مصر كثيرا ، ٣ أو ٤ مرات كل سنة ، ننتهز أى فرصة ونتلكك على أى مناسبة لكى نجىء إلى مصر .. وفى أكتوبر الماضى كنت فى أجازة فى مصر وجاء « علىٰ شلش » بعدى ليحضر مؤتمرا عن الشعر .. و : مات « على شلش » بالسكتة القلبية فجأة فى أول يوم من أيام المؤتمر !!

●

وحضرت جنازة « على شلش » فى جامع عمر مكرم .. وحين خرج النعش من المسجد ورأيته فجأة أمامى مباشرة أحسست بأن رأسى قد سخن وأن الدم قد صعد إلى نافوخى يضغط عليه بشدة حتى ليكاد يخرج منه .. وكدت أبكى وأنا أتذكر آخر لقاء بينى وبين الوديع المهذب الدمث « على شلش » على التليفون فى ١٢ مايو الماضى لكى أهنئه بعيد ميلاده كعادتى منذ عرفنا بعض .. ولم أكن أعرف أو أتصور أن هذه سوف تكون آخر مرة أسمع فيها صوت « على شلش » وآخر عيد ميلاد له أهنئه به .. فعلى شلش مسجى الآن أفقيا فى داخل هذا الصندوق الخشبى فى آخر لحظات له فوق سطح الأرض ، وبعد لحظات سوف يغيب فى باطنها إلى الأبد وينتهى كائن حى « كان » إسمه على شلش ، أحبه واحترمه كل من عرفه أو تعامل معه أو اقترب منه ، وتنقطع صلته تماما بعالمنا .. فعصر ذلك قلبى عصرا ، وتخيلتنى فى مكانه بعد فترة ما لن تكون

بعيدة جدا ، وقد تجيئنى فجأة كما جاءته فجأة ، وإنا لله وإنا إليه راجعون فى موعد لا نعرفه ..

●

وعدت إلى لندن بعدها بأيام ، وفى اليوم التالى اتصل بى صديقى « مصطفى أنور جعفر » مدير إدارة الأخبار فى إذاعة لندن العربية - الـ BBC - وقال لى إنه يتصل بى كل يوم فى انتظار عودتى من مصر منذ أن سمع خبر وفاة « على شلش » .. « مصطفى » مفزوع جدا من وفاة « على شلش » المفاجئة غير المتوقعة ، لأن « مصطفى » فى نفس ظروف « على » : كل منهما متزوج ومستقر وله بيت فى إنجلترا ولا ينوى أن يعود إلى مصر ، وكل منهما له طفلتان فى نفس السن تقريبا ، وكل منهما يسافر إلى مصر كثيرا بحكم عمله ، و « على شلش » سافر إلى مصر فى مهمة لم يعد منها ومات هناك بعيدا عن زوجته وطفلتيه لم يرهن ولن يرينه مرة أخرى !!

●

« **مصطفى أنور** » عنده حق قطعا .. وأنا أكثر منه فزعا من نفس المصير .. لأننى ممكن أن أموت وحدى هنا فى بيتى فى لندن دون أن يشعر بى أحد من جيرانى لأنهم يعرفون أننى أسافر كثيرا ، وكلما اختفيت عن أنظارهم فترة ظنوا أننى مسافر فى مهمة صحفية أو أننى فى أجازة فى مصر .. ولن يكتشف أحد موتى إلا بعد شهور طويلة ، ويمكن بعد سنوات .. لأننى أدفع إيجار شقتى وكل فواتير التليفون والكهرباء وما إليها ، عن طريق البنك مباشرة .. يعنى أن الفواتير لا تجىء لى لكنها ترسل إلى البنك والبنك يدفعها .. لذا ستظل فواتيرى تسدد لمدة طويلة قبل أن ينتهى

رصيدى تماما بعد عدة سنوات ، فيتوقف البنك عن سداد الفواتير ، وتنقطع الكهرباء والتليفونات عن شقتى ، ويتوقف سداد إيجار شقتى إلى إدارة الإسكان صاحبة العمارة التى أسكن فيها .. وستمهلنى إدارة الإسكان عدة شهور ، وترسل لى إنذارا بعد إنذار ، ثم تستصدر حكما من المحكمة بطردى من الشقة لعدم سدادى الإيجار .. ويجىء المحضر الإنجليزى ليدق بابى ، فإذا لم يتلق رداً استعان بالبوليس - [القوة الجبرية] كما نسميه فى مصر - ويكسرون باب الشقة ليجدوا جثتى متعفنة من زمان وقد فاجأنى الموت وأنا جالس إلى مكتبى أكتب مقالاً عن جمال وظرف « الحياة » فى المهجر .. وقد سمعت مؤخرا فى التليفزيون الإنجليزى عن مواطن إنجليزى حدثت له نفس الظروف ، وحين اكتشفوا جثته كان قد مات قبلها بثلاث سنوات !!

فكرت ، للحظة ، فى أن أتزوج حتى لا أموت وحيدا هكذا .. لكننى عدت وفكرت فوجدت أن الموت وحيدا أرحم كثيرا ..

فهــرس



كتب للمؤلف

- رحلة إلى جزر الكناريا (دار المعارف ـ ١٩٧٣)
- مذكرات شاب مصرى يغسل الأطباق فى لندن
(سلسلة إقرأ-دار المعارف ـ ١٩٧٤)
- رحلة إلى دولة ترانزستور ـ قبرص (دار الشعب ـ ١٩٧٤)
- راكبان على السفينة – رحلة إلى المحيط الأطلنطى
(كتاب اليوم ـ ١٩٧٥)
- هو والذين كانوا معه (القاهرة للثقافة العربية ـ ١٩٧٦)
- هروب إلى الفضاء (دار المعارف ـ ١٩٨١)
- مغامرات خالد – مجموعة قصص للأطفال
(دار الهلال ـ ١٩٨٥)
- مذكرات سائح مصرى فى مصر
(سلسلة إقرأ ـ دار المعارف ـ ١٩٩٢)
- يوميات سفينة مجنونة (دار التعاون ـ ١٩٩٣)
- حكايات أوروبية [دار الشعب ـ ١٩٩٥]

تحت الطبع

- لارا .. إعترافات امرأة متزوجة .. [رواية باللغة الإنجليزية] .
- مذكرات مهاجر مصرى فى لندن ..
- حكايات أوروبية [الجزء الثانى] .
- ليست لندن وحدها ..
- لعبة الأيام .. حكاية صورة قديمة .
- أوراق قديمة .. صفحات من الذكريات والمذكرات .
- كلام فى الحب .. وفى غير الحب ..
- أيام من حياتهم ..
- صعلكة فى بيروت ..
- يوميات أمريكية ..
- مذكرات زوجة أجنبية فى مصر ..
- حمار فى الطابق الخامس .. مجموعة پورتريهات ..
- ١٨ سنة فى المهجر .. فى إنجلترا ..
- ١١٧ يوما فى الصحراء ..



سلسلة ثقافية واعلامية

تصـدرها :

مؤسسة دار الشعب
للصحافة والطباعة والنشر

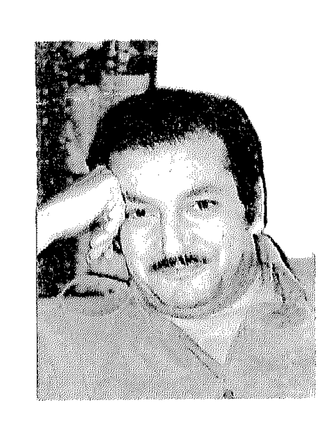
رئيس قطاع النشر والتسويق
سعاد قنديل

الغلاف والرسوم الداخلية :

- ياسر جعيصه
- فيروز سمير
- محمد سيد أمين

- رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٥/١٠٢٠٩ م

هذا الكتاب



■ حكايات حكايات حكايات .. كل كتب حسين قدرى مليئة بالحكايات .. وحسين قدرى لا يكبر أبدا .. فمنذ أن قرأت له أول كتبه منذ ٢٠ سنة وهو لازال كما هو حتى الان .. نفس أسلوبه المرح المتوثب « الشقى » المليء بالحيوية والتدفق و « العفرتة » ، الذى يستطيع أن يحكى لك حكاية تحدث كل يوم لكل الناس ، لكنها حين تحدث له يجعل منها قصة ورواية حتى ليخيل إليك أن هذه الحكاية لم تحدث إلا لحسين قدرى ولا يستطيع أن يحكيها هكذا إلا حسين قدرى .. وأنت حين تقرأ له فأنت لا تقرأ لكاتب يخاطب قراءه لكنك تقرأ لصديق يحكى لأصدقائه .. والألفة الشديدة مع ما يكتبه تجعلك تتصور أنك تعرف حسين قدرى طول عمرك ، مع أنك قد تكون لم تره طول عمرك ..

هذا هو ثانى كتاب تنشره | دار الشعب | لحسين قدرى بعد | رحلة إلى دولة ترانز ستور | ، وبين الكتابين ٢٠ سنة .. لكننا نتمنى أن ننشر له كتابا جديدا كل سنة ..